المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

قام الطالب بإجراء التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة .

المشرف	مناقش	مناقش
أ.د/ضيف الله يحي الزهراني	أ.د/عادل محمد نور غباشي	أ.د/ محمد محمد الكحلاوي

عمارة المدرسة في مصر والحجاز

(في القرن ٩ هـ / ١٥ م) دراسة و مقارنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الحضارة الإسلامية

إعداد

الطالب / عدنان محمد فايز الحارثي

إشراف

الأستاذ الدكتور / ضيف الله يحى الزهراني

المجلد الأول

جمادى الأولى/١٤١٦هـ - أكتوبر/١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن موضوع الدراسة يتكون من تمهيد ينقسم إلى فقرتين أولاهما تتناول موقف الإسلام من طلب العلم ، وثانيهما تعالج النظريات التي تطرقت إلى أصل نظم التخطيط المدرسي .

أما متن الدراسة فيتكون من محورين أساسيين ، أولهما الدراسة الوصفية ، والذي يتكون من بابين ، يتضمن الأول وصفاً لثلاثة مدارس من المدارس المصرية كل منها يعبر عن طراز معماري مميّز ، بينما يشمل الثاني وصفاً لثلاثة مدارس من المدارس الحجازية ، اثنتان في مكة المكرمة وواحدة في المدينة المنورة ، ولكل منها طراز معماري مميّز . ولقد تم في هذا المحور التركيز على إبراز نظم التخطيط المتبعة في هذه المدارس ، مع إبراز أهم العناصر المعمارية والزخرفية . كما اشتمل هذا الباب على نبذة موجزة عن منشيء هذه المدارس وتاريخ إنشائها ووظائفها التعليمية ، وغير التعليمية .

أما المحور الثاني من الدراسة فقد خصص للدراسة التحليلية والمقارنة في باب واحد ، يشمل دراسة تأصيلية لنظم التخطيط وعناصرها بالإضافة للعناصر المعمارية والزخرفية . كما تضمن هذا الباب دراسة مقارنة مع معظم منشآت فترة الدراسة الباقية والمندثرة التي يتوفر عنها معلومات سواء في المصادر أو من خلال الوثائق أو الصور والخرائط ، بحيث تشمل هذه الدراسة الطرز المختلفة المتبعة في نظم التخطيط ، وأسلوب توزيع عناصر التخطيط ضمن كتلة المنشأة وأبرز مكونات كل عنصر ، وخصائصه الوظيفية والمعمارية . بالإضافة إلى استخدامات العناصر المعمارية والزخرفية في عمائر ذلك العصر .

ولقد تسنى لهذه الدراسة بفضل من الله تحقيق نتائج عدة أبرزها مايلي :

أولاً – كشفت الدراسة عن وجود أكثر من نظام من نظم تخطيط المدارس في ذلك العصر وأنه يتبع كل منها طرز متعددة .

ثانياً – تبين للدراسة أن نظام القاعة المغلقة والمتبع في عمارة بعض مدارس ذلك العصر إنما جاء نتيجة لمحاولات تطويرية عدة قام بها المعمار المسلم بهدف تحسين أساليب عمارة المدارس وتخطيطها .

ثالثاً – كشفت الدراسة على أن المدرسة أضحت تتكون في القرن التاسع الهجري من كتل عدة تشمل بالإضافة إلى قاعات الدرس والصلاة ، المكتبة ووحدات الإسكان وغير ذلك من المرافق ، والتي عمل المعمار المسلم على توزيعها بطريقة تضمن الاستغلال الأفضل لمساحة البناء المتاحة .

رابعاً – تبين للدراسة أنه على الرغم من تأثر عمارة المدارس في الحجاز بنظيرتها في مصر ، فإن هناك خصائص إقليمية ميزت المدارس الحجازية سواء من حيث الوظيفة أو التخطيط أو العناصر المعمارية .

وبالله التوفيق .

الطالب	المشرف على الرسالة	عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
عدنان بن محمد بن فايز الحارثي	د/ضيف الله بن يحى الزهراني	د/محمد بن صامل السلمي

شكر وتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه ، لا بد من الشكر لصانع المعروف وصاحب الجميل ، لأن ذلك من شكر الله عزَّ وجلّ .

وأود هنا في البداية شكر الوالدين الكريمين ، فقد كان لتأثيرهما ، وتشجيعهما أكبر الأثر في إنجاز هذا العمل ، وكان دعائهما مفتاح الأبواب المغلقة ، وممهداً للطرق الوعرة ، أمد الله في عمرهما ، ومتعهما برضوانه ، وبالصحة والعافية .

كما أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني ، الذي بذل الكثير من الجهد لإخراج هذا البحث ، توجيهاً ومتابعة وقراءة ، وحرصاً أكيداً على أن يصل هذا البحث إلى أكمل صوره وأفضل مراحله .

وأود أن أشيد بسعة دربته وحنكته الأكاديمية ، والتي أسهمت في أن يتجاوز البحث الكثير من العقبات التي واجهته ، أسأل الله عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من تعاون في إخراج هذا البحث ، وعلى رأسهم أولئك الذين شاهدوا واستخدموا المدارس الحجازية وسمحوا بإجراء المقابلات معهم لإكمال المادة العلمية ، وهم سعادة الأستاذ محمد نور خوقير وسعادة الأستاذ مشرب أندجاني ، وسعادة الدكتور أسامة الراضي وسعادة الأستاذ عبدالرحمن دفتردار .

كما أود أن أشكر من أعانني في الوصول إلى اللوحات والخرائط الخاصة بالبحث ، بالإضافة إلى ما قدمه بعضهم من مشورة في مجال المادة العلمية ، وهم :

الدكتور سامي عنقاوي ، مدير عام مدرسة مؤسسة عمار للتراث ، والدكتور جمال عبد الرحيم ، الأستاذ المساعد بكلية الآثار بجامعة القاهرة ، والدكتور معراج مرزا ، الأستاذ بقسم الجغرافيا بجامعة أم القرى ، والدكتور سعد الدين أونال ، الباحث بمركز أبحاث الحج ، والأستاذ الشريف مساعد بن منصور آل زيد ، والأستاذ صالح حجار .

وأتقدم بالشكر أيضاً لمعالي الأستاذ الدكتور راشد الراجح ، مدير الجامعة السابق ، ومعالي الدكتور سهيل قاضي ، مدير الجامعة ، وسعادة عميد كلية الشريعة السابق الدكتور عابد السفياني ، وسعادة العميد الحالي الدكتور محمد بن صامل السلمي ، وسعادة رئيس قسم الحضارة والنظم الإسلامية بالجامعة، وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية. بالإضافة إلى الرسامين والطباعين والفنين وغيرهم ممن أسهم في إنجاز هذا العمل ، والذين لا يسع المقام لذكرهم . فأشكرهم جميعاً وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .


المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

إن لكل دراسة أو بحث أهداف متعددة الجوانب ، مختلفة الأبعاد . وفي هذا الإطار تندرج أهداف هذه الدراسة ، إلى أهداف عامة وخاصة .

فبالنسبة للأهداف العامة ، فيمكن حصرها في جانبين أساسيين :

أولهما : يرتبط بالتكوين الثقافي للمجتمع ، والذي يكون دائماً مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بالفكر التاريخي والحضاري . ففي هذا الفكر معين خصب تستزيد منه البشرية في فهم الظواهر الانسانية بأوجهها المتعددة ، ودراسة إشكاليات الحياة ، والأزمات الاجتماعية بأنواعها المختلفة .

ولذلك كان الفكر التاريخي الحضاري ، منبع وأصل معظم العلوم والدراسات الانسانية المعاصرة .

وبالتالي فإن إزدهار الفكر التاريخي الحضاري لدى أي مجتمع ، ينعكس إيجاباً على العلوم الانسانية المختلفة ؛ فينمو الفكر الاقتصادي وتتطور نظريات الاجتماع والإدارة والسياسة

وغير ذلك ... بل إن هناك من الفنون التطبيقية ما تحتاج في بعض جوانبها إلى دراسة تاريخها حتى يتسنى الاستفادة من التجارب السابقة ، في دعم الاتجاهات النظرية المعاصرة .

ومن الأمثلة على ذلك أن دراسة تاريخ العمارة وفنون البناء ، أسهم في تقديم نظريات وأساليب جديدة في هذا المجال .

أما الجانب الثاني من جوانب الأهداف العامة ، فيرتبط بدراسة التاريخ الحضاري للمسلمين ، والذي له أهمية خاصة ترتكز على ربط المسلمين بماضيهم العريق ، مما يولّد لديهم الانتماء لعقيدتهم وثقافتهم الاسلامية . ويزيد من تمسكهم بها والمحافظة عليها .

أما الأهداف الخاصة فيمكن حصرها في ثلاثة جوانب أساسية :

أولها : مرتبط بدراسة جانب من جوانب تاريخ العمارة الإسلامية . ومن المعروف أن أي حضارة من الحضارات تكون العمارة والفنون الصناعية فيها مرآة تعكس مدى ما وصلت إليه هذه الحضارة من تطور ورقي وازدهار .

ولقد شهدت الحضارة الاسلامية منذ بداية بزوغ فجرها المبارك نهضة معمارية عمرانية ، فحيثما حل المسلمون كانوا ينشؤون المدن ويبنون المساجد والبيوت والقلاع وغير ذلك من المنشآت العامة والخاصة .

واستمرت حركة البناء هذه تتواصل عبر الدول والعصور ، حتى بلغت ذروة تطورها في فترة الدراسة . ومن هنا فإن دراسة

العمارة الاسلامية في هذه الفترة يعد محاولة للتعرف بعمق وعن كثب لما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في هذا الجانب من تطور وازدهار .

أما ثاني هذه الجوانب ، فيرتبط بالمدرسة كمنشأة تعليمية ، تميزت بطراز معماري خاص بها .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن المقصود بالمدرسة في الحضارة الإسلامية ، مؤسسات للتعليم العالي ، تماثل الجامعات في الوقت الحاضر . وهي بصورتها وتنظيماتها تعد من ابتكار المسلمين ، ومن إبداعات حضارتهم .

ولقد مرت هذه المؤسسات التعليمية بتطورات وظيفية بلغت بها الذروة في القرن التاسع الهجري ، مما يتطلب معه البحث في أثر ذلك على عمارتها .

وثالث هذه الجوانب ، ينحصر في جعل نطاق الدراسة ضمن إقليمين إسلاميين هما مصر والحجاز . فإن ذلك مرده أن الأول كان في تلك الفترة في قمة إزدهاره الحضاري .

وعلى الرغم من أن المدارس في مصر قد درست عمارتها ، فإن الدراسات التي تمت في هذا الشأن ترتكز بشكل أساسي على دراسة كل مدرسة كوحدة مستقلة بذاتها . ولا توجد دراسات تتطرق إلى عمارة المدارس في إطارها العام ، بحيث يتسنى من خلالها التعرف على مظاهر التنوع في عمارتها ، وهو ما قامت هذه الدراسة بالتركيز عليه ومحاولة استجلائه على أكمل وجه .

أما بالنسبة للحجاز ، فإن قلة الدراسات الخاصة بتاريخ

العمارة فيه ، وانعدامها في مجال عمارة المدارس ، يعد دافعاً كافياً نحو سد الفراغ واستكمال النقص في هذا المجال . بل إن دراسة عمارة المدارس في الحجاز مكننا من التعرف على مدى التأثير المعماري لمصر على هذا الإقليم بحكم أنه كان تابعاً لها من جهة ، ومن جهة أخرى ، التعرف على مدى تأثير الخصائص الإقليمية على هذه العمارة ، وأثر ذلك في إعطاء العمارة الحجازية مدى معين من الخصوصية والذاتية .

وفي ضوء الأهداف السابقة ، وهي أهداف يمكن تحويلها إلى معطيات تشحذ الذهن وتدفع الهمم . قرر الطالب مستعيناً بالله دراسة موضوع [عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري – دراسة ومقارنة] .

ومن خلال الاستقراء الواسع لجزئيات الموضوع من المصادر والمراجع المختلفة ، تم بناء البحث على أن يتكون من ثلاثة أبواب يسبقها تمهيد .

الباب الأول : نماذج لعمارة المدارس في مصر .

ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول ، بحيث يشمل كل منها دراسة وصفية لطراز من طرز عمارة المدارس في مصر .

ففي الفصل الأول جرى اختيار مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء . وهذه المدرسة تمثل أقدم نموذج باقي للمدارس ذات التخطيط الرواقي ، بل ومن أكثرها أهمية على الإطلاق ، نظراً لضخامتها من جهة ، وتميزها من جهة أخرى . حيث تحتوي بالإضافة إلى الأروقة الأربعة ، على مئذنتين ومكتبي سبيل ، وملاحق مختلفة لا زالت معالم معظمها باقية حتى الوقت الحاضر .

ويتناول الفصل الثاني ، مدرسة برسباي بالأشرفية ، وهي تمثل أبرز المدارس ذات التخطيط المتعامد والصحن المكشوف ، في فترة الدراسة ، ولا زال بها بعض الملاحق باقية حتى الوقت الحاضر، بينما يمكن التعرف على بقية ملاحقها من خلال حجتها الشرعية التي لا زالت موجودة .

أما الفصل الثالث ، فيختص بمدرسة قايتباي ، وتمثل هذه المدرسة قمة ما وصلت إليه عمارة نظام القاعة في ذلك العصر ، حيث تتكون من صحن مسقوف يتوسط إيوانين متقابلين ، وسدلتين جانبيتين . وتعد هذه المدرسة بتخطيطها وعمارتها وزخارفها من أجمل ما أنتجته الحضارة الإسلامية في مجال العمارة وزخارفها .

أما الباب الثاني فعنوانه نماذج من عمارة المدارس في الحجاز.

وينبغي الإشارة هنا أن الذي تحكم في اختيار المدارس الثلاثة ، التي تتكون منها الفصول الثلاثة لهذا الباب ، ليس نوعية الطراز التي تنتمي إليه كل مدرسة ، وإنما ما توفر للبحث من معلومات عن المدارس الحجازية .

ويتناول الفصل الأول في هذا الباب ، المدرسة الباسطية بمكة المكرمة . وهي مدرسة تتسم بطراز معماري اختصت به المدارس الحجازية ، وهو نظام الحجرة . حيث جرى فيه تخصيص حجرة كقاعة للدرس بدلاً من الرواق والإيوان ، اللذان عادة ما يقومان بهذه المهمة .

أما الفصل الثاني فيتناول المدرسة الباسطية بالمدينة



المنورة ، وهي مدرسة ذات إيوان واحد لا يشرف على صحنها .

وفي الفصل الثالث ، جرى وصف مدرسة قايتباي بمكة المكرمة ، وتعد هذه المدرسة من أبرز المدارس التي أنشئت في الحجاز في فترة الدراسة . ومن أهم ما يميزها أننا نرى فيها تأثيراً واضحاً للعمارة المصرية . وبذلك يمكن - وإلى حد بعيد - اكتشاف مجالات التنوع في أنظمة التخطيط المدرسي في الحجاز .

وقد توفر للبحث معلومات قيمة ومفيدة عن بعض المدارس الحجازية الأخرى وبخاصة المدرسة البنجالية وقد ساعدت هذه المعلومات في الدراسة التحليلية والمقارنة .

ويمثل الباب الثالث : الدراسة التحليلية والمقارنة .

ويجري في هذا الباب توظيف المعلومات التي في الدراسة الوصفية مع ربطها بما يتوفر من معلومات عن عمارة المدارس في مصر والحجاز بشكل عام . فيتسنى بذلك تقديم تصور متكامل عن عمارة المدارس في كلا الإقليمين ، سواء من ناحية التخطيط أو العمارة مع تأصيل كل ذلك .

ويتكون هذا الباب أيضاً من ثلاثة فصول . أولها يعنى بأنظمة التخطيط ، حيث جري فيه عرض طرز التخطيط في كل من مصر والحجاز ، ومجالات التنوع في كل طراز ، ومدى انتشاره ، وبداية ظهوره في كلا الإقليمين .

أما الفصل الثاني ، فيعالج عناصر التخطيط ، إذ أن كل مدرسة تتكون من كتل معمارية .

وقد تميزت كثير من مدارس ذلك العصر بأنها تحتوي على

عدد كبير من الوحدات ، تشكل عناصر تخطيط المنشأة . وبالتالي فإن دراسة الأساليب التي اتبعها المعمار في توزيع هذه الوحدات في مصر والحجاز ، يعد أمراً بالغ الأهمية ، من حيث إثرائه لمستوى معرفتنا عن أساليب التخطيط والعمارة في ذلك العصر . مع الإشارة إلى العناصر التي ظهرت في إقليم ولم تظهر في الآخر وهكذا ...

أما الفصل الثالث ، فإنه يتناول أبرز العناصر المعمارية والزخرفية ، التي سادت في مدارس ذلك العصر ، مبيناً كيف تم توظيفها في عمائر ذلك العصر ، وما هي أصولها ، وأبرز مراحل تطورها وصولاً إلى القرن التاسع الهجري مع الإشارة إلى الفروق الإقليمية بين الحجاز ومصر في هذا الشأن .

ومما يجدر الإشارة إليه هنا ، أن الطالب ، ومن خلال رغبته الأكيدة في تقديم صورة متكاملة عن عمائر ذلك العصر ، عمل على أن يتجاوز في دراسته نطاق القرن التاسع الهجري . ولكن دون الخروج عن العصر الجركسي عموماً ، لأن الفترة الزمنية التي تسبق عصر الدراسة بقليل أو تتلوها ، تمثل مقدمات أو امتدادات لها .

كذلك حرص الطالب على عدم الاستفاضة في موضوع القباب ، بحكم أن جل استخدامها في عمائر ذلك العصر ، كان كمقابر لدفن الموتى ، وهو ما يخالف أحكام الشريعة الإسلامية . علاوة على أنها لم تخدم الغرض التعليمي للمدارس ، بالإضافة إلى أنها درست دراسة موسعة من قبل عدد من الباحثين ، مما ينفي الحاجة إلى دراستها إلا وفق ضرورات الدراسة الوصفية كما هو مبين في موضعه .

أما بالنسبة للمشكلات التي واجهت الباحث فهي كثيرة ، والحمد لله على كل حال ، حيث تميزت دراسة المدارس في مصر بوجود صعوبات ذات خصائص معينة ، بينما تميزت في الحجاز بوجود صعوبات من طابع آخر يناقض في بعض الأحيان ما هو موجود في مصر .

فبالنسبة لمصر ، فإن أول ما يصادف الباحث هو كثرة المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة ، فهناك ما يقارب الأربعين مدرسة لا تزال باقية حتى الوقت الحاضر ، وهناك عدد مماثل تقريباً من حجج الوقف ، بالإضافة إلى العشرات من المصادر ، وما يماثلها من المراجع ، والتي توزعت بين الكتب ، والرسائل العلمية ، والدوريات .

وبين كل ذلك نجد التعارض في الآراء ، والاختلاف في المواقف ، مما يجعل الباحث في حيرة من أمره ، وفي حاجة ماسة إلى أن يعمل التفكير تارة بعد أخرى ، حتى يجد مخرجاً ، أو يتبنى رأياً ، ويتخذ موقفاً واضحاً . وكل ذلك أخذ من الجهد والوقت الشيء الكثير .

كذلك فإن دراسةالوثائق تطلب الكثير من الجهد والوقت ، فوثيقة كافور الزمام على سبيل المثال بلغ طولها خمسة وسبعون متراً . وقراءة وثيقة كهذه يتطلب جهداً كبيراً وزمناً طويلاً ، خاصة وأن زمن الإطلاع في دار الوثائق يبلغ أربع ساعات يومياً .

ويضاف إلى ذلك ، أن تعدد العمائر وفر للدراسة المقارنة ، مادة علمية واسعة ومتنوعة ، نظراً لأن كل مدرسة لا بد وأن تختلف عن الأخرى ، إن لم يكن في نظم التخطيط وطرزها ، فيكون

في عناصرها وكيفية توزيعها واستخدامها ، سواء على مستوى عناصر التخطيط ، أو على مستوى العناصر المعمارية والزخرفية . وعلى الرغم مما يكمن في ذلك من عناصر الروعة والجمال والإبداع، فإنه يكمن فيه أيضاً صعوبة تقديم ذلك ميسراً وسهلاً للقاريء . فعرض كل موضوع وما يرتبط به من عناصر للمقارنة يتطلب اختيار عدد محدود من الأمثلة من بين العشرات منها . مما يعني بدوره إختيار عدد محدود من البطاقات واللوحات من بين عشرات البطاقات واللوحات والأشكال . وتكمن الصعوبة هنا في البحث عن الأنسب والأمثل بالنسبة لكل موضوع من موضوعات المقارنة . فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد هذه الموضوعات يصل إلى المئات ، فهذا يعني ان الاختيارات تصل إلى الآلاف .

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لمصر ، فإن الأمر على النقيض منه في الحجاز ، حيث واجه البحث قلة في المعلومات وندرتها ، بل وانعدامها في بعض الأحيان . لأن المدارس الحجازية التي تعود لفترة الدراسة إندثرت تماماً ولم يعد لها وجود في الوقت الحاضر .

ولذلك فقد انطلقت الدراسة بالنسبة لهذا الجانب على أساس أن يتم تقوية هذا النقص في المعلومات بالإعتماد على وثائق العصر الجركسي ، والتي تتميز بأنها تقدم وصفاً معمارياً تفصيلياً للعمائر الموقوفة ، سواءً أكانت مساجد أو مدارس أو غيرها ...

وبالتالي فإن من المؤكد أن للمدارس الحجازية التي أنشأها سلاطين وأمراء المماليك ، حججٌ وقفية في مصر ، كما هو الحال بالنسبة للمدارس التي أنشئت في بلاد الشام كدمشق ، وحلب وبيت المقدس وغزة ، وغير ذلك ...

وبعد أن تمكن الباحث من الحصول على تصاريح الاطلاع في جهات حفظ الوثائق بمصر ، وبعد البحث الذي استغرق فترات طويلة ، تبين أن سلاطين وأمراء ذلك العصر لم يعنوا بتوثيق منشآتهم التي أنشأوها في الحجاز في حجج وقفية في مصر .

وإزاء هذا الوضع ، عمل الطالب على البحث عن هذه الحجج لدى الجهات المعنية بالأوقاف بمكة المكرمة والمدينة المنورة . وتبين له من بحثه هذا ، وجود سجلات تتعلق باستغلال بعض هذه المنشآت ، ولكن لا يتوفر ضمن ذلك مادة علمية تخدم أهداف الدراسة . وتبعاً لذلك ، عمل الطالب على استكمال معلوماته عن المدارس الحجازية من منابع أخرى ، تضاف إلى ما ورد في المصادر التاريخية .

وهنا اتجه الباحث نحو تصفح الصور القديمة التي التقطت للمدينتين المقدستين ، بالإضافة إلى الخرائط ، حيث تمكن من خلال ذلك من توفير مادة علمية مناسبة ، أسهمت في سد جوانب نقص كبيرة ، وقام الطالب أيضاً بالحث عمن شاهدوا هذه العمائر واستخدموها قبل هدمها ، مما أدى إلى استكمال بقية الجوانب الناقصة في هذا المجال .

وأضحى بالإمكان إيجاد تصور واضح ودقيق عن عمارة المدارس الحجازية في فترة الدراسة .

وبطبيعة الحال فإنه لا يفوت أي قاريء إدراك مدى صعوبة الوصول إلى كل ذلك . فمن كان يتصور أن تقوم هيئة المساحة المصرية ، بعمل خرائط للمدينتين المقدستين ، ويظهر عليهما مساقط لبعض المدارس الجركسية ، ومن كان يتصور أن تقوم

عدسة التصوير بعمل لوحات للعمائر في المدينتين المقدستين منذ أكثر من مئة سنة . ويظهر من خلال ذلك أجزاء من مدارس جركسية . وأين توجد هذه الصور ، وهل هي ضمن مجموعات تملكها مؤسسات حكومية أو خاصة ، أو أفراد . إن الوصول إلى كل ذلك تطلب جهداً مضنياً استغرق عدة سنوات .

كذلك فإن التعرف على من شاهد هذه العمائر واستخدمها وموافقتهم على إجراء المقابلات معهم ، لم يكن ليمر بيسر وسهولة ، بل تطلب أيضاً الكثير من الوقت والجهد .

هذه هي قصة هذا البحث ، ومشواره الذي قد يبدو طويلاً في ظاهره ، بينما هو في الحقيقة قصير في حق طلب العلم ، والسعي وراء المعرفة .

وفي الختام ، فإن وفقت في تحقيق الأهداف المنشودة ، فإن ذلك ما كان ليحدث لولا فضل الله عز وجل وتوفيقه ورعايته . أما عن أوجه القصور التي قد تظهر هنا وهناك ، فهذا من طبيعة البشر ، لأن الكمال لله عز وجل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الطالب / عدنان محمد فايز الحارثي

تعريف بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة

لقد استفاد البحث من عدد من المصادر والمراجع التي زودته بما يحتاجه من مادة علمية ، ثم من خلالها تكوين الجزء الأساسي من بنيانه ، ومن أبرز هذه المصادر والمراجع مايلي :

كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار [1] :

وهو من تصنيف صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، الشهير بابن دقماق ، والمتوفى سنة « ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦م » . ووالده من أمراء دولة المماليك وأعيانها . نشأ وترعرع في مدينة القاهرة وبها تعلم الفقه والتاريخ ، الذي كان له فيه العديد من المؤلفات أبرزها كتابه هذا[2] . والمكون من مجلدات عدة تتضمن الجغرافيا العمرانية والاقتصادية لمصر ومدنها وقراها . وقد فقد معظمها ، ولم يبق منها سوى جزءان يشتملان في الغالب على ذكر للفسطاط وخططها وأبرز عمائرها[3] .

---

(١) قام بالعناية بنشر هذا الكتاب لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٢) إبن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، مقدمة المحقق ، ص ٨ – ١٥ ، ابن العماد ، عبد الحي الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ج٧/ ص ٨٠ – ٨١ . محمد عبدالله عنان ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م ، القاهرة ، ص ٤٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٤٨ ، وانظر هامش ٣ من نفس الصفحة .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي استفاد منها البحث من هذا الكتاب إلا أنها تظهر بشكل جلي في النصوص التي أمكن من خلالها تأصيل بعض نظم التخطيط المدرسي بالإضافة إلى تعريف بعض المنشآت التي ورد ذكرها في ثنايا فصول البحث .

كتابا شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين(١) :

وكلاهما لمحمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي ، المعروف بتقي الدين ، المتوفى سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م . ولد بمكة وقضى نشأته في المدينة المنورة ، وعاد في شبابه إلى مكة المكرمة حيث أخذ ينهل من علمائها ، وارتحل بعد ذلك طالباً للعلم ، وعندما عاد إلى مكة المكرمة أخذ أمره بالصعود حتى ولي عدداً من المناصب الإدارية والعلمية ، له مصنفات عدة أبرزها هذين الكتابين(٢) .

---

(١) قام بتحقيق الأول عبدالسلام التدمري ، وطبع طبعة ثالثة سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م في بيروت ، أما الكتاب الثاني فقد عني بنشره مجموعة من الباحثين دون أن يقوموا بتحقيقه وضبط نصوصه . ونشرت أجزائه الثمانية على فترات فيما بين سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٩م وسنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م بالقاهرة .

(٢) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ / ص ٧-٩ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ج٧ / ص ١٩٩ ، محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة « من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر » « جمع وعرض وتعريف » الطبعة الأولى ١٩٩٤م ، ص ١١٣ – ١١٥ ، بندر محمد رشيد الهمزاني ، علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، رسالة ماجستير =

ويعد كتاب شفاء الغرام من المصنفات المميزة عن تاريخ مكة المكرمة ، حيث يحتوي على معلومات متنوعة عنها ، تشمل النواحي العمرانية والاقتصادية والدينية والاجتماعية . ولقد استفاد البحث كثيراً من هذا الكتاب لما يحتوي عليه من معلومات عن مدارس مكة حتى زمن المؤلف ، بالإضافة إلى أوصافه المستفيضة عن الحرم المكي الشريف والتي أفادت البحث في إجراء المقارنات المعمارية .

أما كتاب العقد الثمين ، والمكون من ثمانية أجزاء ، فهو في الأصل كتاب تراجم لأمراء مكة وأعيانها ، وإن كان قد بدأ فيه مؤلفه بإيراد بعض المعلومات عن مكة تتضمن فضائلها وأسمائها ، وأشهر عمائرها(١) . ولقد استفاد البحث من هذا الكتاب في ترجمة بعض من وردت أسمائهم في متن الدراسة ، بالإضافة إلى بعض النصوص عن بعض المدارس التي أنشأها هؤلاء بمكة المكرمة أو المدينة المنورة .

كتابا المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، والسلوك لمعرفة دول الملوك(٢) :

وكلاهما لتقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي

= كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ١٣ .

(١) أسرة الهواشم ، ص١٣-١٤.

(٢) قام بتحقيق قسم من هذا الكتاب المستشرق الفرنسي بول كزانوفا . =

الشافعي ، والمتوفى سنة « ٨٤٥هـ/١٤٤١م » [١]. أبرز مؤرخي مصر في العصر الجركسي ، له العديد من التصانيف في علوم شتى ، أبرزها علم التاريخ[٢] .

وكتاب المواعظ والاعتبار ، المشهور بالخطط المقريزية ، موسوعة متكاملة عن تاريخ مصر وجغرافيتها ، وإن كان تركيزه ينصب على جغرافية عواصم مصر الإسلامية وعمرانها[٣] . وقد استفاد منه البحث ، فيما يوفره من نصوص قيمة عن مدارس

= ولم يتسنّ لي الإطلاع على عمله هذا . ونشر الكتاب كاملاً غير محقق في القاهرة طبعة بولاق المعروفة ، وأعادت دار صادر ببيروت طبعاتها بالأوفست . أما كتاب السلوك فقد قام محمد مصطفى زيادة بتحقيق جزئيه الأولين بينما أتم سعيد عاشور تحقيق بقية الكتاب ، ونشر الكتاب على مراحل فيما بين سنتي ١٩٣٤م – ١٩٧٣م .

(١) ابن حجر ، الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، بيروت ج ٩ / ص ١٧٠ – ١٧٢ ، الشوكاني محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، بيروت ، ج١ / ص ٧٩ ، ٣٣٨ – ٣٣٩ ، محمد عبدالله عنان ، مؤرخوا مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري ، القاهرة ص ٨٥ – ١٠٤ .

(٢) المقريزي ، أحمد بن علي ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة . تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م . بيروت ، مقدمة المحقق ، ج١ / ص ٣٤ – ٣٧ ، مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب « قسم الأدب » الطبعة الرابعة ، ١٩٨٢م ، بيروت ، ص ٧٤٦ – ٧٤٧ .

(٣) محمد عبدالله عنان ، مصر الإسلامية ، ص ٥٤ .

القاهرة ، أمكن من خلال بعضها التعرف على أصول بعض نظم التخطيط المدرسي .

أما كتاب السلوك ، فهو كتاب يؤرخ للدول والملوك الذين تولوا حكم مصر منذ بداية العصر الأيوبي ، حتى عصر المؤلف ، مرتباً حوادثه ترتيباً سنوياً[١] .

ولقد أفاد هذا الكتاب البحث بما احتواه من معلومات قيمة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في النصف الأول للقرن التاسع الهجري مما مكّن من فهم الظروف المختلفة التي أنشئت فيها بعض العمائر التي تطرقت إليها الدراسة الوصفية .

كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى[٢]:

من تصنيف محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي المكي الشهير بالنجم عمر[٣] ، المتوفى سنة « ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م » . ولد بمكة المكرمة ، وبها تلقى تعليمه على يد أبرز علماء ذلك العصر ، ثم رحل لطلب العلم في أقاليم مختلفة

---

(١) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ / ص ٥ - ٦ .

(٢) حقق فهيم شلتوت الأجزاء الثلاثة الأولى من الكتاب بينما حقق عبدالكريم باز الجزء الرابع . وقد نشرت جامعة أم القرى هذا الكتاب فيما بين عامي ١٤٠٣هـ - ١٤٠٨هـ .

(٣) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ؛ بيروت ، ج٦ / ص ١٢٦ .

من العالم الإسلامي[١] .

وللنجم عمر مؤلفات عدة في التاريخ وعلم الحديث ، أبرزها كتابه هذا الذي رتب حوادثه بحسب السنين ، تضمنها الكثير من المعلومات عن مكة المكرمة ، وتاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني[٢] . واستفاد البحث منه كثيراً خاصة فيما قدمه من معلومات عن العديد من المدارس التي أنشئت في العصر المملوكي .

كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع [٣] :

للحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي الشافعي ، وكنيته « أبو الخير » ، المتوفى سنة « ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦م » . ولد بالقاهرة وبها نشأ وتعلم قبل أن يرحل طالباً

---

(١) إبن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مقدمة المحقق ج١ / ص ٨ – ١٤، محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ، ص ١٤٧ – ١٥٨ . ناصر ابن سعد الرشيد ، بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة والتعريف بمخطوط النجم بن فهد ، إتحاف الورى باخبار أم القرى ، بحث ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م . الرياض ج٢/ص٦٩-٧٠.

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج١ / ص ١٧ – ١٨ ، محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ، ص ١٤٩ ، بندر الهمزاني ، علاقات مكة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، ص ١٦ .

(٣) نشرت مكتبة دار الحياة ، بيروت هذا الكتاب متضمناً بعض التصحيحات والتعليقات بيد أنه لم يجر تحقيقه حتى الوقت الحاضر رغم أهميته .

للعلم ، وقد برع في علوم شتى أبرزها التاريخ والحديث[١] .

وكتاب الضوء اللامع ، يعد سفراً كبيراً ، لما يحتويه من ذكر لتراجم الأعيان في القرن التاسع الهجري ، مرتبين على حروف المعجم [٢]. وقد استفاد البحث منه كثيراً خاصة في التراجم ، وذكره لوظائف منشآت ذلك العصر ، وما يحتويه بعضها من وحدات معمارية .

كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى [٣] :

من تأليف نور الدين علي بن أحمد بن عيسى السمهودي . ولد بمصر ، وبها نشأ وتعلم ، قبل أن ينتقل إلى المدينة المنورة ، ويستقر به المقام ، حيث توفي سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م [٤] ، تاركاً عدة مؤلفات أبرزها كتابه هذا [٥]. والذي يعد كتاباً شاملاً عن أخبار المدينة وآثارها [٦]، وبخاصة عمارة الحرم النبوي الشريف .

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٨ / ص ١٥-١٧ ، مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ص ٧٥١ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١/ ص ٥ .

(٣) قام بالتعليق عليه والعناية بنشره محمد محي الدين عبدالحميد ونشرته دار إحياء التراث العربي ببيروت وطبع عدة مرات ، آخرها الطبعة الثالثة سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، والتي اعتمد عليها البحث هنا .

(٤) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٨/ ص ٥٠ - ٥١ .

(٥) السمهودي ، وفاء الوفاء ، مقدمة المحقق ج١ / ص ٥ .

(٦) محمد هزاع الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص « ع » .

واستفاد البحث منه في الدراسة الوصفية والتحليلية .

كتاب بلوغ القرى في الذيل على إتحاف الورى [(١)]:

لعبد العزيز بن النجم عمر بن فهد الهاشمي ، المتوفى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م من بيت علم وتأريخ ، ولد بمكة وبها كانت نشأته وتعليمه ، ليرحل بعد ذلك طلباً للعلم . برع في علم الحديث بالإضافة إلى التاريخ[(٢)] .

وكتابه هذا ذيل على كتاب والده السابق ذكره ، حيث سار على نفس منهجه في تدوينه[(٣)] ، وقد استفاد منه البحث كثيراً فيما ذكره من نصوص عن مدرسة قايتباي ، أمكن من خلالها تحديد بعض معالمها المعمارية .

كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور [(٤)] :

من تصنيف محمد بن أحمدبن اياس الحنفي المتوفى سنة

---

(١) لا يزال الكتاب مخطوطاً وله نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى برقم ٢٧٤٧ .

(٢) عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م مكة المكرمة ، مقدمة المحقق ٧ - ١٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٨ / ص ١٠٠ - ١٠٢ ، محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٧٠ - ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق نفسه ص ١٧٢ .

(٤) قام بنشر هذا الكتاب وضبط نصوصه محمد مصطفى زيادة ، وطبعته جمعية المستشرقين الألمانية ، سنة ١٩٧٥م وأعادت الهيئة العامة المصرية للكتاب طبعه ثانياً سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٩٢٨هـ/١٥٢٢م وهو من سلالة أمراء المماليك ، وله عدة مؤلفات في التاريخ[١] ، أبرزها كتابه هذا ، والذي يتحدث عن تاريخ مصر منذ بداية العصر الإسلامي ، وإن كان قد بدأه بموجز عن جغرافية مصر وفضائلها وشيء من تاريخها القديم[٢].

وتكمن أهمية هذا الكتاب بما تضمنه من معلومات تاريخية عن فترة الدراسة تشمل الحوادث السياسية والمظاهر الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، مع ذكر للكثير من العمائر التي أنشئت في تلك الفترة ، ووظائفها ، وظروف إنشائها ، أفادت البحث كثيراً ، سواء في الدراسة الوصفية أو التحليلية .

كتاب الأعلام بأعلام بلد الله الحرام [٣]:

لقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي الشهير بالقطبي ، والمتوفى سنة [٩٩٠هـ / ١٥٨٢م] [٤]. ولد بالهند وبها نشأ ثم ارتحل بعد ذلك حتى استقر به المقام في مكة المكرمة ، حيث

---

(١) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤م ، ج٦ /ص٥.

(٢) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مقدمة المحقق ، ج١/ق١/ص٧.

(٣) طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة وقد اعتمد البحث على طبعة حجرية غير مؤرخة ومحفوظة بقاعة مكة المكرمة بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى.

(٤) ابن العماد ، شذرات الذهب ج ٨ / ص ٤٢٠ .

حظي عند أمرائها وكان له اتصال بسلاطين آل عثمان[١] .

وللنهروالي مؤلفات عده منها كتابه هذا والمتضمن وصف لمكة المكرمة وموقعها وتكوينها العمراني ، وذكر لعمارة المسجد الحرام . ومن ولي حكمها من الدول الاسلامية وصولاً إلى دولة آل عثمان بالإضافة لذكر ما بها من مباني دينية [٢].

ولقد قدم الكتاب للبحث نصوص جيدة عن عمائر مكة ، وبالأخص المدارس التي تضمنتها الدراسة الوصفية .

كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام « بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم وغير ذلك » [٣] :

من تأليف حسين عبدالله باسلامة الحضرمي ، وفيه تتبع تاريخي دقيق لعمارة المسجد الحرام كما أن المؤلف عايش التوسعة السعودية الأولى . فتمكن من مشاهدة الحرم وما يحيط به من منشآت فأشار إليها .

وقرأ الكثير من النصوص التأسيسية التي على أبواب الحرم . ومنها نصوص تعود للعصر الجركسي أفادت البحث وبخاصة النص التأسيسي لمدرسة قايتباي بمكة المكرمة كما أنه

---

(١) عبد الكريم القطبي ، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام تحقيق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعي ، عبدالله الجبوري ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، الرياض ، مقدمة المحققين ، ص ١٣ – ١٩ .

(٢) محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

(٣) طبع الكتاب طبعات ثلاث آخرها سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، في جدة .

أورد معلومات عن عمارة الحرم المكي في العصر الجركسي استفاد منها البحث كثيراً .

كتاب مدارس مكة [١] :

للأستاذ ناجي معروف ، والذي يعد أقدم من كتبوا عن المدارس الاسلامية ، وعلى الرغم من صغر هذا الكتاب فإن له الأسبقية في كتابة هذا الموضوع حيث تناول تاريخ انشاء المدارس في مكة منذ دخولها حتى العصر العثماني فكانت له فائدته في التعرف عليها والترجمة لها .

كتاب معاهد تزكية النفوس [٢]:

من تصنيف دولت عبدالله ، وهو في الأصل مختصر لرسالتها للدكتوراه ، وعنوانها [الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي] .

وفي هذا الكتاب وصف معماري للكثير من المدارس الجركسية بمصر ، والتي كانت تقوم بدور الخوانق أيضاً ، ومنها المدارس التي تضمنتها الدراسة .

---

(١) طبع هذا الكتاب طبعة أولى سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

(٢) طبع هذا الكتاب طبعة أولى ١٩٨٠م .

كتاب مساجد مصر وأوليائها الصالحون [١] :

من تصنيف سعاد ماهر محمد ، وفيه ذكر للكثير من العمائر الدينية بمصر ، بما في ذلك المدارس مع وصف معماري موجز للمتبقي منها . فتضمن الكتاب بذلك عمائر الدراسة الوصفية والتحليلية فكانت له فائدة كبيرة في الجانبين .

وكذلك استفاد البحث من مراجع حديثة عربية وأجنبية ودوريات عدة ، ورسائل علمية أغلبها لم ينشر ، إضافة إلى العديد من الوثائق المتعددة والمتنوعة، والتي بدورها أضفت مزيداً من المعلومات المفيدة لهذه الدراسة .

---

(١) صدر هذا الكتاب في خمسة أجزاء فيما بين سنتي ١٣٩١هـ / ١٩٧١م – ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

التمهيـــد

أ - أهمية التعليم في الإسلام .

ب - النظريات المتعددة حول أصل التخطيط المدرسي .

أ - أهمية التعليم في الإسلام :

رفعت تشريعات الدين الاسلامي من قيمة العلم ، ووضعته في مكانة سامية جليلة ، فأولى آيات القرآن الكريم نزولاً ، تقرر أهمية العلم ، قال تعالى: ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ « سورة العلق ، آية ١ - ٥ » . فالعلم والمعرفة مستمدة من الخالق سبحانه وتعالى ، ومنه جل شأنه اكتسبها ابن آدم . بل إن الآيات الكريمة أشارت إلى « القلم » كأبرز أدوات التعليم والكتابة التي عرفها الإنسان في تاريخه الحضاري (١) . كما أن في ذلك تكريماً للإنسان الذي جاءت معارفه بفضل من الله سبحانه وتعالى (٢) . ومن ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ﴾ « سورة الرحمن ، اية ١ - ٤ » . إن هذا الإدراك المتسامي والذي يربط العلم والمعرفة بالله سبحانه وتعالى ، جعل العلم في الإسلام عبادة (٣) ، وفريضة على كل مسلم ، حيث قال الرسول عليه الصلاة والسلام [طلب العلم فريضة على كل مسلم] [صحيح](٤) ، وورد عن علي بن أبي طالب

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، بيروت جـ٦/ ص ٣٩٣٩ .

(٢) سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، القاهرة ، ص ٢٦٢ .

(٣) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة ، فاروق بيضون ، وكمال دسوقي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٩م ، بيروت ، ص ٣٦٩ .

(٤) محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته « الفتح الكبير » ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، بيروت ، جـ٤/ ص ١١ .

رضي الله عنه أنه قال : « العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنفقه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق »[١] .

وإذا كان هذا هو العلم في الإسلام ، فإن حملته حازوا فيه على مكانة عالية ، فالعلماء ليسوا كغيرهم من سائر الناس ، وإنما هم أفضل وأعلى ، قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ «المجادلة آية ٥٨» ، بل إن هذا التفاضل ورد في القرآن الكريم في صيغة تساؤل يقود القاريء إلى نفس النتيجة ، قال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ « سورة الزمر آية ٩ » . فالفارق بين الطرفين في نظر الإسلام عظيم ، ولذلك وجب على المسلمين إحترام العلماء وتقديرهم وإجلالهم ، فقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال [ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه] [حديث حسن][٢] ، وقيل أن أربعة يسود بهم المرء وهم : العلم ، والأدب ، والصدق ، والأمانة[٣] . وقيل أيضاً : « ... العلم زين لصاحبه في الرخاء ، ومنجاة له في الشدة »[٤] .

---

(١) أحمد شلبي ، التربية الاسلامية « نظمها - فلسفتها - تاريخها » ، الطبعة السادسة ١٩٧٨م ، القاهرة ص ٢٨٧ .

(٢) الألباني ، صحيح الجامع الصغير ، جـ٥ / ص ١٠٢ .

(٣) الأبشيهي ، شهاب الدين محمد أحمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، بيروت ، ص ٣٧ .

(٤) أحمد شلبي ، التربية الاسلامية ، ص ٢٨٧ .

وكمـا للعلمـاء مكانتـهم ، فـإن لطلبـة العلم أيضـاً ، مكانة مماثلـة ، ويكفي في ذلك شرفاً وفخراً ، أن الله عز وجل أمر عباده أن يسألوه أن يعلمهم ، قال تعالى : ﴿ وقل ربي زدني علمـاً ﴾ «سورة طه ، آية ١١٤ » .

كما ورد في الحديث أن العلم سبيل إلى مرضاة الله عز وجل ودخول جنته ، حيث قال رسول الله عليه الصلاة والسلام [ما خرج رجل من بيتـه يطلب علمـاً ، إلا سـهل الله له طريقـاً إلى الجنة] [حديث صحيح](١) .

إن تلك المكانة التي يوليـها الإسـلام ، للعلم وأهله ، لم تكن وليدة للترف الحضاري ، وإنما نبعت من نظرة عملية ، لأهمية هذا الجانب من جوانب هذه الحياة على الأرض ، فالعلم في الاسلام طريق لمعرفة الدين الحق (٢) ، بحكم أن العلماء أقدر على معرفة آلاء الله وآياته ، قال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ « سورة العنكبوت ، آية ٤٣ » .

وهذه المعرفة التي تورث قلوب العلماء ، تتحول إلى خشية من الله عز وجل ، فيعمر الدين في القلوب ، قال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ « سورة فاطر ، آية ٢٨ » .

ولكي تتحقق لدى الإنسان المسلم المعرفة العلمية الحقة ، فلقد وجهه الشارع إلى مجالين أساسيين ، الأول ينصب على دراسة أحكام الشريعة الإسلامية والتفقه فيها ، فحث القرآن

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع الصغير ، جـ ٥ / ص ١٤٣ .

(٢) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٦٩ .

الكريم على أن يكون هناك طائفة من المؤمنين ، على دراية بالحلال والحرام ، وفقه بأحكام الدين[(١)] ، لأن الأمة الاسلامية تحتاج في كل زمان ومكان لأمثالهم ، قال تعالى : ﴿ ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ « سورة التوبة ، آية ١٢٢ » .

أما المجال الثاني ، فهو دراسة ظواهر الحياة والكون ، والتعرف على سنن الله عز وجل في هذا الوجود ، فيتأكد الإيمان من خلال ذلك ، ويستطيع الإنسان أيضاً من خلال هذه المعارف ، عمارة الأرض ، وتحقيق مبدأ الخلافة فيها[(٢)] .

ومن هنا وجهت آيات القرآن الكريم المسلم نحو تحقيق هذه المقاصد ، فطالبته آيات القرآن الكريم ، النظر والتفكر في خلق الله ، الجامد منه والحي ، قال تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ « سورة الغاشية ، آية ١٧-٢٠ » ، وقال تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ سورة الذاريات آية ٥١ » ، وقال تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل

---

(١) عمر سليمان الأشقر ، تاريخ الفقه الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص ١١ .

(٢) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، القاهرة ، ص ٢٩ ، ٣٥ - ٣٧ .

والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به لأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ « سورة البقرة ، آية ١٦٤ » .

ولقد ترتب عن هذه التوجيهات نتائج عميقة الأثر ، ميزت حياة المسلمين عن غيرهم ، فأضحى طلب العلم جانباً أساسياً في هذه الحياة [١]، بل إن المسلمين أخذوا ينظرون إلى العلم والعملية التعليمية ، من حيث ذاتهما وطبيعة مكوناتهما ، فأبن خلدون عندما يقدم للانسانية ، ولأول مرة علم الاجتماع ، يناقش فيه الظاهرة العلمية كجزء من التكوين الاجتماعي للانسان ، وبين من خلال ذلك الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الظاهرة في حياة البشر [٢] ، كما بين العلاقة بين المستوى العلمي للمجتمعات الانسانية ، ومستواها الحضاري ، مشيراً إلى أنها علاقة طردية ، تنمو في كلا الجانبين ، بنمو أحدهما [٣] .

كذلك نجد في مصادر التراث الاسلامي ، مناقشات مستفيضة ، لكيفية أداء العملية التعليمية ، وما ينبغي أن يقوم به المدرسون في هذا الصدد [٤] .

---

(١) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٩٣ – ٣٩٨ .

(٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي بيروت ، المقدمة ، ص ٤٢٩ – ٤٣٠ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٤٣٤ – ٤٣٥ .

(٤) السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار ، أبو زيد شلبي ، محمد أبو العيون ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، القاهرة ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .

علاوة على قيام بعض هذه المصادر بتوضيح أسلوب التعليم وطرائقه التي كانت متبعة في العالم الإسلامي في ذلك العصر(١) ، كما أنها قامت بوضع تصنيفات للعلوم ، تميز بعضها عن البعض(٢) ، مع تبيان خصائص كلاً منها(٣) . وكيف يتم استيعاب هذه العلوم من قبل الطلبة ، وأن الأمر يتم وفق مراحل متعددة ، ينبغي أن يتدرجوا فيها قبل أن يصلوا إلى المرحلة المناسبة ، فيمكن إعتبارهم من جملة العلماء(٤) .

ولم يقف المسلمون عند هذا الحد ، بل إنهم أثبتوا نضجهم العلمي ، بتناولهم أثر التراكم المعرفي في استيعاب هذه العلوم ، حيث أن كثرة التآليف ، تجعل من الصعب على الطلبة إستيعابها جميعاً ، وبالتالي لا بد من جمعها في بوتقة واحدة ، وذلك بتنقيح هذه الكتب ، وجمع فائدتها في عدد قليل من المؤلفات ، مع مراعاة عدم إختصارها بطريقة تخل بالمعنى(٥) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٣٧ - ٥٤٠ . حسين عبدالله بانبيلة ، ابن خلدون وتراثه التربوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، بيروت ص ٦٣ - ٧٥ .

(٢) فؤاد سزكين ، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، فرانكفورت ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ص ٤٣٥ - ٥٣١ ، الكتاني ، عبد الحي الإدريسي ، التراتيب الادارية ، بيروت ، جـ ٢ / ص ١٨٨ - ١٩٩ .

(٤) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٧٨ ، ٨٢ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٣٣ .

(٥) المصدر السابق نفسه ، ص ٥٣١ - ٥٣٣ .

ب : النظريات المتعددة حول أصل التخطيط المدرسي :

يعد إنشاء المدارس بداية عصر جديد في تطور العمارة الاسلامية [1] ، حيث أضافت إلى أنواع العمائر التي كانت معروفة حينئذ ، نوعاً جديداً في تخطيطه ، وتكويناته المعمارية والزخرفية .

ولقد أثار هذا التطور انتباه عدد من علماء الآثار من مستشرقين وعرب ، فعملوا على محاولة تقديم تفسيرات يمكن من خلالها التعرف على الأصول التخطيطية التي كانت متبعة في عمارة المدارس .

ويعود بداية تاريخ هذه المحاولات إلى أوائل القرن ١٤هـ / أواخر القرن ١٩ م[2] . واستمرت حتى وقتنا الحاضر . الأمر الذي ترتب عنه ظهور عدد كبير من النظريات . مما دفع ببعض الباحثين إلى تقسيمها إلى عدة أقسام ، يندرج ضمن كل منها نظرية أو أكثر .

---

(١) أمال العمري ، مدرسة قطلو بغا الذهبي ، مجلة دراسات أثرية اسلامية ، ١٩٨٨م ، القاهرة جـ٣ ، ص ١٩ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، القاهرة ، جـ٢ / ص ١٢٥ ، عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية ، نشأتها وتاريخها وتخطيط عمائرها ، مجلة كلية الشريعة ، جامعة الملك عبد العزيز ، السنة الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٣٩٨هـ / العدد الثالث ، مكة المكرمة ، ص ١٣٦ .

ومن هؤلاء عباس حلمي[1] الذي يرى أن هذه النظريات يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام أساسية ، أولها : الذي يعتبر أن مصدر تخطيط المدارس ، هو الكنائس السورية البيزنطية ، وثانيها : يرى بأن تخطيط المدارس مشتق من نظام القاعة المصرية، أما ثالثها : فمنبع نظرياته المباني السكنية الفارسية ، أو السورية القديمة .

أما حسن الباشا [2] ، فلقد قسم هذه النظريات ، على أساس الطراز الفني الذي إستمدت منه النظرية فكرتها ، بالإضافة إلى نوعية المباني التي أُسْتُمِدْت منها نظم التخطيط المدرسي .

فمن حيث الطراز الفني ، فقد اختلفت هذه النظريات في تحديدها لأصل الطراز الفني ، الذي إستمدت منه المدرسة تخطيطها ، فيما بين الفن البيزنطي ، أو الفن الساساني ، أو الفن الاسلامي ، أو الفن البوذي في الهند .

وكذلك الحال بالنسبة لنوعية المباني ، حيث اختلفت هذه النظريات ، حول نوع المبنى الذي اقتبست منه المدرسة تخطيطها . وتراوحت وجهات النظر هنا فيما بين المسجد ، والقاعة ، والدار ، والقصر ، والكنيسة ، والدير .

وبالنظر إلى ما ظهر في الآونة الأخيرة من نظريات ، تعالج

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٢ .

(٢) حسن الباشا ، دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث، ١٩٨٩م ، القاهرة ، ص ٤٤ .

نفس الموضوع فبالإمكان وضع تقسيم آخر جديد لها ، حيث يلاحظ أنها تنطلق من محورين أساسيين ، أولهما : يحاول أن يربط بين تخطيط المدرسة ، وتخطيط نوع ما من المباني ، وثانيهما : فيعتبر أن تخطيط المدرسة من ابتكارات المعمار المسلم ، وأنه إذا كان هذا التخطيط قد تأثر بطرز عمارة المباني التي كانت سائدة في ذلك العصر ، فإنه في ذات الوقت يمثل نموذجاً تخطيطياً مستقلاً بذاته ، أفرزته عبقرية المعمار حينئذ ، وهو ما يمكن أن يطلق عليها نظريات التطور المعماري .

فبالنسبة لنظريات المحور الأول ، فإن بالإمكان تقسيمها إلى عدة أقسام ، حيث أن منها ما يرى أن المدرسة استمدت تخطيطها من مباني العبادة ، وترى أخريات أنه مشتق من بيوت السكنى ، في حين أن منها ما يعتبر أن أصل تخطيط المدرسة أتى من المنشآت التجارية . وسنحاول أن نعرض فيما يلي كلاً من هذه النظريات بشيء من الإيجاز .

أولاً - نظريات مباني العبادة :

وهي هنا تحاول أن تنسب تخطيط المدارس إلى نوع من أنواع مباني العبادة التي كانت سائدة في المنطقة ، ويبرز في هذا الصدد نظريتان أساسيتان ، أولاهما ، وهي أقدمهما : من حيث تاريخ الصدور ، نظرية فان برشم ، والتي تقوم على أن النظام المتعامد - والمكون من أربعة أواوين متقابلة يتوسطها صحن - والذي انتشر استخدامه في عمارة المدرسة ، استمد تخطيطه من الكنائس البيزنطية في سوريا ، ذات التخطيط المماثل تقريباً ، حيث كانت تتكون من أربعة أواوين متقابلة تحمل قبة في الوسط.

ويرى فان برشم أيضاً ، أن إستخدام المدرسة لهذا التخطيط ، نابع من صلاحية أواوينه للتدريس ، بحيث يكون لكل مذهب إيوان خاص به[١] .

وثاني هذه النظريات ؛ نظرية أحمد فكري ، حيث يتصور صاحبها أن أصل تخطيط المدرسة هو المسجد ، فقد ذكر أن المدرسة « ... هي المسجد الجامع ، الذي أقيمت في حرمه بيوت لسكنى فريق مختار من الفقهاء ، أو الطلاب ، ورتب لتدريسهم فيه مدرسون بأجر معلوم ، ووفرت للجميع فيه سبل البحث والدراسة، والمعيشة ، وأجريت عليهم الجرايات ... »[٢] .

ولكي يثبت فكري نظريته هذه فلقد أسهب في إيراد الأدلة والتي يمكن حصرها في مجالين أساسيين ، الأول : ينصب في محاولة إثبات أن المدارس ، كانت تقوم منذ فترة مبكرة من تاريخ ظهورها ، بوظيفة المسجد الجامع .

ودليله على ذلك ، إطلاق مسمى « جامع » في اللوحات التأسيسية والمصادر التاريخية على منشآت كانت وظيفتها الأساسية هي التدريس[٣] . وإطلاق مسمى مدارس ، على حلقات تعليمية كانت موجودة في بعض الجوامع الكبيرة ، مثل تلك التي ظهرت في الجامع الأموي بدمشق ، والتي أورد فكري عدداً منها[٤].

---

(١) Enyclopedie of Islam, Oct ; Architecture, Vol, I , Leyden , 1913, p,423-429.

عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ، ص ١٣٧ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ / ص ١٩٢ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، جـ٢/ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٨٩ - ١٩١ .

(٤) المرجع نفسه ، جـ٢ / ص ١٧٥ - ١٧٦ .

بالإضافة إلى ما يرد في حجج الوقف ، من إرشادات واضحة عن وجوب توفير الأئمة والخطباء والمؤذنين في العديد من المدارس الاسلامية[١] .

أما المجال الثاني من أدلة فكري ، فيقوم على أساس أن هناك شواهد معمارية ، يمكن من خلالها إثبات أن الأصل الذي استمدت منه المدرسة تخطيطها هو المسجد الجامع . حيث تبين له من خلال دراسة المدارس المتبقية من القرن الخامس حتى منتصف القرن السابع « ٥ - ٧ هـ / ١١ - ١٣ م » ، أنها تتضمن في تخطيطها صفات مشتركة تجمع بينها وبين المسجد الجامع[٢] . وتصور صاحب هذه النظرية أيضاً أن المدارس في بلاد المغرب ، لم يطرأ على عمارتها تطور كبير يباعد بينها وبين الأصل الذي استمدت منه تخطيطها ، وهو المسجد الجامع ، وأنها احتفظت بجميع العناصر الرئيسة للمسجد الجامع ، باستثناء ما تم من اقتطاع أجزاء من المجنبتين والمؤخرة لتزويد البناء بغرف للطلبة[٣] .

كذلك بذل فكري جهوداً كبيرة ، لنفي وجود أية صلة بين الأواوين - كأنظمة بناء - والمدارس ، فحرص على التأكيد على أن

---

(١) نفسه ، جـ ٢ / ص ١٩١ .

(٢) نفسه جـ٢/ ص ١٧٧ - ١٨٠ .

(٣) نفسه ، جـ ٢/ ص ١٨١ - ١٨٢ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة . رسالة دكتوراه ، جامعة أسيوط ، ١٩٧٩م ، جـ ٢ / ص ٢٣٥ .

الأواوين أدخلت على عمارة المساجد ، كتطور في عملية التسقيف ، وليس لأنها كانت موجودة في المدارس ، ثم انتقلت إلى المساجد بعد ذلك [١] . كما أنه رفض وجود علاقة بين الأواوين ، والتعليم في المدارس[٢] ، مدعياً أن الايوان كمحل للدرس لم يكن معروفاً قبل القرن الثامن « ٨ هـ / ١٤ م » ، إذ لم يرد ذكره في المصادر التي تسبق هذه الفترة [٣] ، علاوة على إعتقاده أن مدلول الايوان لم يكن واضحاً على حقيقته عند مؤرخي القرنين الثامن والتاسع ، ٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م [٤] . وليضيف إلى ذلك ، ما يتصوره بأن الأواوين لا تصلح للتعليم ، بحكم أنها مواضع مفتوحة ، فتكون عرضة لصقيع الشتاء ، وحرارة الصيف ، وأشعة الشمس التي ستدخل بناءاً على التخطيط المتبع في عمارة المدارس معظم هذه الأواوين باستثناء الجنوبية منها ، مما يعيق العملية التعليمية فيها[٥] .

---

(١) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢/ ص ٨٩ - ٩١ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، جـ ٢ / ص ٢٢٠ . حسن القصاص، مساجد أمراء السلطان الظاهر جقمق ، دراسة أثرية معمارية . رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٣٨ .

(٢) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ / ص ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، جـ٢/ ص ١٧٧ - ١٨٠ .

(٤) المرجع نفسه ، جـ ٢ / ص ١٨٠ ، هامش « ١ » .

(٥) نفسه جـ٢/ ص ١٨١ - ١٨٢ ، محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، جـ ٢ / ص ٢٣٥ .

ثانياً - نظريات المباني السكنية :

ويندرج في هذا الإطار عدة نظريات ، حاول كل منها أن يحيل أصل التخطيط المدرسي إلى أحد طرز عمارة المساكن التي كانت سائدة في العالم الاسلامي .

وأقدم هذه النظريات ظهوراً ، نظرية مكس هرتز ، والتي اعتبرت التخطيط المتعامد في المدارس ، مشتق بجميع عناصره من تخطيط البيوت الفارسية (١)، وهو ما ذهب إليه ديز ، حيث قال أثناء حديثه عن طرز وعناصر العمارة الفارسية ، أن عمارة المدرسة وتكوينها الفعلي كان « ... بكل معنى الكلمة إيرانياً ... »(٢) .

ويستدل أصحاب هذه النظرية في إثبات تصوراتهم ، ببعض البقايا الأثرية لمساكن ، وما يعتقد بأنه مدارس مبكره ، مكتشفة في فارس وخراسان ، كانت تتبع النظام المتعامد في تخطيطها(٣) ، بينما يستدل بعض مؤيديها ، بما للحضارة والفن

---

(١) Hers " Max ", Bulletin ducomite de conser votion des Monuments Arabes , le Caire , 1904 , pp. 98 - 99 .

(٢) Dies " Ernst " , The principles and Types, Vol, B.P., 921, of Pope " Arthar Opham " Asuraey of Persian Art, Oxford 1938 - 39 .

(٣) Goderd, Andre , L'orgin , de La Medrasah , dela Mosguee etdu carauanserail oguatree Iwans , in Arsislamica,Vol, XV-XVI,1951 , p17.

وانظر أيضاً :

Rgomine " J " ., Lamosgee lamadrasa CCM, XIII, Annee, No. 2 , 1970 , pp , 97 - 115 .

Bope " Arthar " , Argitcture in the early periods According to contemporary documments , persian Art, Vol , 3 , p, 1147 .

الفارسيين من تأثير على الحضارة الإسلامية ، فأدى إلى دخول الكثير من التقاليد المعمارية الفارسية إلى العمارة الاسلامية[١] ، ومن ذلك نظام التخطيط المتعامد الذي اتبع في عمارة المدارس الاسلامية[٢] .

ولقد أجرى باحثون مؤيدون لهذه النظرية ، بعض التعديلات عليها . فاعتبر هرتزفلد ، أن هذا التخطيط المستمد من العمارة الفارسية ، قد جرى تطويره بما يتناسب والظروف التعليمية في المدرسة ، ومن ذلك ظهرت مدارس ذات إيوان ، أو إيوانين ، وهكذا [٣]... بينما يرى كل من ريتشموند[٤] ، وجاستون فيت ، وهوتكور[٥] ، أن المدارس في مصر والشام ، قد تأثرت عمارتها ، بالعمارة المحلية للمسكن ، والتي بدورها استمدت تخطيطها من عمارة المساكن الفارسية .

ومن النظريات ، التي تعيد أصل تخطيط المدارس ، إلى عمارة البيوت السكنية ، نظرية المستشرق الانجليزي كريزويل ، وهي المعروفة بنظرية « القاعة المصرية » ، لأن صاحبها يرى أن

---

(١) زكي حسن ، الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ، القاهرة ، ص ١١ .

(٢) حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٤٩ .

(٣) Herzfeld , Studies in Architecture in Ars Islamica , 11 , Vol, X, 1993, pp , 29 , 30 .

(٤) نقلاً عن أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢/ص ١٣٣ ؛ عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ، ص ١٣٩ .

(٥) Wiet " gaston ", et. Haute Coeuy " Louis ", les Mosguees de Caire, Paris , 1932 , Vol, 1 , p 226 .

المدارس في مصر أُشتق تخطيطها من قاعات المساكن المصرية .

ومنذ البداية حرص كريزويل على التأكيد ، أن هناك فرقاً بين البحث عن أصل التخطيط المتعامد للمدرسة ، وعن أصل التخطيط المتعامد عموماً(١) . مبيناً أن بداية ظهور التخطيط المدرسي المتعامد كان في مصر ، وليس في شرق العالم الاسلامي ، حيث كانت بداية ظهور المدارس ، والتي لم تكن تعرف النظام المتعامد(٢) ، مما يدل على أن هذا النوع من التخطيط ، مشتق ومتطور من العمارة المحلية في مصر الاسلامية .

فكان تخطيط المدارس المبكرة فيها مكوناً من إيوانين متقابلين ، وبينهما صحن صغير يعرف بـ« الدرقاعة »(٣) ، وهو أسلوب من البناء شاع في عمارة قاعات المساكن المصرية في

---

(١) K.A.C. Creswell , The Muslim , Architectur of Eguypt , New York, Vol, II , 1978, p, 104 .

(٢) Creswell , op , cit , p , 107 - 120 , 124 - 128 .

(٣) الدرقاعه : لفظ يتكون من مقطعين ، الأول « در » ، وهو لفظ فارسي الأصل بمعنى الباب ، أما الثاني « فقاعة » وهو لفظ عربي يدل على مكان الجلوس ، والكلمة بمجملها ، تدل على المكان الذي يتوصل من خلاله إلى جميع أجزاء القاعة ، وهو الصحن الصغير الذي يتوسطها ، محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي . مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، الجزء الثاني « عدد خاص » ١٩٧٨. القاهرة ، ص ٢٤ . هامش « ٢ » .

العصر الفاطمي(١) ، كما يشير بذلك اكتشاف قاعة الدردير(٢) .

أما عن ظهور النظام المتعامد ، فلقد تم عن طريق دمج قاعتين من الطراز السابق مع بعضهما البعض (٣) .

ويبرر كريزويل هذا التطور بأنه جاء نتيجة تعدد التخصصات التي تدرسها المدرسة ، فأدى ذلك لتعدد إيواناتها ، بحيث يكون لكل إيوان تخصص يدرس فيه . وهو ما تثبته النصوص التاريخية ، التي تشير إلى أن هذه الأيونات هي مواضع الدرس في المدارس ، وأن لكل تخصص يدرس فيها أيوان خاص به(٤) .

---

(١) Creswel , op , cit , p , 129 .

وانظر أيضاً عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ، ص ١٣٨ ؛ فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، ١٩٧٠م . القاهرة ، جـ١/ ص ٢٥٢ . محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة ص « ٢٣ » هامش « ٣ » ؛ حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ، ص ١٣٣ .

(٢) Creswel , op , cit , Vol , 1 , p , 261 - 263 , Vol, 2 , p , 129 .

أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢/ ص ١٣٣ ، ١٣٨ – ١٣٩ ، ١٧٣ ، وعباس حلمي ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

وقاعة الدردير ، عبارة عن صحن مربع يطل عليه إيوانين مقابلين مقبيين ، ويطل على الصحن من الجانب القبلي شرفة صغيرة ، بينما يتوسطه نافورة ، ويغطيه سقف خشبي ، له شخشيخة . عباس حلمي ، تطور المسكن المصري الاسلامي من الفتح العربي حتى الفتح العثماني . رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ١١١ .

(٣) Creswell , op , cit , Vol , 2 , p , 133 .

(٤) Ibid , p , 121 .

ولكي يثبت كريزويل صحة نظريته هذه . قدم دلائل تاريخية ، تتمثل في مساكن جرى تحويلها إلى مدارس ، فذكر خمسة عشر مثالاً ، ثمانية منها في القاهرة ، إندثرت باستثناء إثنتين منها . وستة في دمشق ، وواحدة في حلب . ومبيناً أن هناك علاقة وثيقة بين المساكن والمدارس ، سببها أن بيوت العلماء كانت منذ صدر الإسلام مراكز لنشر العلم والمعرفة ، وبالتالي فإن إتخاذ هذه الدور مدارس ، إنما هو امتداد للدور الذي كانت تقوم به منذ زمن بعيد(١) .

وتعد نظرية كريزويل توطئة لأبرز النظريات في هذا المجال . وهي نظرية عباس حلمي ، والتي تجاوز فيها صفة الاقليمية التي تميز النظرية السابقة ، حيث ركزت على المدارس في مصر . واتجه بنظريته نحو اعتبار أن المدارس الاسلامية بشكل عام تأثرت بعمارة المساكن .

ولكي يثبت حلمي نظريته لجأ إلى وسائل متعددة من الاستدلال ، أبرزها ، دراسة النظم التعليمية عند المسلمين ، والتي تبين له من خلالها أن التعليم في البيوت ، كان معروفاً عندهم منذ بداية ظهور الدعوة إلى الاسلام(٢) .

وكان ظهور هذا الأسلوب في البداية في الحجاز ، ثم انتشر بعد ذلك في سائر أرجاء الدولة الاسلامية ، بسبب كثرة من رحل من علماء الحجاز إلى هذه الأقطار لنشر العلم ورواية

---

(١) Creswell , op , cit , Vol , 2 , p , 130 - 131 .

(٢) عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ، ص ١٥٢ – ١٥٤ .

الحديث [١] .فلما أسس المسلمون المدارس ، كمؤسسات متخصصة بالتعليم ، اقتبسوا النظم التعليمية والتخطيطية ، التي كانت متبعة في الدور التي كان يدرس بها العلماء . ويؤكد ذلك أنه تم تحويل العديد من الدور إلى مدارس ، كما هو مشاهد في مصر ، وبخاصة في العصر الأيوبي ، ويشاهد أيضاً في الحجاز ، الذي استمر فيه تحويل الدور إلى مدارس ، منذ دخولها إليه حتى القرن الثامن ٨ هـ / ١٤ م[٢] .

ولكي يضفي حلمي مزيداً من التأكيد على صحة نظريته هذه ، فلقد حرص على أن يفصل بين النظم التعليمية في المساجد ، وتلك التي في المدارس ، حيث أنها في الأولى كانت غير مقيدة بمناهج أو مواد معينة ، أو من حيث عدد الطلبة . علاوة على عدم وجود معاليم « أجور » مقررة للشيوخ والطلبة [٣] . بعكس ما هو موجود في المدرسة ، التي يتم صياغة نظمها بناءاً على رغبة منشئها ، فيحدد التخصصات التي تدرس بها . ويرتب لها ما يلزم من شيوخ وطلبة ، وما تحتاجه من نفقات. علاوة على احتوائها على مواضع بعينها للتدريس ، وأخرى مخصصة للسكنى والمرافق [٤] .

كذلك أوضح حلمي من خلال الدراسة المعمارية المقارنة ، أن هناك تشابهاً وتقارباً واضحاً بين مخططات الدور الطولونية

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٥٤ ، ١٥٨ .

(٣) نفسه ، ص ١٥٥ .

(٤) نفسه ، ص ١٥١ ، ١٥٤ – ١٥٥ .

والفاطمية ، وبين مخططات المدارس ، التي أنشئت بعد ذلك ، فوجد من هذه الدور ما هو ذا إيوان واحد وما هو أكثر من ذلك وصولاً إلى الأربعة الأواوين المتعامدة ، كما هو الحال في تخطيط المدارس [١] .

ثالثاً - نظرية المباني التجارية :

وهذه النظرية ترى أن أصل تخطيط المدرسة مقتبس من تخطيط الخان[٢] . ويعد جورج مقدسي من أبرز من كتبوا في هذه النظرية بتوسع مناسب . حيث يرى أن إنشاء خانات بجوار المساجد ، في مشرق العالم الاسلامي ، لكي ينزل بها الطلبة . أدى بمرور الوقت ، إلى ظهور النشاط التعليمي فيها ، فتحولت بعد ذلك إلى ما يعرف بالمدارس[٣] .

ويؤيد أوقطاي أصلا نابا هذه النظرية ، منوهاً إلى أن هناك تشابهاً معمارياً بين المدارس والخانات ، وذلك باستخدامهما

---

(١) عباس حلمي ، تطور المسكن المصري ، ص ١٧٣ ، المدارس الاسلامية ص ١٥٦-١٥٧ ، حسن القصاص ، مساجد أمراء الظاهر جقمق ص ١٣٤ .

(٢) الخان : اللفظ فارسي الأصل ، ويطلق في الأصل على أماكن مبيت المسافرين ، من التجار وغيرهم ، وكان ينشأ على طريق السفر ، ثم أنشئت منها أنواع داخل المدن كانت تقوم باستقبال التجار ، ويتم فيها البيع والشراء . وبشكل عام فلقد ارتبط النوعين بشكل أساسي ، بتجارة النقل والتوزيع . عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، بيروت ، ص ١٥٢ - ١٥٧ .

(٣) Makdisi , C , The Rise of Colleges , Institutions of Learning in Islam and the West Edinburgh , 1981 , 28 - 32 .

لأسلوب الأواوين المتعامدة في التخطيط(١) .

وهذه هي أبرز نظريات المحور الأول ، ويبقى أن نشير إلى نظريات المحور الثاني ، وهو محور التطور المعماري ، وترى نظريات هذا المحور ، أن المعمار المسلم إبتكر تخطيط المدارس رغم استفادته من طرز العمارة السائدة في عصره . وأولى هذه النظريات وأقدمها ، نظرية حسن الباشا ، والتي حرص فيها صاحبها على أن يحصرها في مصر ، ويقصر معالجتها على النظام المتعامد ، كما يشير بذلك عنوان الدراسة (٢) .

وتركز هذه النظرية على دراسة نشأة التخطيط المتعامد ، من خلال ثلاثة عناصر أساسية . وهي كالآتي :

أولاً - الطراز المعماري :

فمن المعروف أن لكل عمارة طرازها المعماري الخاص بها ويميزها عن غيرها . وعليه فإن الطراز المعماري الاسلامي قد أثر بشكل أو بآخر في عمارة المدارس(٣) .

فالمنشآت المعمارية في العالم الإسلامي تأثرت ، وبشكل عام ، بعناصر تخطيط المسجد الجامع ، المكون من فناء أوسط مكشوف ، تحيط به أربعة أروقة .

---

(١) أوقطاي أصلا نابا ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، استانبول ص ٢٠ .

(٢) حسن الباشا ، دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٥١ .

فهذا الأسلوب من التخطيط كان طرازاً معمارياً سائداً تأثرت به المنشآت الدينية ، والمدنية ، على حد سواء . وكان في كلٍ منها فناء يحيط به من جميع الجهات وحدات المبنى المختلفة . وهذه الوحدات كانت تتكون من أنواع مختلفة تناسب وظيفة المبنى واحتياجاته ، ومن هنا تأثرت المدرسة بهذا الطراز فأصبحت تتكون من فناء أوسط تحيط به وحداتها المختلفة (١) .

ويرى حسن الباشا أن من أسباب انتشار هذا الطراز ، مناسبته للتقاليد الاسلامية ، لأنه ينفتح إلى الداخل ، مما يحجب من بداخل المبنى عمن بخارجه ، علاوة على الفناء الذي يوفر لهم الإضاءة والتهوية والهدوء (٢).

ثانياً - الوظيفة :

كانت المدرسة تجمع في غالب الأحوال بين ثلاثة وظائف رئيسة ، وهي ؛ إقامة الصلاة والتعليم والسكن . وبناءًا على ذلك كان لا بد أن يراعى في بناء المدارس صلاحيتها لأداء هذه الوظائف .

ولتحقيق غرض إقامة الصلاة ، كان من المفضل أن يحتوي المبنى على قسم يتميز بالرحابة ، ويتجه ناحية القبلة ، ويكون مربعاً أو مستطيل الشكل . ويزود بما يحتاجه للقيام بوظيفته كالمنبر والمحراب . ولذلك زودت المدارس في ذلك العصر بإيوان قبلي واسع ، يحقق غرض الصلاة .

---

(١) المرجع نفسه ص ٥١ – ٥٢ .

(٢) نفسه ص ٥٢ .

كذلك زودت بعض المدارس في بعض الأقاليم الاسلامية بالمآذن لتأكيد وظيفة الصلاة فيها [(١)] .

أما من حيث التعليم ، وهي الوظيفة الأساسية للمدرسة ، فإن ذلك يتطلب احتواء هذه المنشآت على أماكن مناسبة لإلقاء الدروس . ومن هنا فإن هذه النظرية تعتبر أن التخطيط العام للمدارس جعل من المناسب أن تكون قاعات المدرسة مطلة على الفناء الأوسط فيها[(٢)] .

كذلك فإن تعدد قاعات الدرس فيها ، ارتبط بعدد التخصصات التي تدرس بها ، فلما تطورت وأصبح منها ما يدرس أربعة مذاهب ، أخذ النظام المتعامد بالظهور[(٣)] .

ويبقى آخر الوظائف التي تقوم بها المدرسة ، وهي السكن ، فإنها تعتبر عند الباشا ، العنصر الرئيسي الذي يميز بين المسجد ،والمدرسة ، لأنهما يتشابهان في وظيفتي الصلاة والتدريس [(٤)].

ومن هنا فإن استخدام الايوان في معظم المدارس بدلاً من الأروقة ، فرضته الحاجة لوجود مساحات تستغل كمساكن . لأن الأواوين لا تشغل كل الجوانب المطلة على الفناء . فأصبح من الممكن بناء الوحدات السكنية ، وبقية المرافق الأخرى للمدرسة بين الاواوين ، علاوة على أن ارتفاع أسقف الاواوين أسهم إلى حد بعيد

---

(١) نفسه ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) نفسه ص ٥٣ .

(٣) نفسه ص ٥٣ - ٥٤ .

(٤) نفسه ص ٥٥ .

في تعدد طوابق المساكن والمباني الأخرى المجاورة لها [١].

ثالثاً - البيئة المعمارية :

إن كل طراز معماري نشأ في بيئة معمارية معينة ، ولذلك فإن الأصل المعماري لانظمة التخطيط المدرسي يتطلب دراسة البيئة المعمارية التي نشأ فيها هذا التخطيط[٢] .

وبما أن نشأة المدارس ، كانت في فارس ، فلا شك أن استخدام الايوانات في عمارتها جاء نتيجة انتشار استخدامها في عمائر هذا الإقليم ، والذي انتشر فيه أيضاً ترتيب الأواوين حول الأفنية المربعة أو المستطيلة الشكل ، حيث ساد في عمارة المدارس أيضاً [٣].

ومن هذا الاقليم أخذت هذه الأساليب بالانتشار إلى غرب العالم الاسلامي حتى وصلت إلى قمة النضج والتطور في مصر في عصر المماليك [٤] .

ويلي نظرية الباشا ، نظرية محمد الكحلاوي ، والتي أطلق عليها « التخطيط للداخل » . وتنطلق فكرة هذه النظرية من تصور هندسي بحت . إذ يرى صاحبها أنه من الصعب تحديد نموذج معماري معين يكون الأصل الذي استمدت منه المدرسة تخطيطها ، نظراً لوجود تنوع كبير في أنظمة التخطيط التي اتبعت في

---

(١) نفسه ص ٥٥ .

(٢) نفسه ص ٥٥ .

(٣) نفسه ص ٥٥ .

(٤) نفسه ص ٥٦ .

عمارة المدارس في مختلف أرجاء العالم الاسلامي [١]. وبالتالي فإن المناسب أن يتم البحث عن أصل التخطيط المدرسي من خلال منظور مختلف تماماً عمّا درجت عليه الدراسات السابقة .

ومن هنا ذهبت النظرية نحو تأصيل أنظمة التخطيط هذه من خلال دراسة فكرة التخطيط نفسها .

وتوصل الباحث من خلال ذلك إلى أن الأصل المعماري لجميع أنواع مخططات المدارس تلتقي عند نمط مشترك واحد ، وهو التخطيط إلى الداخل . والذي تم فيه تزويد المدرسة بفناء تلتف حوله جميع عناصر المنشأة . لما يوفره الفناء من تعدد للواجهات المطلة عليه ، والتي بلغت أربعة واجهات . مكنت المعمار ، من توزيع وحدات المنشأة المختلفة عليها[٢] . فإذا كانت المدرسة ذات إيوانين ، وضع كل منهما في إحدى واجهات الفناء ، وشغلت الواجهتين الاخريتين بكتلة الخلاوي . أما إذا كانت المدرسة مكونة من ثلاث إيوانات ، فإن المعمار يشغل الضلع الرابع بكتل الخلاوي. فإذا كان بها أربعة إيوانات ، فإن كتل الخلاوي توضع خلف هذه الايوانات[٣] .

ومن هنا تبرز أهمية الفناء ، إذ أنه ليس مكاناً للتهوية

---

(١) محمد محمد الكحلاوي ، المدارس المغربية « دراسة أثرية معمارية » ، بحث منشور في مجلة العصور ، المجلد السادس ، جمادى الثانية ١٤١١ هـ جـ١ / ص ٨٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٨٣ – ٨٤ .

(٣) المرجع نفسه ص ٨٤ – ٨٥ .

والاضاءة فقط ، وإنما لتوزيع عناصر المنشأة . وعدم وجوده سيدفع بالمعمار نحو جعل واجهات وحدات المنشأة المختلفة تطل على الخارج .

فإذا كان للمدرسة أكثر من واجهة ، فإن المعمار سيوزع عناصرها على هذه الواجهات بحيث يكون لكل منها واجهة مستقلة ، ومدخل خاص بها ، فإذا لم يكن لها سوى واجهة واحدة ، فإنه سيقوم ببناء المدرسة بشكل رأسي « ... إذ تصبح كتلة المدرسة يعلوها المسجد ، ويعلو كل ذلك كتلة الخلاوي .. »[١] . ومن هنا تبرز أهمية التخطيط للداخل ، كأسلوب اعتمده المعمار المسلم في عمارة مدارسه .

وتعد النظرية السابقة آخر ما يمكن عرضه من النظريات الرئيسة ، التي تبحث في أصل التخطيط المدرسي .

وينبغي الإشارة هنا إلى أن معظم هذه النظريات قد وجه إليها العديد من الاعتراضات ، مما يجعل من الصعب على الباحثين قبولها كحقيقة مجردة بدون إضافة أو تعديل . أو رفض إذا اقتضى الأمر ذلك[٢] .

---

(١) نفسه ص ٨٤ .

(٢) عن هذه الاعتراضات ، انظر ما أورده فكري عن بعض هذه النظريات في سياق عرضه لها . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ / ص ١٢٥-١٤٠ ، ١٦٧-١٦٨ . انظر أيضاً الملاحظات التي أبداها عباس حلمي في هذا الصدد . عباس حلمي ، المدارس الاسلامية ص ١٣٦-١٣٧ ، ١٤٣ . كما قام حسني نويصر ، برفض هذه النظريات جميعاً . انظر حسني نويصر ، عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية ، بحث منشور في مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، العدد الأول ، المجلد الأول ١٩٩١م ، القاهرة ص ٢٣٧ - ٢٥٨ .

ويمكن ضمن هذا الإطار طرح الملاحظات التالية :

أولاً – أن معظم هذه النظريات ركزت على نظام تخطيطي واحد وهو النظام المتعامد ، رغم أن أنظمة التخطيط المدرسي متعددة ومتنوعة . حيث أن هناك مدارس يرتكز تخطيطها على النظام الرواقي ، وأخرى على الحجرة . بالإضافة إلى أن النظام الايواني استعمل أساليب من التخطيط غير النظام المتعامد ، وهو مثبت في الفصل الأول من الباب الثالث من هذه الدراسة .

وبالتالي فإن بتر النظام المتعامد عن الأنظمة الأخرى ، ومحاولة التعرف على أصل تخطيطه ، دون الانظمة الأخرى سيؤدي إلى نتائج قاصرة ، لأن المدرسة بأنظمة تخطيطها المتعددة كيان واحد متكامل ومترابط ، شأنها في ذلك شأن أي منشأة معمارية أخرى .

ثانياً – أن بعض هذه النظريات توجهت وجهة اقليمية في دراساتها ، فصبت اهتمامها نحو دراسة أنظمة التخطيط المدرسي في مصر ، بحكم ما وصلت إليه عمارتها فيها من تطور وازدهار .

بيد أن ذلك سيجعل تفسيرات هذه النظريات محصور على مصر فقط ولا يمكن قبولها كتفسيرات عامة لأنظمة التخطيط المدرسي .

ثالثاً – ركزت بعض هذه النظريات على العلاقة الوثيقة بين المدرسة ونوع ما من أنواع المباني ، ونسبت نظام التخطيط المدرسي إليه ؛ بينما نجد أن المدرسة على علاقة بمعظم المباني التي أشارت إليها هذه النظريات ، كما تشير بذلك الأدلة التي استندت إليها ، وسبق ذكرها .

فهناك علاقة بين المدرسة ، وكل من المسجد والمنزل والخان . وعليه فإن نظامها التخطيطي ليس مشتقاً من أي منها ، فإذا قلنا بأن المدرسة مشتقة من المسجد ، فإنه ينفي ذلك تحويل عدد من الدور والخانات إلى مدارس ، كما ورد معنا ، كما أن القول بأن المدرسة مشتقة من الخان أو المنزل ، ينفيه قيام المدارس المبكرة بوظيفة المسجد ، واستخدام التخطيط الرواقي فيها(١) .

---

(١) عرفت المدارس المبكرة وجود مساجد فيها ، كما يشير إلى ذلك وجود مسجد في المدرسة النظامية في نيسابور [أواخر القرن الخامس الهجري ٥ هـ / ١١ م] الصريفيني ، إبراهيم بن محمد بن الأزهر ، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م . بيروت ، ص ٦٤ .
ومن الواضح أن هذا المسجد كان مبنياً وفق النظام الرواقي ، إذ أن هذا النظام اتبع في العديد من المدارس المبكرة ، والتي يمكن معرفة نظم تخطيطها ، حيث يشاهد في العراق في مدرسة الأربعين [٥ هـ / ١١ م] والمدرسة المستنصرية [٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م] ، أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ / ص ١٠١ - ١٠٢ ، ١١٥ . وفي مدرسة دار المسناه [٧هـ / ١٣ م] ، عبدالقادر الرحاوي ، العمارة في الحضارة الاسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، جدة ص ١٧٩ - ١٨٠ . وفي المدرسة المرجانية [القرن ٧ هـ / ١٣ م] ، السيد ناصر النقشبندي ، المدرسة المرجانية ، مجلة سومر ، المجلد الثاني ١٩٤٦م ، ص ٣٨ .
ويشاهد هذا الطراز بكثرة في مدارس مبكرة ببلاد الشام . انظر حسن الباشا ، مدخل إلى الآثار الاسلامية ، القاهرة ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ماضيها وحاضرها ، ومستقبلها ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . الرياض ص ٨٣ ، ٩٣ . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ / ص ١٠٣ - ١١٠ .

رابعاً - قامت بعض هذه النظريات في محاولتها لتأصيل نظام التخطيط المدرسي ، بابراز الأسباب التي دفعت بالمعمار لاتخاذ أسلوب معين من التخطيط دون أن تبين من أين جاء به ، وكيف تم ذلك . وهو ما يشاهد في نظرية « التخطيط للداخل » . وبالتالي فإن معالجتها لهذا الموضوع لم تسلك الطريق الصحيح ، والمطلوب في معالجة مثل هذا الموضوع .

ومن خلال العرض السابق يتضح أنه من الصعوبة بمكان قبول بعض من هذه النظريات أو إحداها ، على علاتها ، وإن كان من المرجح أن أقربها إلى الصواب نظرية حسن الباشا ، ولكن بعد إجراء التعديلات المناسبة عليها ، بحيث يمكن اعتبارها نظرية تفسر أصل التخطيط المدرسي بشكل عام .

فكما سبق أن ذكرنا ، فإن نظم التخطيط المدرسي متعددة ، ومتنوعة وليست على طراز واحد ، وهو الذي ركزت عليه هذه النظرية .

وهذا لا يمنع من أن عناصرها تنطبق عليها جميعاً ، فالطراز المعماري الذي كان سائداً في العمارة الإسلامية، والمكون من فناء أوسط تحيط به عناصر المنشأة المختلفة ، لم يكن متبعاً في التخطيط المدرسي المتعامد فقط ، وإنما استخدم في أنظمة التخطيط المدرسي الأخرى ، فيعد الفناء عنصراً أساسياً فيها جميعاً .

كذلك ، فإن التنوع في التخطيط المدرسي يعكس التنوع المعماري الذي عرفته العمارة الإسلامية بشكل عام ، والذي عرف

أيضاً في شرق العالم الاسلامي ، حيث نشأت المدارس فعرف المعمار استخدام الأروقة في عمائره التي أنشأها هناك [١] . ولم يقتصر الأمر على استخدام الأواوين التي ركزت عليها النظرية .

كما أن التعدد الوظيفي الذي عرفته المدارس لم يؤثر في المدرسة ذات التخطيط الايواني فحسب ، وإنما ظهر في المدارس ذات النظم التخطيطية الأخرى ، والتي عرفت المرافق المختلفة ، من مساكن ومواضع صلاة وغير ذلك ، وهو ما سيثبته هذا البحث في دراسته الوصفية والتحليلية .

ولذلك فإن بالإمكان القول بأن المدرسة كمشأة معمارية ، هي من ابتكار المعمار المسلم ، وأنه استفاد لتحقيق هذا الغرض من الطراز المعماري الاسلامي ، ومن البيئة المعمارية التي كانت سائدة وقت ظهور المدرسة ، مع مراعاة الاحتياجات الوظيفية لهذا النوع من المنشآت ، والتي عالجها المعمار بروح ابتكارية أدت إلى التنوع في أساليب التخطيط التي اتبعت في عمارة وحدات المدارس ، ومرافقها المختلفة [٢] .

---

(١) فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٩٦ . عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ص ٣٨١ . محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ١ – ١٣ .

(٢) انظر الدراسة التحليلية في الفصل الأول والثاني من الباب الأخير من هذه الرسالة .

الباب الأول
نماذج من عمارة المدارس في مصر

الفصل الأول
مدرسة فرج بن برقوق

« ٨١٣ هـ / ١٤١١م »

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة السلطان فرج بن برقوق ، ثاني ملوك الجراكسة ، بعد أبيه السلطان الظاهر برقوق [١] . والسادس والعشرون من الملوك الترك الذين حكموا مصر حتى ذلك العصر [٢] .

ولي السلطنة في شوال من عام [٨٠١ هـ/ ١٣٩٩ م] ، بعهد من أبيه الذي أخذ له البيعة من الخليفة والأمراء والقضاة عندما أحس بدنو أجله [٣] . وبقي بعد ذلك في السلطنة إلى أن خلع منها في أواخر المحرم من عام [٨١٥ هـ/ ١٤١٢ م] ، حيث قتل بعد ذلك ببضعة أيام في مدينة دمشق [٤] . وبذلك تكون فترة حكمه قد امتدت إلى ما دون الأربعة عشر عاماً بقليل [٥] .

وتصف المصادر التاريخية الملك الناصر بالشجاعة

---

(١) هو الملك الظاهر برقوق بن آنص العثماني اليلبغاوي . أول ملوك الجراكسة في مصر ، ويعد من أعظم سلاطين المماليك بعد الناصر محمد بن قلاوون ، ولي السلطنة عام « ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢م » وتوفي عام « ٨٠١ هـ/ ١٣٩٩م » . انظر ابن تغري بردى ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ١٩٨٦م . القاهرة جـ٣/ ص ٣٨٥ - ٣٤٢ ، جـ٧/ ص ٦ .

(٢) إبن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ١/ ق ٢ / ص ٥٣٦ .

(٣) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ٣/ ق ٢ / ص ٥٣٦ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١ / ق ٢ / ص ٨١٩ - ٨٢٠ .

(٥) المقريزي ، السلوك جـ٤ / ق ١ / ص ٢١٣ - ٢١٤ .

والإقدام ، والكرم ؛ وتعيب عليه في نفس الوقت سفكه للدماء ، وانهماكه في المحرمات ، فكان مسرفاً على نفسه . لا يعبأ بما يهلكها[(١)] .

ويتميز عصر هذا السلطان بكثرة الفتن والحوادث التي قام ببعضها المماليك أنفسهم [(٢)] . علاوة على تعرض البلاد لغزو التتار عام [٨٠٣ هـ / ١٤٠٠م] . فدخلوا البلاد الشامية ، وخربوا مدنها ، وأعملوا في أهلها السيف ، حتى كادت أن تخلوا من ساكنيها[(٣)] .

كما عانت البلاد أيضاً من سوء الإدارة ، وغلاء المعيشة ، مما زاد الأوضاع سوءاً ، فتناقص عدد سكانها ، وتراجعت أوضاعها العمرانية[(٤)] ، وظهرت أزمة نقدية تمثلت في انعدام الدنانير الذهبية والدراهم الفضية ، وسيادة الفلوس النحاس كعملة رئيسة تدفع بها أثمان الحاجيات والأجور ، وغير ذلك من المعاملات النقدية[(٥)] .

---

(١) المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ / ق ١ / ص ٢٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ ٤ / ق ١ / ص ٢٢٦ ، سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٩٧٢م . بيروت ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق محمد رمزي ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، القاهرة جـ ١٢ / ص ٢١٩ – ٢٤٦ . سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٣٢٨ .

(٤) المقريزي ، السلوك جـ٤/ق١/ ص ٢٢٣ – ٢٢٥ .

(٥) المصدر السابق نفسه جـ٤ / ق١ / ص ٢٢٤ .

إنشاء المدرسة :

قام الناصر فرج بإنشاء هذه المدرسة بناءًا على وصية من أبيه الظاهر برقوق ، والذي ترك مبلغاً كبيراً من المال مقداره ثمانون ألف دينار لبنائها و يبنى بما تبقى من مال عقار يوقف عليها [١] .

وتذكر بعض المصادر أن الظاهر أوصى بأن يبنى له تربة[٢] يدفن فيها بجوار بعض قبور مشايخ الصوفية[٣] ممن كان يجلهم ويحترمهم كثيراً [٤] . ولكن الناصر فرج أضاف للمبنى وحدات

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة جـ١٢ / ص ١٠٢ – ١٠٤ .

(٢) يطلق اللفظ في ذلك العصر على مواضع الدفن ، والتي كان لهم بها اهتمام كبير ، حيث تزود بالقباب بالإضافة إلى مرافق أخرى ، كالأسبلة ، والكتاتيب والوحدات السكنية وغير ذلك . نظراً لأن بعضها كان يقوم بوظيفة الخوانق . محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير – كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٦م ، ص ١٥٩ – ١٦٨ .

(٣) كان للتصوف تأثير كبير على المجتمع المصري في ذلك العصر حتى أصبح من السمات العامة التي تميزه ، وانخرط فيه قطاعات كبيرة منه . ولقد انقسم المتصوفة إلى عدة فرق ، ارتبط بعضها بالدروشة والهرقطة ، واتجه البعض الآخر نحو طلب العلم ، والزهد ، وإليه كان ينتمي بعض فقهاء ذلك العصر . عبداللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، الطبعة الثامنة ١٩٦٨ م . القاهرة ، ص ١٢٠ – ١٤٦ . سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م ، القاهرة ص ١٦٢ – ١٧٥ .

(٤) ابن الصيرفي ، علي بن داود ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، ١٩٧٠م . القاهرة جـ١ / ص ٤٩٦ .

أخرى جعلته يقوم بدور المدرسة ، والجامع ، والخانقاه ، بالإضافة إلى التربة (١) .

ولقد بديء في تنفيذ المشروع بعد وفاة الظاهر برقوق مباشرة في أواخر عام [٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م] (٢) . أما عن تاريخ الفراغ منه ، فلقد أُخْتُـلِفَ فيه ، إذ يتفق إبن تغري بردي(٣) ، وإبن إياس(٤) ، على أن ذلك تم في أوائل عام [٨١٣ هـ / ١٤١١ م] ؛ بينما يرد في لوحتين تأسيسيتين تقع أولاهما على عضادتي المدخل الثاني للمبنى ، وتطل ثاينهما على الصحن ، أن الانتهاء من المشروع تم في أواخر العام المذكور (٥) .

في حين أن المقريزي(٦) يؤجل الأمر إلى مطلع العام التالي [٨١٤هـ / ١٤١٢م] . ولا يوجد في حقيقة الأمر تعارض بين هذه التواريخ . إذ من المؤكد أن المدرسة أصبحت مؤهلة للاستخدام منذ مطلع عام [٨١٣ هـ / ١٤١١ م] ، بينما بقيت أجزاء بسيطة جرى استكمالها فيما بين نهاية العام المذكور ومطلع عام [٨١٤هـ / ١٤١٢م] .

ولذلك فإن افتتاح المدرسة تم منذ مطلع عام [٨١٣ هـ /

---

(١) أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز لأهم الآثار الاسلامية والقبطية في القاهرة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م . القاهرة ص ٢٠٠ .

(٢) المقريزي ، الخطط جـ٢ / ص ٤٦٤ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١ / ق ٢ / ص ٥٣٦ .

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ١٣ / ص ١٠٣ .

(٤) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١ / ق ٢ / ص ٨٠٤ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٧٩ ، ٩٠ .

(٦) المقريزي ، الخطط جـ٢ / ص ٤٦٤ .

١٤١١م] حيث تذكر المصادر بأن السلطان توجه إلى المدرسة ، وجلس هو والحضور في رواق القبلة ، وعن يمينه الأمراء ، وعن يساره المشايخ والقضاة [١] .

وقرر في تلك الأثناء نظام المدرسة ، وشروط وقفها ، فقرر لها فقيهاً يتولى مشيختها[٢] . يبدو أنه لم يشترط أن يكون منتمياً لمذهب معين ، إذ وليها منها تأسيسها لفترة من الزمن فقيه حنفي المذهب ، وهو الشيخ أحمد بن محمود العجمي[٣] . ثم وليها في فترة لاحقة شمس الدين محمد البسطامي[٤] ،

---

(١) ابن حجر ، إنباء الغمر بأبناء العمر ، جـ ٥ / ص ٢٠٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣ / ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ١ / ص ١٣٥ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣/ ص ١٠٣ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ١ / ص ١٣٥ ، والشيخ العجمي ، هو أحمد بن محمد بن عبدالله القيسري الحنفي ، عني به والده عناية فائقة ، فعلمه القرآن ، وأحضر له المؤدبين والمعلمين حتى نال حظاً وافراً من العلم ، ولي وظائف عدة ، منها حسبة القاهرة ، توفي سنة « ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م » . ابن تغري بردي ، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهيم شلتوت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، مكة المكرمة ، جـ ١ / ص ٨٩ . السخاوي ، الضوء اللامع جـ ٢ / ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٧ / ص ٢٠٢ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان البسطامي القاهري المالكي ، نشأ على حفظ القرآن الكريم ، وسعى حثيثاً في طلب العلم حتى برز في علوم شتى . ولي وظائف التدريس في « مدارس عدة ، منها الشيخونية ، =

وهـو مـن فقهاء المالكيـة [١] .

وبالنسبة لبقية الفقهاء ، الذين يفترض أن يقوموا بتدريس التخصصات المقررة في المدرسة ، فلا يرد لهم ذكر على الإطلاق . وإن كان يبدو أن صالح الزواوي المغربي[٢] ، قد تولى تدريس الحديث فيها ، قبل أن ينتقل إلى مدرسة وجامع المؤيد شيخ [٣]، ليدرس فيه نفس التخصص السابق[٤] .

أما عن الطلبة ، فإن المصادر تذكر بأن عددهم أربعين طالباً من المتصوفة[٥] . بينما لم تذكر شيئاً عن الأطفال الذين يحفظون

= والبرقوقية » وولي قضاء المالكية مدة طويلة ، وظل على ذلك إلى أن توفي عام « ٨٤٢ هـ/١٤٣٨ م » . السخاوي ، الضوء اللامع جـ٧ / ص ٥-٨ .

(١) إبن تغري بردى ، الدليل الشافي ، جـ٢ / ص ٥٩٧ .

(٢) هو صالح بن محمد بن موسى بن أحمد الزواوي ، ولد بالمغرب ، ثم نزل القاهرة وتلقى العلم فيها . وانتقل بعد ذلك إلى المدينة المنورة ، حيث جاور مدة من الزمن ، ليعود بعد ذلك إلى القاهرة ، ويستقر فيها لحين وفاته سنة ٨٣٩هـ . السخاوي ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ، القاهرة ، جـ٣ / ص ٢٣٥ .

(٣) جامع ومدرسة المؤيد شيخ [٨٢٤ هـ/ ١٤٢١ م] من إنشاء الملك المؤيد شيخ ، ويقع بالقرب من باب زويلة ، وهو مبنى يتسم بالضخامة وكان يدرس فيه المذاهب الأربعة بالاضافة إلى العقيدة والحديث وغير ذلك . فهمي عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م ، ص ١٥ – ٢٣ . صالح لمعي ، جامع ومدرسة المؤيد شيخ ، القاهرة ص ٣ – ١٥ .

(٤) السخاوي ، التحفة اللطيفة ، جـ٢ / ص ٢٣٥ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ / ق ١ / ص ١٣٥ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة جـ١٣ / ص ١٠٣ .

القرآن الكريم فيها ، رغم أنها زودت بكتابين لتحفيظ القرآن الكريم ، كما هو مبين في الدراسة الوصفية .

ولقد كانت هذه المدرسة تقوم بتدريس المذاهب الأربعة ، بالإضافة إلى التفسير والحديث[١] . وإن كان يلاحظ أن المصادر التاريخية لم تطلق عليها لفظ « مدرسة » ، وإنما أطلقت عليها لفظ التربة أو الخانقاه [٢] . وكذلك كان الحال في اللوحات التأسيسية التي تعلو المدرسة ، والمذكورة في الدراسة الوصفية من هذا الفصل .

وهذا يعكس تعدد التخصصات التي كانت تقوم بها المنشآت في ذلك العصر ، حيث أن المنشأة الواحدة كانت تقوم بوظيفة المسجد الجامع ، والمدرسة ، والخانقاه [٣] . وهو ما كانت تقوم به هذه المنشأة [٤] .

---

(١) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي الجركسي ، « خانقاه فرج بن برقوق » ، القاهرة ص ٦ . محمود أحمد ، دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ، ١٩٣٨م ، القاهرة ص ١٥٠ ، أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز ص ٢٠٠ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ٤د / ق١ / ص ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٣٣٩ ، ٥٢٨ . ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان ، جـ٢/ ص ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٥ . ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١ / ق ٢ / ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٥٣ ، ٧٦٣ ، ٨٠٤ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، ج١/ص١١٦.

(٤) سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ٤ / ص ٥٩ ، محمود أحمد ، دليل موجز لأشهر الاثار العربية ، ص ١٥٠ ، أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز ص ٢٠٠ . فهمي عبدالعليم ، العمارة الاسلامية بمصر في عصر السلطان المؤيد شيخ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢٥ .

ولكي يتمكن الشيوخ والطلبة من التفرغ للعلم ، فإن الناصر فرج أجرى عليهم الجرايات ، من معالم شهرية ، وأرزاق يومية من الخبز ولحم الضأن المطبوخ[١] .

كما أنه استولى على أوقاف الأمير فيروز الساقي[٢] بعد وفاته ، وجعلها داره على مدرسته ، لضمان استمرار النشاط التعليمي فيها[٣] .

كذلك قام ببناء فرن وطاحونة وحمام ، وأراد أن يبني سوقاً وخاناً بجوار المنشأة [٤] ، لعلها بهدف أن تكون أوقافاً عليها أيضاً ، بيد أن المشروع لم يكتمل . وهجرت المنشآت التي تم بناؤها بعد ذلك بفترة يسيرة [٥] .

ذلك أن النشاط الاجتماعي في المنطقة لم يكن قادراً على استيعاب هذه المنشآت ، وهو ما حاول السلطان تلافيه عن طريق زيادة النشاط الاجتماعي والاقتصادي فيها ، فقام في عام « ٨١٤هـ / ١٤١٢م » بنقل سوق الجمال والحمير إلى منطقة مجاورة لها .

---

(١) المقريزي ، السلوك ، جـ٤/ ق ١ / ص ١٣٥ .

(٢) هو الأمير زين الدين فيروز بن عبدالله الرومي ، كان من أخصاء الملك الظاهر فرج بن برقوق ، توفي سنة « ٨١٤ هـ / ١٤١١ م » . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ١٣/ ص ١٨٦ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ / ق ١ / ص ٢٠٢ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ١٣ / ص ١٨٦ .

(٤) المقريزي ، الخطط ، جـ٢ / ص ٤٦٤ .

(٥) المصدر السابق نفسه ، جـ٢ / ص ٤٦٤ .

ولم يستمر السوق سوى أياماً يسيرة ، حيث عاد إلى مكانه القديم تحت القلعة[١] .

موقع المدرسة :

تقع المدرسة خارج مدينة القاهرة ، إلى الشمال من قلعة الجبل ، فيما بين سور المدينة الشرقي ، وجبل المقطم [٢]. وتعرف هذه المنطقة في المصادر المملوكية وحجج الوقف بإسم الصحراء[٣] .

ولقد كانت هذه المنطقة في أوائل العصر المملوكي ميداناً للرماية يتدرب فيه الجند وعامة الناس[٤] . ثم أخذ منذ سنة « ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م » ، بالتحول إلى مقبرة لدفن الموتى ، حيث استغلت بعض أجزائه من قبل بعض الأمراء لبناء الترب عليها. وبنوا في أجزاء أخرى منشآت دينية وتعليمية[٥] .

فلما جاء عصر الجراكسة تزايد الاهتمام بهذه المنطقة ، فقاموا بتعميرها ، وأنشأوا فيها الترب ، والمنشآت التعليمية

---

(١) المصدر نفسه ، جـ٢ / ص ٤٦٤ .

(٢) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي الجركسي ، ص ٣ .

(٣) محمد حمزة ، قرافة القاهرة ، ص ١٠٣ .

(٤) المقريزي ، الخطط ، جـ١ / ص ٣٦١ ، جـ٢ / ص ١١١ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ / ص ١٦٥ – ١٦٦ . علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م . القاهرة جـ١ / ص ٨٢ .

(٥) محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ٩١ – ٩٩ .

والخيرية المختلفة ، مما أدى إلى تزايد عمرانها ، فاعتبرها بعض المؤرخين مدينة عظيمة (١).

ولذلك فإن إنشاء هذه المدرسة في هذه المنطقة يعد جزءًا من مشروعات تعميرها ، وهو ما يؤكده محاولة الناصر فرج نقل بعض الأنشطة الاقتصادية ، وإنشاء بعض العمائر فيها بهدف تحقيق هذه الغاية . كما سبق أن وضحنا .

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٩/ ص ١٨٨ . السخاوي ، نور الدين علي بن أحمد بن عمر الحنفي ، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، تحقيق محمود ربيع وحسن قاسم ، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م . القاهرة ، ص ٥٢ .

الوصف المعماري للمدرسة

التخطيط : [شكل ٣٤]

وفر البناء خارج المدينة لمهندس المشروع ، مساحة كبيرة من الأرض ، لتبنى المنشأة عليها . فيذكر المقريزي[(١)] أن هذه المساحة بلغت عشرة آلاف ذراع ، بذراع العمل[(٢)] . أي ما يوازي أكثر من ستة آلاف متر مربع ، - على أساس أن الذراع هنا يساوي ٥ر٦٦ م [(٣)] - وهي مساحة المبنى الحالي تقريباً ، والذي تبلغ أبعاده ٨٥ م طولاً ، و ٨٠ م عرضاً [(٤)] .

ولقد ساعدت هذه المساحة الكبيرة المهندس على توزيع وحدات المبنى بصورة متجانسة ، ووفرت له أربع واجهات[(٥)] .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٤٦٤ .

(٢) الذراع ، أداة لقياس الأطوال ، وهي على أنواع عدة ، فمنها العمرية ، والشرعية ، والهاشمية ، وغير ذلك . والمقصود بذراع العمل ، الذراع الهاشمية ، لأنها هي المستخدمة في العمل والبناء ، ومقدارها ٥ر٦٦ سم . فالترهنس ، المكاييل والأوزان وما يعادلها من النظام المتري ، ترجمة كامل العيسى ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م . عمان ، ص ٨٧ - ٩٣ .

(٣) انظر الهامش السابق .

(٤) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس في مصر ، ص ١٦٥ .

(٥) حسن عبد الوهاب ، خانقاه فرج بن برقوق بصحراء المماليك ، بحث ألقي ضمن المؤتمر الدولي الثالث للآثار العربية في فاس ١٩٦١م القاهرة ص ٨٩ ، ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، ١٩٨١م القاهرة ص ٢٠٠ - ٢٠١.

ويتكون المبنى من مجمع ينقسم إلى قسمين أساسيين ، هما :

أولاً - المدرسة :

وتشمل قاعات الدرس والصلاة[(١)] ، ومكتبي سبيل ، ومساكن للشيوخ والطلبة ، وملاحق الخدمة، مثل المكتبة ، والمطبخ والميضئة ... وغير ذلك [(٢)] .

ثانياً - التربة :

وهي عبارة عن قبتان تلتصقان بالرواق الجنوبي الشرقي [القبلي] من المبنى ، وتكتنفانه عن اليمين والشمال ، وقد استخدمتا هاتان القبتان كمدفن للأسرة الحاكمة[(٣)] . ويتبع التربة أيضاً حوش للدفن يقع إلى الشمال الشرقي من المنشأة [(٤)].

وما يهمنا هنا هو دراسة المدرسة بعناصرها سالفة الذكر.

---

(١) سعاد ماهر ، مساجد مصر جـ ٤ / ص ٦٢ . كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٤٦ .

(٢) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ص ٩ - ١١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٧ - ٩ . ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الاسلامية ، ص ٢٠٠ .

(٤) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٧٢ م ، ص ٢٠٩ . حنان حسين أنور ، دراسة تحليلية للمباني المجمعة للعمارة المملوكية ، للاستفادة منها في العمارة المعاصرة . رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٧٠ .

حــيث تتكون من صــحن واسع ، تحــيـط بـه أربعــة أروقــة[١] غيـر متصلة ببعضها[٢] ، بهدف توفير الخصوصية لكل قاعة ، فيتسنى إلقاء الدروس فيها . فكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، رواق يدرس فيه . إذ كان الرواق القبلي مخصص لتدريس المذهب الحنفي . وخصص الرواق البحري للمذهب الشافعي ، بينما يجلس شيخ المذهب الحنبلي في الرواق الشمالي الشرقي ، وخصص الرواق الجنوبي الغربي للمذهب المالكي[٣] .

الواجهــات :

زودت المدرسة بأربع واجهات حجرية مهذبه - فص نحيت- ومشهرة [٤] ، في بعض أجزائها ويتوجها من أعلى صف من الشرفات الحجرية ذات الورقة النباتية الثلاثية .

الواجهة الشمالية الغربية [البحرية] [لوحة ١] :

تنقسم هذه الواجهة إلى قسمين : الأول ويبلغ طوله ٢ر١٥م،

---

(١) يطلق الرواق عادة على القاعات التي تحمل أسقفها الأعمدة . وقد يدل المعنى على وحدات معمارية أخرى . انظر الفصل الثاني من الباب الثالث ، ص ٣٦٣ - ٣٦٦ .

(٢) زكي حسن ، فنون الاسلام ، القاهرة ، ص ٧٧ . كريزويل ، مساجد مصر ، القاهرة ، جـ٢ / ص ٨٢ .

(٣) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ، ص ٦ .

(٤) التشهير يطلق على المداميك الحجرية ، أو التلبيسات الرخامية الملونة . ويبنى بها أوتكس جدران الواجهات من الداخل أو الخارج . ولقد اتخذت في القرن التاسع ٩ هـ/ ١٥ م . في مصر والحجاز ألوان عدة . انظر الفصل الثالث من الباب الثالث ص ٤٩٥ - ٤٩٨ .

ويشمل واجهة مدخل المدرسة الرئيسي [لوحة ٣] . ويرتد هذا القسم عن سمت الواجهة بأكملها ، بمقدار ٥ م تقريباً(١) . وسنشير إلى هذا القسم بالتفصيل أثناء وصف المدخل .

أما القسم الثاني من هذه الواجهة ، فيبلغ طوله ٥ر٧٠ م . ويشمل واجهتي مكتب السبيل الجنوبي الغربي والواجهة الغربية لمكتب السبيل الشمالي الشرقي وواجهة الرواق الشمالي الغربي [البحري] ، وقاعاتان تكتنفانه من الناحية الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية (٢) . [لوحة ١ ، ٣ ، ٤] .

ويوجد في هذه الواجهة خمس دخلات رأسية متماثلة في الاتساع ، باستثناء أوسطها ، والتي تزيد في اتساعها عن بقية الدخلات . ولقد وزعت هذه الدخلات بحيث تكون الأولى والخامسة ، خاصة بالقاعتين ، بينما شغلت الثانية والثالثة والرابعة ، واجهة الرواق البحري(٣) .

ويشغل كل من هذه الدخلات دوران من الشبابيك ، بحيث يكون بكل دور نافذة واحدة ، ما عدا الدخلة الوسطى ، والتي زودت بثلاث شبابيك بكل مستوى . ويغطي كل من شبابيك الدور

---

(١) Mostafa, S. l ; Klos terund , Mausolem , des A Farag Ibn Bargug in Kairo , 1968 , p. 95 .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ١١٢ .

(٣) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية الزخرفية على عمائر القاهرة . في العصر المملوكي الجركسي ، [دراسة فنية أثرية] ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص ١٥٠ .

السفلي مصبعات برونزية[١] . ويعلوه عقد مستقيم [٢] ، يتكون من صنجات حجرية[٣] ، مزررة ، ومشهرة « أحمر وأصفر » . و من فوقه يأتي النفيس [٤] ، ويعلوه عقد عاتق ، يتكون من صنجات مزررة ومشهرة أيضاً ، ويحيط بالعقد المستقيم والعاتق ، مدماك حجري « طره » أحمر اللون[٥] . أما شبابيك المستوى العلوي ، فكانت عبارة عن شمسيات [شبابيك معقودة] ، محددة عقودها بأطر حجرية ، ويستثنى من ذلك الفتحة الوسطى ، بالدخلة الوسطى . والتي كانت عبارة عن قمرية [نافذة مستديرة] ، محددة

---

(١) المصبعات البرونزية ، عبارة عن تشبيكات تصنع من البرنز تغشى بها واجهات النوافذ المستطيلة في العمائر الجركسية ، وهي على طرز متعددة ، مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك بمدينة القاهرة . رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ١٦٠ .

(٢) العقد المستقيم ، يطلق على فرع من العقود ، التي عادة ما توضع فوق الفتحات ، كالأبواب والنوافذ المستطيلة . ويتميز بأنه لا انحناء أو إنكسار فيه . انظر الفصل الثالث ، من الباب الثالث ، ص ٥١٩ – ٥٢٠ .

(٣) يطلق لفظ الصنجة على الداميك المهذبة التي يتكون منها العقد ، انظر الفصل الثالث ، من الباب الثالث ، ص ٥٢٦ .

(٤) يطلق اللفظ على المنطقة الواقعة فيما بين العقد العاتق والعقد المستقيم ، وشمست بالنفيس ، لأن العقد العاتق أبعد عنها ثقل ما يعلوها من أجزاء الواجهة فعدت بذلك متنفس . محمد حمزة الحداد ، الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١١هـ/١٩٩٠م ص ٧٣١ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٤٩ .

بنصف جفت[١] ومغطاة بالزخارف الجصية المعشقة بالزجاج الملون . وتوجت كل من هذه الدخلات بصدر مقرنص[٢] .

ويوجد في أعلى هذا القسم من الواجهة مدماك حجري أحمر، يكتنف بحر كتابي بخط النسخ المملوكي المحفور بارزاً على الحجر ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ، أمر بإنشاء هذه التربة الشريفة مولانا وسيدنا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين كهف الفقراء والمساكين السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الشهير برقوق صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية ، والأعمال القراتية ، والثغور الساحلية ، السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والعجم أبو المعالي والهمم أدام الله أيامه ونشر في الخافقين أعلامه بمحمد وآله يا رب العالمين][٣] .

---

(١) الجفت عبارة عن نوع من الأطر الحجرية ذات الصفة الزخرفية ، وهو على أنواع . انظر الفصل الثالث من الباب الثالث ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤/ص ٦٣ . والمقرنص ، عنصر معماري زخرفي ، كان يشغل مناطق الانتقال وإنكسارات الأسطح . انظر الفصل الثالث من الباب الثالث ، ص ٥٢١ - ٥٢٧ .

(٣) عادل شريف علام ، اللوحات التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة « دراسة مقارنة في ضوء التخطيط وما جاء بالوثائق والمراجع » ، رسالة دكتوراه ، كلية آداب سوهاج ، جامعة أسيوط ، ص ٣٣١ .

كما يوجد في أقصى الجنوب الغربي من هذا القسم من الواجهة ، واجهتي مكتب السبيل الجنوبي الغربي . وهما واجهتان جنوبية وغربية . وبكل منهما شباك تسبيل ، مغطى بالمصبعات البرونزية ، ويعلوا كلاً منهما عقد مستقيم ، مكون من صنجات مزرره ، يعلوه نفيس حجري ، ومن فوقه عقد عاتق ، يتكون من صنجات حجرية مزررة أيضاً . ويحدد العقدان السابقان مدماك حجري أحمر اللون . أما واجهتي الكتاب علو السبيل ، فإنها تطل على الناحية الغربية بثلاث عقود مدببة ، ذات صنج حجرية مشهرة ، وتتسند على عمودين من الرخام ، بينما شغلت الواجهة الجنوبية بعقد واحد فقط ، يماثل العقود السابقة . وزودت هذه الواجهة بدرابزين ، بينما كان يعلوها رفرف خشبي ، وكل ذلك مصنوع من الخشب المجمع « الخرط »[(١)] .

ويقع في الطرف الشمالي الشرقي لهذه الواجهة ، الواجهة الغربية ، لمكتب السبيل الثاني بالمدرسة ، ولا تختلف هذه الواجهة في عناصرها المعمارية ، عما يوجد في مكتب السبيل الأول فهي تماثله تماماً .

كما يتوجها من أعلى شرفات على هيئة الورقة النباتية الثلاثية .

=

Von Berchem " Max ", Corpus Inscriptionum Arabicorum, lever Portie . Equpte , Memoires Publics par les membres delamision , Archeologique Francaise au Caire , Tome , XIX , Paris 1884 , p,316.

(١) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ص ١٨٢ .

الواجهة الشمالية [لوحة ٥]:

ويبلغ طول هذه الواجهة ٨٠ م ، وتحتوي على الواجهة الشمالية لمكتب السبيل الشمالي الشرقي ، والمدخل الثاني للمدرسة ، وواجهة بعض الحجرات السكنية الخاصة بالطلبة « خلاوي » ، الواقعة في الجانب الشمالي من المدرسة . بالإضافة إلى الواجهة الشمالية للقبة الشمالية الشرقية ، ويتميز الجزء الأوسط من هذه الواجهة بارتفاعه عن بقية أجزاء الواجهة(١) .

فبالنسبة لواجهة مكتب السبيل الشمالية ، فإنها تماثل تماماً واجهته الغربية ، [لوحة ٦] . أما المدخل الثاني للمدرسة ، والذي يلي مكتب السبيل ، فيقع في دخلة إتساعها ٥ر٤ م ، وعمقها ٥ر٢ م (٢). وفتحة الباب فيه مغلقة حالياً بالبناء . ويؤدي إليه سلم جانبي حديث البناء . ويتماثل هذا المدخل في تفاصيله المعمارية مع المدخل الرئيسي للمدرسة . ويعلو مكسلتيه [مسطبتيه] طراز كتابي ، بخط النسخ المملوكي ، المحفور بارزاً ما نصه : [بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ أدخلوها بسلام آمنين ﴾ (٣) أمر بإنشاء هذه التربة المباركة من فضل الله تعالى مولانا السلطان الملك الناصر ، أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد برقوق تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته يا رب العالمين . وكان الفراغ من هذا المكان المبارك في سلخ سنة ثلاث عشر وثمانمائة] (٤) .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١١٣ .

(٣) سورة الحجر آية ١٥ .

(٤) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

Van Berchem " Max " , Gorpus , Ins. Criptionun , Arabcorum , p.316.

ويعلو الجانب الأيسر من الطراز المذكور نص آخر كتب بنفس الطريقة مانصه [عمرت هذه الخانقاه بمباشرة الجناب العالي لاجين الطرنطاي[١] غفر الله له][٢] .

ويلي المدخل ، دخلة تشبه تلك الموجودة في الواجهة الشمالية الغربية . ثم تأتي بعد ذلك نوافذ الحجرات السكنية [الخلاوي] ، المطلة على هذه الناحية ، والمكونة من ثلاث وثلاثين نافذة ، موزعة على ثلاثة أدواره وكانت هذه النوافذ مغطاة بمصبعات برونزية [٣] .

وآخر جزء من أجزاء هذه الواجهة الشمالية هي القبة ويوجد فيها دخلتان ، بكل منها دوران من النوافذ ، بكل منهما نافذة واحدة ، تماثل في تكوينها المعماري ، نوافذ الواجهة الشمالية الغربية ، ويتوج كلاً من هذه الدخلات صدر مقرنص .

ويعلو هذه الواجهة الجدارية ، منطقة انتقال القبة ، والتي شغلت بقنديلية مركبة[٤] . غشيت نوافذها بالزخارف الجصية المعشقة بالزجاج الملون .

---

(١) لا يوجد فيما اطلعت عليه من مصادر ، من يحمل هذا الاسم في عصر الناصر فرج بن برقوق ، ويلاحظ أن إبن إياس يذكر بأن الشاد على عمارة هذه المدرسة هو الناصري محمد بن سنقر البجكاوي . إستدار الذخيرة ، إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١/ ق ٢ / ص ٥٣٧ .

(٢) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٦٦ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٣ .

(٤) القنديلية المركبة ، عبارة عن مجموعة من النوافذ مكونة من شمسيات وقمريات ، تزيد عن ثلاثة لكل منهما . بحيث تكون هناك ثلاث =

الواجهة الجنوبية الشرقية [القبلية] [لوحة ٧] :

يبلغ طول هذه الواجهة ٧١ م . ويتوسطها واجهة الرواق القبلي للمدرسة ، ويكتنفها واجهتي القبتين . وتتميز واجهة الرواق بإرتفاعها ، عن واجهتي القبتين . ويتخللها ست دخلات ، تشبه في تكوينها المعماري ، دخلات الواجهة الشمالية الغربية(١) . كما يتوسط هذه الواجهة بروز المحراب ، ويعلوه قمريه(٢) . بينما تماثلت واجهتي القبتين مع الواجهة الشمالية ، للقبة الشمالية الشرقية ، فيما عدا وجود قمريه ، توازى النوافذ العلوية تقع فيما بين دخلتي كل منهما .

وتبرز فوق هذه الواجهة ثلاث قباب . ركنيتان كبيرتان ، وصغيرة تعلو المحراب ، ويحمل كل واحدة منهما منطقه إنتقال عبارة عن مدرجات تنطلق من الأركان ، لتحول المربع إلى مثمن .

ولقد زخرفت القبتان الركنيتان ، بزخارف عبارة عن خطوط منكسرة - دالية أو زجزاج - تبدأ بأشكال مستديرة -ميمات- بينما زخرفت القبة الوسطى بأشكال مفصصة ، على غرار القباب الفاطمية ، وقباب عصر المماليك البحرية(٣) . ويتوجها من أعلى شرفات ثلاثية .

= شمسيات سفلية يعلوها ثلاث قمريات في شكل مثلث كما هو واضح في [اللوحة ٧] . مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك ، ص ١٢٧ .

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١١٣ .

(٣) محمد حمزة الحداد ؛ القباب في العمارة المصرية الاسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، القاهرة ، ص ١٦٠ - ١٦٤ .

الواجهة الجنوبية الغربية [لوحة ٨] :

ويبلغ طول هذه الواجهة ٧١ م . وهي أقل الواجهات من حيث الأهمية ، لأنها تخلو من وجود ملحقات تطل عليها(١) ، باستثناء الواجهة الجنوبية للقبة الجنوبية الغربية ، وهي تماثل في تكوينها المعماري ، الواجهة الشمالية للقبة الشمالية الشرقية .

المدخل الغربي [الرئيسي] [لوحة ٩] :

للمدخل واجهة جميلة ترتفع عن سمت الشارع بمقدار خمس درجات (٢) ، من الحجر الجيري على شكل نصف دائري ، يليها بسطة مستطيلة الشكل بسياج حديث من الرخام ، ويتوسط حجر المدخل واجهته ، ويبلغ إتساعه ٤ م وعمقه ٥ر. م (٣) . وبداخله توجد فتحة باب المدرسة ، التي يكتنفها مسكلتان [مصطبتان] من الحجر محددتان بجفت . ويعلوهما عضادتي المدخل ، عليهما كتابة تأسيسية بالخط النسخ البارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بانشاء هذه الخانقاه الشريفة السلطان الأعظم مالك رقابنا(٤) سيد ملوك العرب والعجم مولانا السلطان فرج بن

---

(١) حسن عبد الوهاب ، خانقاه فرج بن برقوق ، ص ٨٩ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ / ص ٦٣ .

(٣) Mostafa " s . t ", Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 25 .

(٤) ذكر فان برشم كلمة رقاب .

Van Berchem ; Corpus Inscriptionum , Arabicorum, XIX , p, 317.

والأصح هو كلمة رقابنا كما هو مذكور في المتن أعلاه . انظر عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٣٣٠ .

برقوق أدام الله أيامه][1] .

ويعلو فتحة الباب عقد مستقيم من صنج مزررة عليها زخارف نباتية ، عبارة عن أوراق نباتية ثلاثية مقلوبة ومعدولة بالتبادل ، يلي ذلك النفيس ، ثم يعلوه عقد عاتق مكون صنجات حجرية مزررة ، ومشهرة « أحمر وأصفر » . وعلى هذه الصنج زخارف نباتية عبارة عن ورقة ثلاثية[2] ، يلي ذلك فتحة شباك مستطيلة ، كانت مغشاة بمصبعات برونزية [3] .

ويتوج المدخل عقد مدائني ثلاثي[4] ، مقام على حطات من المقرنصات الدالية[5]،يحيط به إطارحجري عبارة عن نصف جفت . يلتقي عند قمة العقد بدائرة على شكل الميمه . كما حليت كوشتي العقد برسوم نباتية بارز على الحجر[6] ، يتوسطهما رنك كتابي[7] خاص بالسلطان ، ورد فيه عز لمولانا السلطان الملك الناصر فرج بن

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ ، عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ص ٣٣٠ ، خليل سعيد ، الربط الإسلامية ص ١٨٣ .

(٢) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ٦٣ .

(٤) العقد المدائني الثلاثي ، هو عقد مفصص إلى ثلاثة فصوص ، شاع استعماله على المداخل في العصر الجركسي . انظر الفصل الثالث ، من الباب الثالث ، ص ٥١٦ – ٥١٧ .

(٥) المقرنصات الدالية ، لها أطراف متدلية منها . انظر الفصل الثالث ، من الباب الثالث ، ص ٥٢٧ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

(٧) الرنك كلمة فارسية تعني الشارة أو اللون وهي في العمارة المملوكية عبارة عن حليات زخرفية تحمل شعارات السلاطين والأمراء ، ولقد ظهر من العصر الجركسي رنوك تحمل عبارات دعائية اختص بها السلاطين . عبدالرحيم أحمد ، تاريخ الفن في العصور الإسلامية ، العمارة وزخارفها، الطبعة الأولى ١٩٨٩م القاهرة ، ص ٢٧٠ – ٢٨٥ . أحمد عبدالرزاق ، الرنوك على عصر السلاطين المماليك ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد ٢١ ، ١٩٧٤م ، ص ٦٧ – ١٠١ .

برقوق[١] . ويحيط بالكوشتين إطار حجري أحمر اللون .

ولقد بينت هذه الواجهة بمداميك حجرية مشهرة « أحمر وأصفر » [٢] .

دركاه[٣] المدخل :

وهي تلي فتحة الباب ، وتبدو مربعة الشكل ، حيث تبلغ أبعادها ٤٫٦٠ م × ٤٫٤٠ م . ويعلوها سقف عبارة عن قبو مروحي[٤] . يتوسطه قبة صغيرة ، [لوحة ١٠] . وأرضية الدركاه من الحجر الجيري ، وبصدرها فتحة باب معقودة بعقد مدبب تفضي إلى دورة مياه حديثة . وكانت في الأصل ساقية المدرسة [لوحة ٣٣] . وعلى يمين الداخل إليها شباك مستطيل ، مغشى بمصبعات برونزية . يقابله في الناحية الأخرى فتحة باب معقودة

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحلبات المعمارية ص ١٠٠ .

(٢) Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 28 .

(٣) الدركاه لفظ فارسي مركب من كلمتين ، الأولى « در » بمعنى باب . والثانية « كاه » بمعنى محل ، وتطلق الكلمة في الوثائق على المنطقة التي تلي باب الدخول في العمائر المملوكية ، محمد محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، القاهرة ص ٤٧ .

(٤) والقبو المروحي عبارة عن قبو متقاطع أرجله هابطة قليلاً . دللي : ولفرد جوزف ، العمارة العربية بمصر ، « مع شرح المميزات البنائية الرئيسة للطراز العربي » ، ترجمة محمود أحمد ، الطبعة الأولى ١٣٤١هـ / ١٩٧٣م ص ١٤ – ١٥ .

بعقد مدبب تؤدي إلى دهليز المدرسة[١] .

الدهليز [لوحة ١١] :

مستطيل الشكل طوله ٢٤ م ، وعرضه ٢٥ر٣ م . أرضيته حجرية . وقد سقف جزء منه بقبو برميلي ، بينما ترك الجزء الآخر « كشف سماوي » .

ويطل على الدهليز المزملة[٢] ، وستة أبواب توزعت بالتساوي على جانبي الدهليز ، فيؤدي الأولان على يمين الداخل ، إلى الدرج الصاعد إلى الأدوار العليا والكتاب الجنوبي الغربي ، وبينهما تقع المزملة[٣] . يلي ذلك باب كان يؤدي إلى دورة المياه الأصلية والمطبخ وبعض الحواصل السفلية [٤].

أما الأبواب اليسرى ، فأولها يؤدي إلى السبيل الجنوبي الغربي ، وثانيها إلى حاصل السبيل ، وثالثها إلى حجرة حبيس[٥] ، يظهر أنها كانت مخصصة لبواب المدرسة .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ ، خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ١٨٤ .

(٢) المزملة يطلق على موضع بيت الأزيار ، حيث يستسقى معه ساكنوا المدرسة ومرتادوها . انظر الفصل الثاني من الباب الثالث ، ص ٤٦٣-٤٦٥ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

(٤) حنان حسين ، دراسة تحليلية للمباني المجمعة ، ص ٧٧ ، صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ص ١٠ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

الأروقـــــة :

زودت المدرســة بأربعة أروقـة ، وهـي كالتـالي :

أولاً –الرواق الجنوبي الشرقي [القبلي] [لوحة ١٢ ، ١٣] :

وهـو أكبـرالأروقـة، مستطيل الشكل أبـعاده ٣٠ر٣٤ م×١٧ م[١] ، وأرضيتـه مـن الحجـر الجيـري ، ومـسقف بـعشريـن قبـة ضحلـه مبنيـة بالطـوب ومـحمولـة على مثلثـات كرويـة ويـرتكـز كل مـن هـذه القبـاب على أربـعـة عقـود مدببـة ، ويـعلـو بـلاطـه المحراب قبـة مضلعـة صغيـرة مـقامـة على حطتـين مـن المقرنصات ، والتـي تحمـل فيـمـا بيـنهـا أربـع فتـحـات مـن الشبـابيك المثلثـة ، يلـي ذلك رقبـة القبـة ، والتـي فتـح بهـا ثـمـانيـة شبـابيك مـعـقـودة ، ومـغشـاة بـالزجـاج الملون المعشق بالجص ، ثـم يلـي ذلك صرة القبـة حيث زخـرفت بشـريـط مـن الكتـابـة القـرآنيـة بـالخط النسخ ، وهـي مـن تجـديـدات لجنـة حفظ الآثـار العـربيـة . [لوحة ١٦] .

ويـحـمـل السقف ثلاثـة بـوائك مـوازيـة لجدار القبـلـة ، عـقـودهـا مدببـة ، ودعائـمـهـا حجـريـة مثـمنـة الشكل[٢] ، بكلٍ مـنهـا سبـعـة عقـود تحـمـلهـا ستـة دعـامـات . ويـبلـغ إتسـاع هـذه العـقـود ١ ,٤ م ، مـا عـدا العـقـود الـوسطى منـهـا والمـواجـهـة للمـحـراب ، حـيث يـبلـغ اتسـاعـهـا ٦٠ر٤ م [٣].

ويـتـوسـط جـدار القـبلـة دخلـة المحـراب ، وهـي نصف دائـريـة

---

(١) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ١٨٧ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٥ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ٦٥ .

يتوجها عقدان مدببان ، الخارجي منهما أكبر من الداخلي ، ويحملهما أعمدة ذات تيجان ناقوسية ، والمحراب مجرد من الزخارف ، [لوحة ١٤] .

ويكتنف المحراب ، على امتداد جدار القبلة ، ست دخلات معقودة بعقود مدببة بأسفلها فتحات شبابيك بمصبعات برونزية ، سدت اثنتان منها في زمن يصعب تحديده ، فأصبحتا على شكل المحاريب . ويتوج هذه الدخلات صف من الشرفات على شكل الورقة النباتية الثلاثية . ويعلو هذه الدخلات شمسيات معقودة ، مغشاة بالزجاج الملون تتضمن بداخلها كتابة نسخية مضمونها « الملك الظاهر » . كما يعلو المحراب نافذة مستديرة الشكل « قمرية » .

ويجاور المحراب منبر حجري زودت به المدرسة ، في عهد السلطان قايتباي ، سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٤ م . كما تشير بذلك كتابة نسخية تعلوه ، وله قاعدة مستطيلة وجانبان بداخلهما زخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية وأخرى نباتية ، يحيط به إطار بأشكال مستديرة « ميمات » وزخارف كتابية بالخط النسخ نصها ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ (١) [سورة الأحزاب آية ٥٦] [لوحة ١٥] .

وفي مقدم الجهة الشمالية الغربية للرواق دكة خشبية بدرابزين خشب ، جددها السلطان قايتباي ، ثم أعيد تجديدها من

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٩ .

قبل لجنة حفظ الاثار العربية [١] . [لوحة ١٨] .

ويتوسط الجدار الشمالي للرواق ، مدخل القبة الشمالية الشرقية ، وهو عبارة عن فتحة متسعة تبلغ ٢٠ر٤ م . وقد سدت بحاجز خشبي ، مزخرف بأشكال هندسية مفرغة ، ويتوسطه فتحة باب حديثة [لوحة ١٧] .

وكذلك كان الحال مع الجدار الجنوبي للرواق إذ يتوسطه فتحة تؤدي للقبة الجنوبية الغربية ، ويبلغ إتساعها ٦٠ر٤ م . وقد سدت بحاجز خشبي مماثل للسابق [٢] .

ثانياً - الرواق الشمالي الغربي [البحري] [لوحة١٩ , ٢٠]:

يقع هذا الرواق في المرتبة الثانية بالنسبة لمساحة أروقة المدرسة ، وتبلغ أبعاده ٥ر٢٥ م × ١٣ م .

ويشابه في تخطيطه الرواق القبلي ، حيث يتكون من ثلاثة بوائك موازية لجدار القبلة ، بكل منها أربعة دعامات مثمنة ، تعلوها خمسة عقود مدببة ، أوسطها أكثرها إتساعاً ، إذ بلغ اتساعه ٤ر٤ م ، بينما تبلغ سعة بقية العقود ٢ر٤ م . وتحمل هذه البوائك السقف المكون من خمس عشرة قبة ضحله ، تماثل التي في رواق القبلة .

ويتصدر الرواق خمس دخلات معقودة بعقود مدببة، بكل

---

(١) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ص ١٧٠ ، صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ص ٧ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٦ .

منها شباك مستطيل بمصبعات برونزية . تعلوها شمسيات معقودة باستثناء الوسطى فهي قمرية . وتماثل في زخارفها تلك التي في رواق القبلة[١] .

ثالثاً - الرواق الشمالي الشرقي [لوحة ٢١، ٢٢] :

وتبلغ أبعاده ١٥ر٢٧ م × ٦ م [٢] . وهو عبارة عن بائكة واحدة تتعامد على جدار القبلة ، وتتكون من أربعة أعمدة حجرية مثمنة ، تقوم عليها خمسة عقود مدببة ، تعلوها خمسة قباب تشبه ما في الرواقين السابقين ، ويبلغ إتساع هذه العقود ٤ م .

ويوجد في الجدار الشمالي من هذا الرواق ثمانية أبواب ، يؤدي كل منها إلى خلوه . ويلاحظ أن سقف هذا الرواق منخفض عن مستوى الرواقين السابقين [٣] .

رابعاً - الرواق الجنوبي الغربي [لوحة ٢٣] :

تبلغ أبعاد هذا الرواق ٢٥ر٢٩ م × ٥ر٥ م ، وهو يماثل في تخطيطه وعناصره المعمارية ، الرواق السابق[٤] .

ولقد كسيت أرضية الأروقة السابقة الحجر الجيري المصقول،

---

(١) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ٦٧ .

Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 27 .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٧ .

(٣) **Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 44 .**

(٤) صالح لمعي ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي ، ص ٦ .

بينما استعملت الحجارة المشهرة « الأحمر والأصفر » ، في بناء دعائمها وعقودها[١] . كما أحيطت الحواف الخارجية لعقود الأروقة المطلة على الصحن . بإطار بارز من الحجر « جفت كامل » ، يلتقي عند قمة كل عقد بدائرة على شكل ميمه ، [لوحة ٢٤] ، وتوجت قمة كل من واجهتي الرواق القبلي والبحري ، المطلتان على الصحن بشرفات ذات ورقة ثلاثية [لوحة الصور بعيده] .

ويتوسط الجزء العلوي من واجهة رواق القبلة المطلة على الصحن لوحة تأسيسية ، كتبت على الحجر بالخط النسخي البارز ، ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ [٣] . أمر بإنشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان المالك الملك الناصر فرج بن برقوق ، أدام الله أيامه ونشر في الخافقين أعلامه وكان الفراغ في سنة ثلاث عشر وثمانمائة][٤] .

الصحن : [لوحة ١٩ ، ٢٥] :

مستطيل الشكل و مكشوف ، تبلغ أبعاده ٢٥ر٣٩ م × ٦ر٣٦ م

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٧ .

(٢) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ٢٢٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

(٤) عادل شريف ، اللوحات التأسيسية ، ص ٣٦١ .

وأرضيته من الحجر الجيري ، وتتوسطه الميضأة [١] .

ويفتح على الصحن ستة أبواب ، إثنان منهما يكتنفان الرواق البحري ، فيؤدي الجنوبي منهما إلى قاعة السلطان ، والشمالي إلى قاعة شيخ المدرسة [٢] [لوحة ١٩] ، ويكتنف بابان آخران الرواق الشمالي ، فيؤدي الشرقي منهما إلى كتلة الخلاوي الشمالية . [لوحة ٢١] . بينما ينفذ الغربي إلى دهليز المدخل الثاني للمدرسة[٣] [لوحة ٢٦] .

وآخر بابين من هذه الأبواب يكتنفان الرواق الجنوبي ، فيؤدي الشرقي منهما إلى المكتبة ، ودورة المياه ، وما خلفها [لوحة ٢٣] . وينفذ الغربي إلى الدهليز الرئيسي للمدرسة[٤] . [لوحة ٢٧] .

وتتماثل هذه الأبواب في الشكل والزخارف ، فلكل منها حجر غائر ، يتوسط أسفله الباب ، الذي يكتنفه مكسلتان من الحجر ، وعلى عضادتي الباب كتابة بارزة بالخط النسخي نصها ﴿ أدخلوها بسلام آمنين ﴾ [٥] [سورة الحجر آية ١٥] .

ويعلو كل فتحة باب عقد مستقيم يتكون من صنج مزررة

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٥ .

(٢) Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 79 - 82.

(٣) Ibid , p , 56 , 91 .

(٤) Ibid, p , 71 .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٥١ .

مشهرة « أحمر وأصفر » ، يليه نفيس ، ثم عقد عاتق يتكون من سبع صنجات مزررة ، يعلوه شباك مستطيل مغطى بمصبعات برونزية ، ويتوج الحجر عقد مدبب ، حددت حوافه الداخلية بشريط زخرفي لأشكال دالية ، ويختلف عن ذلك البابين المكتنفين للرواق الشمالي الغربي ، حيث لا يتوجهما عقد ، وإنما مساحة مسطحة بمداميك حجرية مشهرة « أحمر وأصفر » . كما حددت هيئة كل حجر بجفت يلتقي عند قمة العقد بميمة كبيرة ، ويعلو كلاً منها شرفات تشبه شرفات الواجهة(١) .

مكتبي السبيل :

زودت هذه المدرسة بمكتبي سبيل [لوحة ١] ، أحدهما يقع جنوب غربي الواجهة الشمالية الغربية ، بجوار مدخل المدرسة الرئيسي ، والثاني في الطرف الشمالي الشرقي لنفس الواجهة [شكل ٣٤] ، ويتوصل إلى السبيل الأول عن طريق فتحة باب تفتح على الدهليز الرئيسي للمدرسة .

أما السبيل الثاني فإنه يطل بفتحة باب على دهليز المدخل الثاني . أما المكتبين الذين يعلونهما ، فيتم التوصل إليهما عن طريق درج يؤديان إلى الأدوار العلوية من المدرسة ، وينفذان على الدهليزين السابقين(٢) .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٢ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

Mostafa "s . t" , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 103 , 108 .

والمبنيان متماثلان من حيث المساحة ، وتبلغ أبعاد كلاً منهما ٥ر٦ م × ٦ م ، وسقفهما وأرضيتهما مجددتان حديثاً . ويوجد بجوار السبيل الغربي حاصل صغير خصص لحفظ أدوات السبيلين ، ومستلزماتهما (١) .

المزملة :

زودت المدرسة بمزملة [بيت أزيار] ، كانت تقع في الدهليز الرئيسي وهي عبارة عن إيوان معقود بعقد مدبب ، وله سقف مقبي ، وتبلغ أبعاده ٥ر٢ م × ٢ر٢ م (٢) .

المكتبة [شكل ٣٤] :

زودت المدرسة بمكتبة اندثرت معظم معالمها حالياً ، وكانت تقع في الجناح الجنوبي من المبنى(٣) ، وهي عبارة عن قاعة تتكون من إيوان واحد يتقدمه درقاعه ، وتبلغ أبعاد الايوان ٣ م × ٨ر٢ م. وكان له سقف خشبي . وبه ثلاث دخلات ، كانت تستخدم ككتبيات لحفظ مقتنيات المكتبة من الكتب ، وتتساوى مساحة الدرقاعه مع مساحة الايوان ، وكان لها سقف خشبي يتوسطه ملقف « باذهنج »(٤).

---

(١) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ٢٠٣ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

(٣) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ، ص ٩ .

(٤) Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 120 .

والملقف أو الباذهنج ، منور خشبي يتلقف به الهواء ويكون عادة متجهاً نحو الشمال . محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية، ص ١٩ ، ١١٥ .

ويقع إلى شمالي المكتبة حاصل صغير ، يبدو أنه كان يستخدم لحفظ أدوات المكتبة[(١)] .

وحدات الإسكان :

تنوعت وحدات الإسكان في المدرسة ، ليلبي كل نوع احتياجات معينة . وعلى الرغم من فقدان حجة الوقف الخاصة بالمدرسة ، وهي التي ستمكننا من تحديد استخدامات وحدات السكن عموماً . فبالنظر إلى طبيعة بناء كل منها وموقعه ، يمكننا تحديد وظيفة هذه العناصر بقدر كبير من الوضوح .

ففي الطرف الجنوبي الغربي من المدرسة توجد قاعة مكونة من إيوان وسدله مقابلة وبينهما درقاعه [شكل ٣٤] ، اندثرت معظم أجزائها في الوقت الحاضر . والايوان مربع الشكل تبلغ أبعاده ٥ م لكل ضلع ، وعلى يمين الداخل إليه نافذتان في دورين ، تطلان على الواجهة الشمالية الغربية للمبنى . أما السدلة فتبلغ أبعادها ٥ م × ١ م .

أما أبعاد الدرقاعه فتبلغ ٥ر٢ م × ٨ر٤ م[(٢)]. وكان جميع ذلك مغطى بسقف خشبي ، ويتوسط الدرقاعه ملقف «باذهنج »[(٣)] .

---

(١) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٣ .

Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 125 .

(٣) صالح لمعي ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي ص ٩ .

ولقد زودت القاعة بغرفة مبيت عبارة عن خلوه حبيس كانت تقع إلى الجنوب من الإيوان ، كما زودت ببيت خلاء يقع شرقي الدرقاعه[١] .

ومن الواضح أن هذه القاعة ، كانت مخصصة للسلطان عند زيارته المدرسة ، حيث كان يقضي بها بعض الوقت ، ويبيت بها الليالي كما يذكر المقريزي[٢] . ويظهر أنها استخدمت في أواخر عصر المماليك لنزول بعض ضيوف السلطان . وذلك عندما أنزل أمير مكة الشريف بركات[٣] بالمدرسة ، أثناء زيارته مصر سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥م[٤] .

كذلك زودت المدرسة بقاعة أخرى مشابهة للسابقة تقريباً ، تقع شمالي الايوان البحري [شكل ٣٤] ، وهي كسابقتها ، زالت معظم مكوناتها المعمارية .

---

(١) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ٢٠٤ .

Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 127 .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ١ / ص ١٩٨ .

(٣) هو الشريف بركات بن محمد بن بركات ، شريف مكة وأمير الحجاز ، ولي الإمارة مدة طويلة وكانت وفاته سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م . إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٨ / ص ١٧٢ . عبدالقادر العيدروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ١٥٢ .

(٤) عبد العزيز بن فهد ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ج٣/ص ٣١٥ ابن إياس ، بدائع الزهور جـ٤/ ص ٤٥٦ .

وتتكون هذه القاعة من إيوان ودرقاعه ، وتبلغ أبعاد الإيوان ٢ر٤ م × ٤ م . وتساويه في ذلك أبعاد الدرقاعه[١]. وللإيوان نافذتان تطلان على الواجهة الشمالية الغربية . وسقف هذه القاعة يشبه سابقتها[٢] .

ولقد زودت هذه القاعة بمبيت ، عبارة عن خلوة حبيس ، تقع قبلي الإيوان ، وينفذ إليها من خلال فتحة باب تطل عليه[٣] . وكانت هذه القاعة مخصصة لشيخ المدرسة[٤] .

وتعد القاعتان السابقتان ، أكبر الوحدات السكنية في المبنى . وما بقي من وحدات ، عبارة عن خلاوي ، توزعت معظمها في الضلعين الشمالي والجنوبي من المبنى .

فبالنسبة لخلاوي الضلع الشمالي [لوحة ٢٨ ، ٢٩] ، فإن ثمانية منها كانت تفتح أبوابها على الإيوان الشمالي الشرقي ، وتبلغ أبعاد كلٍ منها ٣ر٣ م × ١ر٢ م وهي بدون نوافذ حبيس [٥]، وإلى الخلف منها ، توجد أكبر كتلة خلاوي في المبنى ، وقد وزعت على أربعة طوابق [٦] . الأرضي منها يقع في مستوى أقل من

---

(١) Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 130 .

(٢) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ٢٠٨ .

(٣) Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 131 .

(٤) صالح لمعي ، العمارة الإسلامية في العصر المملوكي ص ٩ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٧ .

(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٧ .

مستوى أرضية المدرسة ، ويتكون من صفين متقابلين من الخلاوي ، تسعة منها على يسار الداخل ، وثمانية على اليمين .

أما الطابق الثاني ، فيحتوي على صف واحد شمالي يتكون من تسعة خلاوي ، في حين أن الخلاوي المقابلة له هي المطلة على الرواق الشمالي الشرقي وسبق الإشارة إليها . أما الطابق الثالث والرابع ، فإنهما يماثلان الطابق الأرضي .

ومما يجدر ذكره فإن الخلاوي الواقعة يسار الداخل،لها نوافذ تطل على الواجهة الشمالية الشرقية للمدرسة ، وقد سبق وصفها . كما أن الخلاوي العلوية كان يتوصل إليها عبر الدرج الصاعد من الدهليز المؤدي لمدخل المدرسة الثاني عبر دهاليز تتصل به ، اندثرت حالياً . بحيث يمكن من أسفل مشاهده جميع أبواب الخلاوي العلوية . كما هو مشاهد في اللوحة السابقة . وهذه الخلاوي متقاربة في المساحة ، فتبلغ أبعاد كل منها ٣ × ٢ م(١) .

أما بالنسبة لخلاوي الضلع الجنوبي [لوحة ٣٠] ، فإن هناك أيضاً ثمانية خلاوي تفتح أبوابها على الرواق الجنوبي الغربي ، وتبلغ أبعاد كل منها ١ر٢ × ٩ر١ م(٢) .

---

(١) Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 205 .

خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٢) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ، ص ١٠ .

وإلى الخلف من هذا الرواق ،توجد كتلة من الخلاوي ، عبارة عن صف واحد ملاصق للرواق يرتفع إلى ثلاثة طوابق . وأولها يقع في مستوى أقل من مستوى أرضية المدرسة . وبه أربعة خلاوي فقط . ثم يأتي الثاني والثالث ، وكلاهما يعلوان الخلاوي المطلة على الرواق ، وبكل منهما ثمانية خلاوي [١] . وجميعها متساوية المساحة حيث تبلغ أبعادها ١ر٢ × ٩ر١ م [٢] .

كذلك زودت المدرسة بمجموعات أخرى من الخلاوي ، كانت تقع بجوار مكتب السبيل ، وبجوار القاعتين الكبيرتين ، اندثرت معظم معالمها مع الوقت . لأنه لم يجر ترميمها من قبل لجنة حفظ الاثار العربية وزودت كل من مئذنتا المدرسة بخلوتين كانت مخصصة للمؤذنين[٣] .

ولقد كانت معظم هذه الخلاوي مخصصة لسكنى طلبة المدرسة ، علاوة على أرباب الوظائف فيها . كما جرت به العادة في مدارس ذلك العصر [٤] ، وإن كان هذا لا يمنع من أن تكون السفلية منها مستخدمة كحواصل [مخازن] للمدرسة .

المطبخ [شكل ٣٤] :

يقع مطبخ المدرسة في الضلع الجنوبي من المدرسة ، في

---

(١) خليل سعيد ، الربط الاسلامية ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٧ .

(٣) Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 927 - 198 .

(٤) للمزيد ، انظر الفصل الثاني من الباب الثالث ، ص ٤٣٩ – ٤٥٥ .

مواجهة الخلاوي التي هناك [شكل ٣٤] . وهو عبارة عن حجرة مقسومة إلى قسمين ، الشرقي تبلغ أبعاده ٦ م × ٥ر٥ م ، والغربي وتبلغ أبعاده ٥ر٥ م × ٤ م . ويتبع الحجرة إلى الغرب منها حاصل صغير(١) . ويلاحظ أن الحجرة غير مسقوفة في الوقت الحاضر ، وتبدو في أعلى جدرانها معالم سقف خشبي كان يعلوها(٢) .

الحواصل :

استغل المعمار الفراغات الموجودة في بعض جوانب المبنى لينشيء فيها مجموعة حواصل المبنى ، الذي تخزن فيها مقتنيات المدرسة . فمن ذلك أربعة حواصل تكتنف الرواق البحري من الشمال والجنوب(٣) .

كما تعتقد دولت عبدالله أن الخلاوي السفلية ، التي تقع في المجموعتين الشمالية والجنوبية ، كانت تستخدم كحواصل للمدرسة(٤) .

الميضأة ودورة المياه [شكل ٣٤] :

زودت المدرسة بميضأة ، كانت تقع في صحن المدرسة ، وقد

---

(١) Mostafa " s . t " , Klostere und , Mausolem , des Farag Ibn Bargug p, 153 .

دولت عبدالله ، الخوافق في مصر ، ص ١١٨ .

(٢) خليل سعيد ، الربط الإسلامية ، ص ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٣ .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٤ .

اندثرت تماماً في الوقت الحاضر . ويرى صالح لمعي[١] بأنها كانت مثمنة الشكل ، وتغطيها قبة من الخشب محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام ، لها قواعد وتيجان ناقوسية الشكل .

أما دورة المياه ، فتقع في الناحية الجنوبية خلف الخلاوي التي هناك ، وتبلغ أبعاد المنطقة التي تشغلها ٢ر٩ م × ٨ر٦ م[٢] . ويتوسطها معالم جدار فسقية ، وبها معالم سبع مراحيض مبنية بالحجر ، وتكاد أن تزول معالمها [لوحة ٣٢] .

المئذنتــــان [لوحة ١٩] :

زودت المدرسة بمئذنتان متماثلتان ، متقنتا الصنع ، تعلوان الجانب الغربي منها وتتوسطانه تقريباً . وتتكون كل من هاتين المئذنتين من ثلاثة أدوار [لوحة ٣١] ، أولها مربع الشكل ، زخرفت كل واجهة من واجهاته الأربع بدخلة مستطيلة الشكل ، يتوجها زخارف مقرنصة ، وقد فتح بكل دخله نافذة صغيرة مستطيلة الشكل ، يعلوها عقد مفصص على شكل ورقة نباتية ثلاثية . ويتقدم هذه النوافذ شرفة صغيرة محمولة على صفوف من المقرنصات . وينتهي هذا الدور بشرفة مربعة محمولة على صفوف من المقرنصات . ولها درابزين مكون من شقف حجرية مفرغة ذات رؤوس رمانية .

---

(١) صالح لمعي ، العمارة الاسلامية في العصر المملوكي ، ص ٦ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١١٨ .

أمـا الـدور الـثـانـي ، فـهـو مـسـتـديـر الـشـكـل ، وعـلـيـه زخـارف بـارزة لجـفت لاعب ذو مـيـمـات ، ويـتـوجـه أيضـاً شـرفـة مـسـتـديـرة الـشكل تـعلـو هـذا الـطـابـق على صـفوف من المقرنصـات ، ولـهـا درابـزين مكون من شـقف حـجـرية مـفـرغـة ذات رؤوس رمـانـيـة . وتـحـمـل هـذه الـشـرفـة الجـوسـق المكون من ثـمـانـيـة أعـمـدة رخـامـيـة ، يـعـلـوهـا الـدورة المقرنصـة الـثـالـثـة ، الحـامـلـة لـلـقـبـة ذات شكـل الـقـلـة[1] .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢١ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ٦٨٠ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٥١ .

الفصل الثاني

مدرسة الأشرف برسباي

٨٢٨هـ / ١٤٢٥م

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة السلطان الملك الأشرف برسباي ، ثامن ملوك الجراكسة ، والثاني والثلاثون من ملوك الترك بمصر [(١)] . من عتقاء الظاهر برقوق ، تقلب في مناصب عدة إلى أن تمكن من اعتلاء سدة الحكم . بعد خلع الملك الصالح بن ططر[(٢)] سنة [٨٢٥ هـ /١٤٢١م] [(٣)] و إزاحة منافسيه على السلطة[(٤)] . وضل فيها إلى أن توفي سنة [٨٤١ هـ / ١٤٣٧م] [(٥)] . ويعد برسباي من أبرز سلاطين العصر الجركسي ، بعد الظاهر برقوق ، حيث تميز عهده بالاستقرار[(٦)] بشكل عام . وتزايد في تلك الأثناء نفوذ الدولة وقوتها، فامتد سلطانها إلى مناطق جديدة ، حيث تم في تلك الأثناء فتح قبرص ، وأسر ملكها ، وفرض الجزية السنوية عليها[(٧)] .

ولقد بذل هذا السلطان مجهودات كبيرة لمعالجة المشكلات

---

(١) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ /ص ٨١ .

(٢) الملك الصالح محمد بن ططر ، ولي السلطنة بعهد من أبيه الظاهر ططر سنة ٨٢٤ هـ/١٤٢١م ولم يكن قد بلغ الحلم بعد . ومدبر الدولة هو برسباي ، الذي خلعه ، واستبد بالسلطان . توفي سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩ م . ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ٢/ ص ٦٣٠ . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٧ / ص ٢٧٤ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٠٧ - ٦٠٨ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ٧٦ - ٧٩ .

(٥) إبن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ ٣ / ص ٤٢١ .

(٦) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢/ ص ١٨٨ .

(٧) المقريزي ، السلوك جـ ٤ / ق ٢ / ٧٢١ - ٧٢٦ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ١٠٦ - ١٠٩ .

الاقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد . فقام بدعم التجارة في بلاده ، وذلك بترغيب التجار واستمالتهم ، ليمارسوا تجاراتهم في الموانى الخاضعة لسلطانه[١] ، مع الحرص على احتكار بعض التجارات المهمة والسيطرة عليها[٢] ، كتجارة الفلفل والسكر والأقمشة[٣] ، بل إن الدولة تاجرت بالأجبان والخضروات واللحوم[٤] .

مما أسهم في توفير موارد جيدة للدولة ، مكنتها من سك عملات جديدة نسبت للسلطان[٥] ، تميزت بنقاوتها[٦] ، فكان للناس بها رغبة شديدة[٧] .

لكن هذه السياسة وإن كان قد حققت نتائج سريعة وآنية ،

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة . رسالة ماجستير ، كلية الاثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م، ص ١٥ .

(٢) سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ / ق ٢ / ص ٦٤٧ ، ٧٩١ - ٧٩٢ ، ٨٢٣ - ٨٢٤ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ / ص ١٨٩ .

(٥) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية ، ص ٦ - ١١ .

(٦) كان يتم تنقية سبائك الذهب بطرق عدة ، تقوم في الأساس على وسائل كميائية ، باستعمال مواد معينة . للمزيد انظر ضيف الله الزهراني ، دار السكة ، نشأتها ، أعمالها ، إدارتها ، بحث منشور في مجلة الدارة ، العدد الثاني ١٤١٥ هـ . الرياض ص ١٥ - ١٦ .

(٧) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ / ص ١٨٩ .

فإنها في نهاية الأمر أضعفت النشاط التجاري في البلاد[١] . فإذا أضيف إلى ذلك تدهور الزراعة ، نتيجة لعدم العناية بالترع والجسور [٢] . فلقد ترتب عنه مزيد من التراجع الاقتصادي ، فكسد البيع والشراء في الأسواق ، وضعفت موارد الناس عموماً[٣] .

أما عن شخصية هذا السلطان ، فعلى الرغم من بعض المثالب السيئة فيه[٤] ، فلقد كان يغلب عليه التدين ، والميل لإظهار شعائر الدين ، ومحاربة المنكرات ، واحترام العلم والعلماء[٥] .

إنشاء المدرسة :

تذكر المصادر التاريخية ، بأن صدور الأمر بالشروع في بناء المدرسة ، كان في سنة [٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م] [٦] . فتم في تلك

---

(١) سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٢٦٩ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٧٨ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٢٠٧ ، ٧٦٤ .

(٤) يذكر السخاوي أن الأشرف برسباي كان شحيحاً بخيلاً ، وفيه طمع وغير ذلك من سوء الطباع . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٣ / ص ٩ .

(٥) العيني ، بدر الدين ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٨٢٤ - ٨٥٠هـ ، تحقيق : عبدالرزاق القرموط ؛ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٧٩م . القاهرة ص ٥٠٣ . ابن تغري بردي ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، جـ ٣ / ص ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٦) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٣٦ . العيني ، عقد الجمان ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ٨٦ . محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية ، ص ٩٠ .

الأثناء، إزالة الحوانيت والمباني من المنطقة التي اختيرت لتنفيذ المشروع عليها[١] .

وهناك اختلاف في تحديد تاريخ الفراغ من التنفيذ ، حيث تشير إحدى اللوحات التأسيسية في المدرسة ، أن ذلك تم في سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م[٢] . ويؤكد ذلك بعض المصادر التاريخية [٣] . أي أن تنفيذ مشروع كبير كهذا تم في سنة واحدة تقريباً ، وهو ما يصعب قبوله .

والراجح أن جزءاً مهماً من المدرسة قد تم تنفيذه في تلك السنة ، كما يشير المقريزي[٤] بذلك ، حيث ذكر بأنه قد تم في تلك السنة الانتهاء من بناء الإيوان القبلي . واكتملت بقية الأواوين في السنة التي تليها ، حيث يذكر ابن حجر[٥] بأنها السنة التي كملت فيها عمارة المدرسة . أما بقية الملاحق ، فلم يكتمل بنائها إلا في سنة [٨٣١هـ / ١٤٢٨ م] [٦] .

ويلاحظ أن بدء التعليم في المدرسة ، ثم منذ سنة [٨٢٧هـ / ١٤٢٣م] ، أي بعد الانتهاء من بناء الإيوان القبلي ، فافتتح برسباي

---

(١) العيني ، عقد الجمان ، ص ٢٠٢ .
(٢) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٩٠ .
(٣) العيني ، عقد الجمان ص ٢٣٣ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢/ ص٩٢.
(٤) المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٣٣١ .
(٥) ابن حجر ، إنباء الغمر ، جـ ٣ / ص ٣٤٣ .
(٦) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ . بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

المدرسة ، وقرر فيها تدريس المذهب الحنفي ، وعين لذلك الشيخ علاء الدين الرومي[١] ، والذي عين أيضاً شيخاً للمدرسة [٢] .

ثم زاد السلطان برسباي في سنة [٨٣٣هـ / ١٤٢٩ م] عدد التخصصات التي تدرسها المدرسة ، بإدخال بقية المذاهب الأربعة فيها[٣] . فقرر لتدريس المذهب الشافعي ، شمس الدين محمد بن علي القاياتي[٤]. وللمالكي ، عبادة بن علي الزرزاري[٥]، والحنبلي ،

---

(١) هو علاء الدين علي بن موسى الرومي ، نزيل القاهرة ، رحل كثيراً في طلب العلم ، كان عالماً محققاً ، إلا أن فيه طيش ، وخفة وحدة في الطبع . توفي سنة [٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م] . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦ / ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان ، جـ٣ / ص ٥٣ . وولي بعده هذه الوظيفة جملة من مشايخ ذلك العصر . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ٩١ - ٩٥ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ / ق ٢ / ص ٨٣٢ . ابن الصيرفي ، نزهة النفوس جـ٣ / ص ١٩٢ - ١٩٦ .

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياتي الشافعي . كان ماهراً في الفرائض والنحو . عاقلاً زاهداً ، ولي القضاء فترة من الزمن . توفي سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٨ / ص ٢١٢ - ٢١٤ .

(٥) هو عبادة بن علي بن صالح بن عبدالمنعم بن سراج ، الأنصاري الخزرجي . من أعيان مذهب المالكية ، عرض عليه القضاء فامتنع أشد الامتناع ، كان ورعاً زاهداً على طريقة السلف . توفي سنة ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م . المصدر السابق نفسه جـ٢ / ص ١٦ - ١٨ .

زين الدين عبدالرحمن بن محمد ، المعروف بابن الزركشي(١) .

وخصص لها خمسة وستون طالباً ، خمسة وعشرون منهم يدرسون المذهب الحنفي ، وعشرون للمذهب الشافعي ، وعشرة لكلٍ من المذهبين الباقيين ، المالكي والحنبلي(٢) .

كما ألحق بها ثلاثين من الأيتام يحفظون القرآن في كتابها ، وعين لهم مؤدب(٣) لذلك (٤) .

ولم تكن وظيفة هذه المدرسة قاصرة على التدريس فقط ، وإنما كانت تقوم بدور المسجد الجامع ، حيث كانت تقام فيها الجمع والجماعات ، وخصص لها برسباي ، إماماً وخطيباً ومؤذنين ، وغير ذلك مما تحتاجه المنشأة في هذا المجال(٥) .

---

(١) هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد المصري الحنبلي ، محدث مصر في عصره عالماً بمذهبه مع التواضع وحسن الخلق . توفي سنة [٨٤٦هـ/١٤٤٢م] . المصدر نفسه جـ ٤ / ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٢) حجة وقف السلطان برسباي ، برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) المؤدب ، يقصد به معلم الكتّاب ، وهو يختص بتعليم الأطفال مبادىء الدين الحنيف بدءاً من عقيدة أهل السنة والجماعة . كما يحفظهم القرآن الكريم ، وهو الموضوع الأساسي مع تدريسهم بعض الأحاديث النبوية الشريفة . السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١٣٠ .

(٤) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية .

(٥) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية .

كما كانت تقوم بدور الخانقاه ، حيث اشترط في طلبتها أن يكون من المتصوفة المنقطعين للعلم والعبادة . وكانوا ملزمين بحضور دروس التصوف عند شيخ المدرسة(١) . بالإضافة إلى ما يتلقونه من علوم في المذاهب الأربعة (٢) .

موقع المدرسة :

تقع المدرسة في قصبة القاهرة ، في موضع يعرف بالتربيعة ، فيما بين المدرسة السيوفية(٣) ، وقيسارية العنبر(٤) .

---

(١) جرت العادة في ذلك الوقت جعل شيخ المدرسة ، هو شيخ الصوفية فيها. علاوة على قيامه بتدريس المذهب الرئيسي للمدرسة . محمد عبدالستار عثمان ، نظرية الوظيفية ، جـ ١ / ص ١٣٧ - ١٣٩ . وعن الشروط الواجب توفرها فيمن يقوم بهذه الوظيفة . انظر السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١٢٤ .

(٢) حجة وقف السلطان برسباي ، برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) هذه المدرسة من إنشاء الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ويدل على موقعها في الوقت الحاضر جامع الشيخ مظهر ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٣٦٥ ، علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ / ص ١٠٩ ، جـ ٦ / ص ٨٧ ، عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م . القاهرة ، ص ٢٧٢ .

(٤) المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٣٣٠ . وقيسارية العنبر عبارة عن سوق لبيع العنبر ، وهو من إنشاء الملك الظاهر بيبرس . وكان في موضعه أحد السجون التي تعود للعصر الفاطمي . المصدر السابق نفسه ، جـ٢/ ص١٣٢-١٣٣.

وكان يوجد في هذا الموقع قبل إنشاء المدرسة حوانيت تعلوها رباع ، ومن ورائها ساحات وقياسر ، كان بعضها وقف على إحدى مدارس القاهرة (١) .

ويذكر المقريزي(٢) بأنه قد جرى استبدال هذه الأوقاف ، بأوقاف أخرى بدون إجبار للمستحقين ، فكان لهم الاختيار فيما يستبدل به وبما يرضيهم ، بينما يرى ابن حجر(٣) بأن ذلك تم بوجوه من التحايل لإبطال هذه الأوقاف .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ٢ / ص ٣٣٠ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٢ / ص ٦٣٦ – ٦٣٧ .

(٣) ابن حجر ، إنباء الغمر ، جـ ٣ / ص ٣٠ .

الوصف المعماري للمدرسة

التخطيط [شكل ٣٩] :

تشغل المدرسة منطقة مستطيلة الشكل تبلغ أبعادها ٥٠ م × ٤٠ م (١) . لتشكل بذلك مساحة مقدارها ٢٠٠٠ م٢(٢) . ويتكون المبنى من مجمع ينقسم إلى قسمين أساسيين ، هما :

أولاً - المدرسة :

وتتكون من قاعات الصلاة والدرس ، ومكتب سبيل . علاوة على مساكن للشيوخ والطلبة ، بالإضافة إلى ملاحق الخدمة ، مثل المكتبة والميضأة والحواصل ، وغير ذلك (٣) .

ثانياً - التربة :

وهي عبارة عن قبة كانت مخصصة للدفن ، تشغل الركن الشمالي الشرقي من المبنى (٤) .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٢ .

(٢) وتشمل هذه المساحة ، كتلة مساكن الطلبة ، والتي كانت تقع في الركن الجنوبي الغربي من المبنى ، ثم أزيلت بعد ذلك ، فقلت مساحة المبنى حيث أصبحت ١٧٦٠م . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ١١٤ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٠ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٥ .

(٤) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٠ .

وما يهم الدراسة هنا هو المدرسة ، والتي كانت تتكون من صحن تحيط به أربعة إيوانات متعامدة خصص كل واحد منها لمذهب من المذاهب الأربعة التي تدرس في المدرسة . فخصص الإيوان الجنوبي الشرقي [القبلي] لتدريس المذهب الحنفي ، بينما دُرِّس المذهب الشافعي في الإيوان الشمالي الغربي [البحري] ، في حين شغل الإيوان الشمالي الشرقي المذهب المالكي ، والإيوان الجنوبي الغربي المذهب الحنبلي(١) .

الواجهـــات :

زودت المدرسة بثلاث واجهات ، تعد الجنوبية الشرقية أكثرها أهمية على الإطلاق .

الواجهة الجنوبية الغربية [القبلية] [لوحة ٣٤] :

يبلغ طول هذه الواجهة ٥ر٣٩م (٢). وتنقسم إلى ثلاثة أقسام. أولها عبارة عن الواجهة الشرقية لمكتب السبيل، ثم يليها واجهة المدخل الرئيسي ، وبعد ذلك تأتي واجهة الإيوان والقبة (٣) .

وتتكون واجهة مكتب السبيل الشرقية [لوحة ٣٦] من واجهة السبيل ، تعلوها واجهة الكتاب ، ويتوسط واجهة السبيل

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) محمد عبدالستار عثمان، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٤ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤/ ص ١١١ .

شباك التسبيل المغطى بمصبعات برونزية ، ويعلوه إزار خشبي ، يتوسطه حشوة خشبية مستطيلة بها كتابة تأسيسية بالخط النسخي البارز ما نصه [أمر بإنشاء هذا المكان المبارك إبتغاء لوجه الله تعالى وطلباً لرضوانه سيدنا ومولانا المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي خلد الله ملكه] (١). ويكتنف هذه الحشوة من الجانبين حشوتان صغيرتان مستطيلتا الشكل ، يتوسط كل منها عقد مفصص (٢) مفرغ ، ويعلو ذلك نافذة صغيرة مربعة يتوجها عتب خشبي(٣) .

يلي ذلك واجهة الكتاب الخشبية ، وهي عبارة عن شرفة مرتكزة على أربعة كرادي (٤) خشبية ، تحمل الدابزين الخشبي ، يعلوها أربعة أعمدة ، ترتكز عليها ثلاثة عقود مدببة ، المتصدر للواجهة هو أوسعها ، بينما الجانبيان صغيران نسبياً . ثم يلي ذلك رفرف الكتاب . ولا يتوج هذا القسم من الواجهة شرفات

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ١٣٧ .

(٢) العقد المفصص ، هو عقد مكون من عدد الانحناءات ، كل منها يمثل فصاً واحداً . انظر الفصل الثالث من الباب الثالث ، ص ٥١٦ .

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٧ .

(٤) الكردي ، عبارة عن كابولي خشبي ، يستخدم لرفع العناصر الانشائية ، وبخاصة الخشبية كالمعابر وغيرها . صالح لمعي ، التراث المعماري الاسلامي في مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م ، بيروت ، ص ٩٧ . عبداللطيف ابراهيم ، وثيقة قراقجا الحسني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٨ ، العدد ٢ ، ١٩٥٦ م ، ص ٤٥٤ .

كبقية أقسامها الأخرى[١] .

يلي ذلك واجهة مدخل المدرسة ، والتي ستوصف لاحقاً . ثم من بعدها واجهة الإيوان الجنوبي الشرقي والقبة [لوحة ٣٥] . ولهذا القسم من الواجهة ثلاث دخلات ، الجنوبيتان منها مخصصة لواجهة الإيوان ، وهما أكثر اتساعاً من الشمالية ، التي تشغل واجهة القبة ، ويتوجها جميعاً صدور مقرنصة [٢] .

وبكل من هذه الدخلات دورين من الشبابيك السفلية مستطيلة الشكل مغطاة بمصبعات برونزية[٣] ، يعلو كل منها عقد مستقيم مكون من صنج مزررة ومشهرة « أحمر وأصفر » . يليه من أعلى نفيس ، وعقد عاتق ، صنجة مزررة ومشهرة « أحمر وأصفر » . ولكل منها أيضاً إزار خشبي مزخرف بزخارف نباتية عبارة عن فروع وأوراق [٤] . أما النوافذ العلوية فهي تسير على نظام الشمسيات ، ويحيط بعقودها مدماك حجري[٥] .

وتحصر دخلتي واجهة الإيوان قمرية تعلو منطقة المحراب[٦]. ويوجد في أعلى هذه الواجهة بحر كتابي بالخط النسخ البارز ما

---

(١) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤/ ص ١١٢ . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٧ .

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

(٣) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٧٧ .

(٤) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٠ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٧ .

(٦) محمد عبدالستار ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٠ .

نصه : [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ (١) صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي خلد الله ملكه بمحمد وآله يا رب العالمين ، وذلك بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى عبدالباسط ناظر الجيوش المنصورة غفر الله له وللمسلمين في مدة أولها شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة وآخرها سلخ جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة](٢) .

ويتوج الواجهة إلى حد الكتاب شرفات على شكل الورقة النباتية الثلاثية (٣).

ويشغل أعلى الركن الشمالي الشرقي القبة ، وتبدو مرتفعة بعض الشيء لأن منطقة الانتقال تبدأ من سطح المدرسة ، ومنطقة الانتقال هذه عبارة عن مدرجات ، تنطلق من الأركان لتحول المربع إلى مثمن . وزينت رقبتها نوافذ عبارة عن شمسيات يعلوها شريط كتابي عليه آية الكرسي ، بالخط النسخ البارز (٤) ، وزين

---

(١) سورة الفتح آية ١ .

(٢) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٧٧ . محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢١ . جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٧ .

(٣) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٢ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٤٥.

بدن القبة بزخارف دالية تنتهي بالميمات [١] .

وفي الركن الشمالي من هذه الواجهة ، يوجد شطف ، يشغل الجزء السفلي منها [٢] .

الواجهة الشمالية الشرقية [لوحة ٣٧ ، ٣٨] :

يبلغ طول هذه الواجهة ٣٦ م . ويشغل الجانب الشرقي منها واجهة القبة الشمالية ، والتي تماثل واجهتها الشرقية [٣] .

ثم يلي ذلك ، منطقة جرى تجديد معظم أجزائها ، ببناء غير مهذب ، وفي هذا الجزء توجد نافذتان مستطيلتان ، سدت إحداهما بالبناء[٤] . ثم يتبع ذلك واجهة الإيوان الشمالي الشرقي ، وبها نافذتين في دورين تماثل الأسلوب المتبع في الواجهة الرئيسة [٥].

يلي ذلك الباب الجانبي للمدرسة ، وهو عبارة عن فتح صغيرة . وكان يوجد في هذه المنطقة نوافذ لخلاوي كانت تشغل حيزاً من ركني المدرسة الشمالي والغربي، اندثرت ولم يبق سوى معالم لها ، والتي تشير إلى أنها كانت ترتفع إلى ثلاثة طوابق [٦].

---

(١) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة ، جـ١ / ص ٢٢١ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٧ .

(٢) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٢ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٢ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٢٢ .

(٥) نفسه ، ص ١٢٢ .

(٦) نفسه ، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

ولا يعلو هذه الواجهة شرفات كما هو الحال في الواجهة الرئيسة ، ولعل ذلك راجع لعدم أهميتها ، حيث تطل على شارع فرعي . أو أنها كانت موجودة ، ولكنها اندثرت ، على الرغم من عدم وجود دلائل تشير إلى ذلك [(١)].

الواجهة الجنوبية الغربية :

وطول هذه الواجهة ، يصعب تحديده في الوقت الحاضر . فلم يتبق منهاسوى واجهة مكتب السبيل ، والتي تماثل واجهته الشرقية ، علاوة على واجهة حجرة ملحقة خلف السبيل ، أما الجزء الباقي فتشغله مباني حديثه[(٢)] .

المدخل [لوحة ٣٩] :

يرتفع مدخل المدرسة عن سطح الأرض ، ويصعد إليه بسلم جانبي مكون من جناحين ، بكل منهما ثمان درجات ، تؤدي إلى البسطة[(٣)] . والتي لها سياج رخامي ، مكون من حشوات مفرغة ، تربط بينها ، أعمدة صغيرة مربعة الشكل ، ذات رؤوس رمانية. ويليها حجر المدخل، والذي يبلغ ارتفاعه٣ م، وعمقه ٢ م[(٤)]. ويكتنفه مكسلتان من الحجر محددتان بجفت مجرد[(٥)] ، يعلوهما

---

(١) نفسه ، ص ١٢٣ .

(٢) نفسه ، ص ١٢٣ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٣ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ /ص ١١١ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٥ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٥ .

عضادتان من الرخام كتب عليهما بالخط النسخي البارز ما نصه [﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ (١). صدق الله العظيم أنشأ هذه المدرسة المباركة ، مولانا السلطان سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين ، قسيم أمير المؤمنين خادم الحرمين الشريفين المالك الملك الأشرف خلد الله ملكه] (٢).

ويتوسط الحجر فتحة الباب ، يغلق عليها مصراعين من الخشب المصفح بالنحاس ، المزخرف بزخارف جميلة ، حيث يتوسطه بخارية [مدالية] كبيرة ، عليها زخارف عبارة عن أفرع نباتية متشابه ، تتفرع منها أوراق كأسية وأنصاف مراوح نخيلية محززة . ويتوسط هذه البخارية كتابة نسخية غائرة نصها [عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف برسباي عز نصره] . ويوجد عند منتصف هذا الشريط من أسفله وأعلاه ، كتابة مماثلة تتخذ شكل نصف دائري تقريباً نصها [عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي عز نصره] ، ويعلو البخارية من الجانبين دقاقتان نحاسيتان . وحشيت أركان الباب الأربع بربع بخارية ، وأحيطت جميعاً بإطار نحاسي عليه زخارف هندسية ، بأركانه مثمنات بداخل كل منها بقجة ، محشوة بكتابة نسخية غائرة نصها [الملك برسباي عز نصره] . ويعلو هذا الإطار شريط نحاسي به نص كتابي مماثل نصه [عز لمولانا السلطان الملك الأشرف برسباي

---

(١) سورة الجن ، آية ١٨ .

(٢) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٢٢ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ / ص ١١١ .

عز نصره] .

كما يوجد شريط مماثل أسفل الاطار ، عليه كتابة متآكلة حروفها ، ويحيط بجميع ذلك إطار خارجي عبارة عن شريط ذو زخارف هندسية مفرغة (١) .

ويعلو فتحة الباب عتب حجري ، يحيط به من الأعلى ومن الجانبين قطع [فسيفساء] رخامية متعددة الألوان ، (٢) على شكل طبق نجمي(٣) ، في الجانبين ، وأرباعه في الناحية العلوية(٤). ثم يأتي بعد ذلك نفيس من الرخام عليه زخارف نباتية بارزة ، يعلوه العقد العائق ، المكون من صنجات أوسطها من الرخام ، والباقية من الحجر الملبس بالرخام . وهي مرززة ، ومشهرة « أبيض أحمر أسود »(٥) . ويعلوها زخارف نباتية محورة ، عبارة عن فروع تخرج منها أوراق كأسية ، وأنصاف مراوح نخيلية (٦).

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٦.

(٢) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٥ .

(٣) الطبق النجمي ، هو عبارة عن تجميع للأشكال النجمية والاشكال المضلعة . ولقد طبق بكثرة في عمائر العصر الجركسي . انظر الفصل الثالث ، من الباب الثالث ، ص ٥٦٤ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٦ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٥ .

(٦) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٦.

ويكتنف هذا العقد من جانبيه رنكان ، حليات كل منهما نص كتابي نسخي ورد فيه ؛ [عز لمولانا السلطان] في الرنك الأيمن ، [المالك الملك الأشرف] في الرنك الأيسر(١) .

ثم يأتي بعد ذلك فوق العقد حنية صغيرة يتوسطها نافذة مستطيلة مغطاة بالمصبعات البرونزية . يعلوها عقد مستقيم يتكون من صنج رخامية مزررة ، إبلق « أبيض وأسود » ، ويتوج هذه الحنية صدر مقرنص .

ويلي ذلك منطقة مستطيلة ، بداخلها ثلاث معينات خالية من الزخرفة ، وبلون بني يميل إلى الحمرة (٢) .

ويتوج حجر المدخل طاقية ذات عقد مدبب ، مقامة على حطات من المقرنصات الدالية ، وتمتاز هذه الطاقية بأنها مشعة ، بإشعاعات غائرة وبارزة . ويحيط بواجهة المدخل إطار من الزخرفة القالبية ، يعلوه أجزاء من النص التأسيسي الممتد على الواجهة ، وقد سبق ذكره ، ويتوج واجهة المدخل شرفات على هيئة الورقة الثلاثية(٣) .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٦ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٦ .

(٢) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٧ .

الدركاه :

تؤدي فتحة باب المدخل إلى دركاه مربعة الشكل ، يبلغ طول كل من أضلاعها ٤ر٣ م ، مفروشة أرضيتها بالرخام الملون(١) ، وكان يعلوها سقف نقي (٢) كما تذكر وثيقة المدرسة (٣) ، وهو الآن مجدد من قبل لجنة حفظ الآثار العربية . ويتصدر الدركاه دخلة غائرة بصدرها مسطبة مكسوة بالرخام الملون على شكل أشرطة معشقه ، وعلى جانبيها خزانتين لكلٍ منها باب خشبي صغير(٤) . ويقع بكلٍ من الجدارين الشمال والجنوبي للدركاه ، فتحة باب معقودة بعقد مدبب مشهر « أحمر وأصفر » ، يؤدي الشمالي منهما إلى الدهليز، بينما يؤدي الجنوبي إلى السبيل (٥) .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(٢) السقف النقي ، طريقة من التسقيف البسيط ، يستخدم فيها ألواح خشبية نقية تكون مستوردة عادة . عبداللطيف ابراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق عصر الغوري ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٦م ، مصطلح رقم ٣٢٤ ، محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٦٤ .

(٣) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٤ ، محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٨ .

الدهليــز :

تبلغ أبعاد هذا الدهليـز ، ٩ر١٧م × ٢ر٣ م [(١)] ، وكان مسقفاً بسقف خشبي يعرف في ذلك الوقت بالسكندري[(٢)] . وهو مجدد في الوقت الحاضر من قبل لجنة حفظ الآثار العربيـة [(٣)] . وفـرشت أرضيته بالرخام الملون . وعلى يمين الداخل إلى هذا الدهليز ، ثلاثة أبواب تؤدي إلى بعض ملاحق المدرسة ، حيث يؤدي أولها إلى الدرج الصاعد إلى الكتاب ، وبعض الخلاوي .

أما الباب الثاني فيؤدي إلى المكتبة ، في حين أن الآخير كان باباً لخلوة بواب المدرسة، وهو الآن يؤدي إلى دورة مياه حديثة[(٤)] . ويقع فيما البابين الأولين بيت الأزيار [المزملة] [(٥)] .

أما عن يمين الداخل للدهليز ، فيوجد نافذة كبيرة مستطيلة مـغطاة بمصبـعـات برونزية ، تطل على الإيوان الجنوبي الشرقي

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٨ .

(٢) حجـة وقف السلطاني برسبـاي ، برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقـاف المصرية و التسقيف السكندري ، تسقيف مسطح بسيط ، له كمرات طويلة ربما اشتهرت مدينة الاسكندرية بصناعته . عبداللطيف إبراهيم ، دراسـات تاريخيـة وأثرية ، مـصطلح رقم ٣٢٤ . مـحـمـد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٦٤ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(٤) مـحـمد عـبدالستـار عثـمان ، الآثار المعـمارية للسلطان برسبـاي ، ص ١١٨-١١٩ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ص ١١٨ .

للمدرسة ، كما يوجد في نهاية الجدار من هذه الناحية فتحة باب تؤدي إلى الصحن (١) .

قاعات الدرس :

زودت المدرسة بأربعة إيوانات متعامدة ، وهي كالآتي :

الإيوان الجنوبي الشرقي [القبلي] [لوحة ٤٠ ، ٤١] :

وهو أكبر أواوين المدرسة ، مستطيل الشكل ، تبلغ أبعاده ١٦٫٥ م × ١٢٫٨ م (٢) . وقد فرشت أرضيته ببلاطات من الرخام الملون على هيئة زخارف هندسية قوامها دوائر ومستطلات (٣) .

أما سقفه فهو عثماني الطراز ، فقد جدد في تلك الأثناء(٤) . بينما تشير وثيقة المدرسة إلى هذا السقف كان من الخشب النقي المدهون بالذهب واللازورد (٥) . ويفتح هذا الإيوان على الصحن بعقد مدبب حدوة فرس(٦) . ويوجد خلفه من داخل الإيوان

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٦ ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٢٣ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٧٥ .

(٥) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية .

(٦) العقد المدبب حدوة الفرس ، هو عقد مدبب في قمته ، ويتميز =

كريدي خشبي[١] .

ويتوسط الجدار القبلي المحراب والذي يتوج حنيته عقدان مدببان ملبسان بالرخام المزخرف بأشكال نباتية مزهرة ، يرتكزان على عمودين من الرخام ، لهما قواعد وتيجان رمانية الشكل .

ولقد كسيت حنية المحراب بالقطع الرخامية ، مكونة ثلاثة مناطق زخرفية في ثلاثة مستويات ، السفلية منها ، عبارة عن قنوات تفصل بينها ضلوع بارزة تتصل من أعلى بعقود صغيرة مفصصة ، زخرفت كوشاتها بأفرع نباتية تنتهي بأوراق كأسية الشكل .

أما الوسطى ، فإن زخارفها عبارة عن شكل هندسي يماثل حرف Y اللاتيني ، جعل في أوضاع معدولة ومقلوبة بالتبادل والتداخل - زخرفة الدقماق - ويحيط بهذه المنطقة[٢] إطار من الرخام الأبيض ، عبارة عن شريط حفرت عليه كتابة بارزة بخط النسخ ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾

= بطول قدميه وانتفاخ ريشتيه . انظر الفصل الثالث من الباب الثالث ، ص ٥١٤ .

(١) محمد عبد الستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٧٥.

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٥ .

ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين * الذين آتينهم الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين * ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ، أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير * ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وإنه للحق من ربك وما الله بغفل عمل تعملون ﴾ (١) [البقرة ، آية ١٤٤ - ١٤٩] .

أما المنطقة الأخيرة وهي العلوية ، وتشمل طاقية المحراب ، فإن الجزء السفلي منها شغل بثلاث مناطق على هيئة أنصاف دوائر وسطها ، ، بداخلها لفظ الجلالة « الله » . أما الجانبيتان ، فغشيتا بزخارف نباتية مورقة . وتخرج من هذه المناطق زخارف اشعاعية تملأ طاقية المحراب (٢) .

ويكتنف المحراب أربع دخلات معقودة بعقود مدببة ، ملبسة بالرخام المشهر « أحمر وأبيض » . وبداخلها شبابيك الواجهة السفلية الرئيسة ، كما كسيت بقية أجزاء هذه الدخلات بالرخام الملون ، كبقية أرضية الإيوان (٣) .

و كسي جدار القبلة بالرخام الملون إلى مستوى عقود

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٣) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص١٢٧ .

الدخلات والمحراب ، (١) مشكلاً زخارف هندسية قوامها أشرطة رأسية ومستطيلات ودوائر (٢) . وكان عليها تذهيب ظلت آثاره باقية إلى عهد قريب(٣) . ويعلو ذلك مباشرة بحر كتابي بالخط النسخي البارز له تتمة في الإيوان الشمالي الغربي ، ويتضمن أوقاف برسباي على منشآته وذريته من بعده (٤) .

ويلي ذلك النوافذ العلوية لجدار القبلة ، وقد سبق الإشارة إليها أثناء وصف الواجهة الرئيسة . وهي مغطاة بالجص المعشق بالزجاج الملون (٥) .

ويتوسط الجدارين الجانبيين لهذ الإيوان نافذة كبيرة مستطيلة الشكل ، عليها مصبعات برونزية ، يعلو كلاً منهما شمسية مغشاة بالجص المفرغ على هيئة زخارف نباتية محوره، يعلو كلاً منهما شريط من الكتابة النسخية البارزة ، نصها على النافذة الشمالية ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه ﴾ ، وعلى النافذة الجنوبية ﴿ السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ (٦) ﴿ اقتباس من آية الكرسي ،

---

(١) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٢٣ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٤٧ .

(٣) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٢٣ .

(٤) قام محمد عبدالستار عثمان بنشر هذا النص كاملاً ، ولا يوجد به وصف معماري للمدرسة ، وإنما شروط الوقفية وجهات الوقف . محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ٨١ – ٨٦ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٧ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٢٧ .

سورة البقرة آية ٢٥٥] .

ويجاور المحراب ، منبر المدرسة ، وهو ذو قاعدة مستطيلة ، وعليه زخارف هندسية ، قوامها أطباق نجمية ، مطعمة بالعاج(١) . علاوة على الزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة . والكتابات النسخية البارزة القرآنية والتأسيسية ، حيث يوجد فوق باب المنبر من الداخل حشوة كتابية نصها ﴿ إن الله يأمر بالإحسان وإيتاء الزكاة وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [سورة النحل آية ٩٠].

ويعلو باب الروضتين الشمالي كتابة نصها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ [سورة فاطر آية ٣٤] .

كما يعلو الباب الجنوبي كتابة أخرى نصها [وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] [سورة الجن آية ١٨] ، في حين أن الكتابة التأسيسية وضعت فوق باب المنبر من الخارج ونصها [أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف عز نصره](٢) .

الإيوان الشمالي الغربي [البحري] [لوحة ٤٢]:

وهو مقابل الإيوان السابق تبلغ أبعاده ٢ر١١م × ٨ م يطل على الصحن بعقد مدبب(٣) ، وأرضيته في الوقت الحاضر من الحجر

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٧ .

(٢) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٢٣ .

(٣) محمد عبد الستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٨-١٢٩.

الجيري ، بينما كانت في الأصل ، مكونة من بلاطات رخامية ملونة ، كما هو الحال في إيوان القبلة [١] . أما السقف فهو الأصلي ، ولا يزال في أجزاء منه زخارف متبقية[٢] قوامها صرة مفصصة ، فصوصها على هيئة مثلثات ، تتجه رؤوسها نحو مركز الدائرة . ولقد حشيت هذه المناطق الزخرفية بزخارف نباتية ، عبارة عن أوراق متشابكة ، ووريدات ، وأشكال هندسية مضلعة . ويقع دون السقف إزار خشبي ، عليه كتابة نسخية بارزة تتضمن البسملة وآية الكرسي[٣] .

ويوجد بصدر هذا الإيوان دخلة غائرة معقودة بعقد مدبب ، ترتكز رجلاه على حطات مقرنصة[٤] ، وكانت تستخدم كملقف للهواء [باذاهنج] [٥] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٠.

(٢) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) ولقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميم هذه الزخارف حتى يتبين مقدار جماله . حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١/ ص ٢٢٣ .

(٤) الصرر المفصصة ، هي مناطق دائرية يجري تكوينها من عدة فصوص على أشكال هندسية مختلفة . طه عبدالقادر عمارة ، الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن في القاهرة ، دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٢١٦ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٨ .

(٦) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٠ .

(٧) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٠ – ١٣١ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٨ . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ / ص ١١٥ .

ويوجد بالإيوان أربعة أبواب ، إثنان منهما يكتنفان الدخلة ، والآخران موزعان على الجدارين الجانبيين . وهي تؤدي إلى حواصل باستثناء الواقع جنوبي الدخلة ، حيث يغلق على كتبية بها أرفف لوضع الكتب(١) .

ويعلو كلاً من هذه الأبواب حشوة خشبية ، عليها كتابة قرآنية بالخط النسخ المملوكي البارز ، تبدأ من الحشوة الشمالية ، نصها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾ (٢) . صدق الله العظيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً] (٣) .

الإيوان الشمالي الشرقي [لوحة ٤٣] :

وهو مستطيل الشكل وتبلغ أبعاده ٨ر٦ م × ٥ م ويطل على الصحن بعقد مدبب . وله أرضية من الحجر الجيري (٤) ، من المؤكد أنها كانت وقت إنشاء المدرسة من الرخام الملون ، كما هو الحال في الإيوانين السابقين(٥) ، أما سقفه فيتكون من براطيم

---

(١) محمد عبد الستار ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣١ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٣ – ١٩٤ .

(٣) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣١ .
دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٨ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٢ .

(٥) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

[مربوعات] خشبية تحصر فيما بينها مساحات مربعة ومستطيلة [طبالي وتماسيح] [١] . ويوجد بصدر الإيوان دخلة غائرة يعلو واجهتها عقد ثلاثي ، بها نافذة مستطيلة تطل على الواجهة من الناحية الشمالية الشرقية [٢] . وقد سبق وصفها .

الإيوان الجنوبي الغربي [لوحة ٤٤] :

وهو يماثل الإيوان الشمالي الشرقي ، في مساحته وعناصره المعمارية[٣] .

وعقود الإيوانات السابقة ، صنجاتها الحجرية مشهرة « أحمر وأصفر » وترتكز أرجلها على كوابيل مقرنصة ، ومحدد هيئة كل منها بجفت ينتهي في القمة بميمه[٤] .

الصحن [لوحة ٤٣ ، ٤٥] :

وهو عبارة عن مساحة متسعة مكشوفة تبلغ أبعادها ١٩ م × ١٥ م[٥] . أرضيته مفروشة برخام مجدد[٦] ، بينما كانت في الأصل تماثل أرضية إيوان القبلة ، كما تشير وثيقة المدرسة بذلك [٧].

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٤ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٩ . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٦ .

(٤) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٨ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٤. سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٤ /ص١١٣ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٥ .

(٧) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ ، بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

ويطل على الصحن بالإضافة إلى الأواوين سابقة الذكر، أربعة أبواب ، تشغل المناطق الركنية بين هذه الأواوين . وهي متماثلة في تكوينها المعماري والزخرفي ، حيث يوجد كل منها في حجر غائر ، يكتنفه محددتان بجفت ، يعلوهما عضادتان عليهما كتابة انطمست حروفها ، ويعلو فتحة الباب عقد مستقيم ملبس بالرخام ، عليه زخارف قوامها أوراق نباتية مقلوبة ومعدولة بالتبادل ، يلي ذلك نفيس حجري ملبس بالرخام الأسود . ثم يأتي العقد العاتق المكون من صنج مزررة ، كسي بعضها بالرخام الأسود(١) . ويعلوه مستويين من الشبابيك المستطيلة الشكل والمغطاة بالمضبعات البرونزية (٢) ، ويتوج الحجر صدر مقرنص يحدده من الخارج إطار لجفت حجري(٣) .

ويتوج الجدران المطلة على الصحن بحر كتابي نسخي بالحفر البارز ما نصه ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجيزهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب * والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات

---

(١) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٨ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٣ ، دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٥ .

(٣) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٩ .

في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب كظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور * ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ﴾ (١) . صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين منصف المظلومين من الظالمين خادم الحرمين الشريفين الملك الأشرف خلد الله ملكه](٢) .

مكتب السبيل [لوحة ٣٦] :

زودت المدرسة بسبيل وكتاب لتعليم الأيتام يقعان في الركن الجنوبي للمبنى (٣) ، قد سبق وصف واجهتيهما .

وتبلغ أبعاد السبيل ٧ر٥ م × ٢ر٣ م . وهو مقسم إلى قسمين ، الشرقي لتسبيل الماء ، والغربي جعل بيتاً للأزيار [مزملة](٤) . وكان له مقصورة من الخشب الخرط(٥) .

وأرضية السبيل مفروشة بالرخام الملون ، بأشكال هندسية

---

(١) سورة النور آية ٣٦ – ٤٢ .

(٢) سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ / ص ١١٣ –١١٤ ، دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٧ – ١٢٦ ، محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٣٨ .

(٥) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

، وبها فوهة الصهريج عند الطرف الغربي للنافذة الجنوبية ، كما يوجد بالقرب من النافذة الشرقية حوض السبيل وهو سداسي الشكل ومن الرخام ، فكان يملأ بالماء ، فتملأ منه أواني الشرب التي كانت توجد في شباكي التسبيل ، وللسبيل سقف خشبي مسطح ، ومزخرف بزخارف هندسية متنوعة [١].

ويعلو السبيل ، الكُتَّاب الذي يماثله في الأبعاد ، وأرضيته من الحجر الجيري وسقفه من الخشب المسطح بأسفله إزار خشبي عليه كتابات تآكلت حروفها ويصعب قراءتها في الوقت الحاضر [٢] .

المزملة [بيت الأزيار] :

وهي عبارة عن إيوان صغير مربع الشكل يبلغ طول ضلعه ٢٫٥ م . وتقع في دهليز المدرسة على يسار الداخل . ولها سقف عبارة عن قبو حجري ، بواجهة معقودة بعقد مدبب ، وأرضيتها مكسوة ببلاطات حجرية ، وبها فوهة أخرى للصهريج وحوض للماء. كما كانت مغطاة بسياج خشبي [٣]، يتوسطه باب بمصراعين، يعلوه حشوة من خشب ، عليها كتابة بالخط النسخي نصها ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا* يوفون بالنذر ويخافون يوماً﴾ [٤]﴿سورة الإنسان آية ٦-٧ وتكملة الآية كان شره مستطيرا﴾ .

---

(١) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٩ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

(٤) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي، ص ١١٩.

المكتبة :

زودت المدرسة بمكتبه ، كان يتوصل إليها من الباب الثالث في الحائط الجنوبي للدهليز ، وتذكر وثيقة المدرسة إلى أنها كانت عبارة عن قاعة تتكون من إيوان ودرقاعه . وكان الإيوان مفروش أرضيته بالبلاط وله سقف خشبي نقي ، بينما فرشت أرضية الدرقاعه بالرخام ، ولها سقف عبارة عن ملقف [باذهنج] خشبي(١) .

وبصدر الإيوان توجد خزانة الكتب [الكتبية] . كما كان يتبع القاعة خلوة لطيفة لخازن الكتب بالإضافة إلى المرحاض(٢) .

ولقد ضمت معظم هذه القاعة إلى مبنى حديث البناء ، واندثرت ملاحقها ، وتبلغ أبعاد الإيوان ٤ م × ٦٥ر٣ م . أما الدرقاعة فبلغت ٧٥ر٣ م × ٣٥ر٣ م(٣) .

وحدات الإسكان :

زودت المدرسة بمساكن كانت مخصصة للشيوخ والعاملين والطلبة . ولقد حرص المعمار على استغلال الفراغات فيمابين الأواوين ، لتشغل بالوحدات السكنية .

وتشير وثيقة المدرسة إلى أنه كان يوجد في جنوبها

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية.

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٤ .

الشرقي ، خلف مكتب السبيل ، قاعة مكونة من إيوان ودرقاعه ، ويتبعها سطح ومنافع [١] . من الواضح أنها كانت مخصصة لشيخ المدرسة ، لأنها أكثر الوحدات السكنية أهمية فيها ، كما يشير بذلك تخطيطها . وقد جرت العادة في تخطيط المدارس أن تكون مثل هذه القاعات مخصصة لشيوخها[٢] .

وكان يعلو المكتبة والدهليز وما جاورهما إحدى عشرةخلوة حبيس ، كانت مخصصة لسكنى الطلبة أيضاً [٣]. كذلك استغل المعمار جانبي الإيوان الشمالي الشرقي ، لينشيء مجموعة خلاوي في ثلاثة طوابق اندثر معظمها ولم يبق سوى معالم تشير إلى وجود بعضها [٤] . ولم تشر وثيقة المدرسة إلى هذه الخلاوي . وإن كان من المؤكد أنها كانت من ضمن مرافق السكنى في المدرسة ، كما يشير بذلك تكوينها المعماري حيث تتكون من حجرات صغيرة[٥] تناسب ما كان عليه حال الخلاوي في مثل هذه المنشآت .

بيد أن أكثر وحدات الإسكان أهمية ، من بين الوحدات

---

(١) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) عن ذلك انظر ص ٤٤٦ – ٤٤٧ .

(٣) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١١٩ ، ١٤١ ، ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٥) المرجع نفسه ص ١٤٦ .

السكنيـة الملحـقـة بهـذه المدرسـة ، تـلك التـي أطلقت عليـهـا وثيـقـة المدرسة «تربيعة الطلبة »[١] وكانت عبارة عن مجمع سكني كبير ، يشغل جانباً من الركن الجنوبي الغربي للمدرسة . ويتكون من رباط به أربعة وعشرين طبقة متجاورة ومتطابقة [٢] . ويتبعها مرافق وحقوق [٣] . وكانت هذه الطباق مخصصة لسكنى الطلبة كما يدل على ذلك إسمها [٤] .

الـمـيـضـــأة :

وكانت تجاور تربعة الطلبة الميضأة التي كانت تتكون من خمسة عشر بيت خلاء ، وبها فسقية[٥] مربعة ، ذات أعمدة من

---

(١) التربيعة ، مصطلح وثائقي يطلق في العمارة المملوكية ، على حوش مربع تحيط به وحدات مختلفة من مساكن أو حواصل أو حوانيت أو بيوت خلاء . إحداها أو كلها أو بعضها . محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ص ٢٦٧ .

(٢) الطبقة لفظ يطلق على الخلوة الواحدة المتسعة نسبياً ، وإذا جاءت كلمة الطبقة في الوثائق ومعها كلمتي « متجاورة ومتطابقة » فهذا يدل على أن الطباق مكون من دورين . المرجع السابق نفسه ، ص ٧٤ .

(٣) حجة وقف السلطان برسباي برقم ٨٨٠ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة . ويقصد بالمرافق والحقوق ما يحيط بالمبنى وما يتبعه من دورات مياه ومطابخ ومخازن ، المرجع نفسه ، ص ١٠٣ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٤٨ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٢٩ .

(٥) والفسقية : حوض الوضوء والاغتسال ، وكان يزود بصنابير لسكب الماء . محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٨٥ .

الرخام تحمل فوقها القبة(١) .

المئذنة [لوحة ٣٤ ، ٤٦] :

تقع المئذنة شمالي واجهة المدخل فوق سطح المدرسة . وتتكون من ثلاثة أدوار ، أولها مربع الشكل في الضلع الجنوبي منه فتحة باب معقودة بعقد مدبب ، يلي ذلك شرفات مفتوحة تقع ضمن دخلات ، تتوجها عقود منكسرة(٢) ، ترتكز على أعمدة مندمجة بتيجان وقواعد ناقوسية الشكل . وترتكز هذه الشرفات على حطات مقرنصة ، ولكلٍ منها سياج [درابزين] حجري عبارة عن شقف مفرغة ، ومزخرفة بأشكال نجمية ، وبأركانها عمودان صغيران برؤوس رمّانية(٣) .

ويعلو الدخلات ، بحر كتابي بالخط النسخي الغائر ، زالت معظم كلماته ، وإن كان يظهر من بقاياها اقتباسات قرآنية(٤) .

ويعلو هذا الدور شرفة محمولة على مقرنصات دالية ، وهي مربعة الشكل ، ولها سياج حجري ، يتكون من شقف حجرية مشغولة بزخارف هندسية ونباتيه مفرغة ، تربط بينها أعمدة برؤوس رمّانية (٥) .

---

(١) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص١٤٨.

(٢) العقد المنكسر ، له ريشتان مستقيمتان ومائلتان تلتقي من أعلى بزاوية حادة . انظر الفصل الثالث من الباب الثالث ، ص ٥١٣ – ٥١٤

(٣) المرجعالسابق نفسه ، ص ١٣٣ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٣٠ . جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ١٧٧ .

(٤) محمد عبدالستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٣ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٣٠ .

أما الدور الثاني ، فدائري ، وعليه زخارف عبارة عن جفوت متقاطعة ، تنتهي من الأعلى والأسفل بميمات[١] . ويعلوا هذه الزخارف شريط كتابي غائر تآكلت معظم كتاباته [٢] .

وينتهي هذا الدور بشرفة مستديرة الشكل سياجها يماثل السفلي في زخارفه . وهي محمولة أيضاً على مقرنصات دالية[٣] .

ثم يأتي بعد ذلك الجوسق ، وهو المكون من ثمانية أعمدة حجرية مستديرة[٤] . ترتبط من أعلاها بعقود ثلاثية ، يعلوها حطات من المقرنصات تحمل شرفة الخوذة ، والتي لها سياج حجري يشابه السابقة ، ويتوج المئذنة خوذة على شكل القلة ، ويعلوها هلال نحاسي[٥] .

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٢) محمد عبد الستار عثمان ، الآثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٤.

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٤ .

(٤) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ١٧٨ .

(٥) محمد عبدالستار عثمان ، الاثار المعمارية للسلطان برسباي ، ص ١٣٤ .
دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٣٠ .

الفصل الثالث

مدرسة قايتباي

« ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤م »

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة السلطان أبو النصر الأشرف قايتباي[١] ، وهو الحادي والأربعون من ملوك الترك ، والخامس عشر من ملوك الجراكسة[٢] . ولد سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣م ، وجلب إلى مصر ، وهو ابن ثلاثة عشر عاماً [٣] . فآل إلى ملك السلطان برسباي ، وأعتق في عهد الطاهر جقمق[٤] . ثم أخذ أمره بالصعود منذ ذلك الحين ، حتى ولي السلطنة ، سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م إثر ثورة قام بها بعض طوائف المماليك ضد الظاهر تمر بغا [٥] .

---

(١) العزي ، نجم الدين محمد بن محمد بن بدر الدين محمد العامري القرشي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل حبور ، بيروت ، جـ١/ص ٢٩٧.

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦/ ص ٢٠١ ، إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣/ ص ٣، إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٨/ ص ٦ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية بمدينة القاهرة ، دراسة معمارية أثرية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص ١٠ .

(٤) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ٣ ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ / ص ٢٥٠ . وجقمق هو الملك الظاهر أبو سعيد ، تولى سلطنة مصر سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م ، وكانت فترة حكمه محمودة ، عرف بالكرم والترفع عن المنكرات ، وحبه لفعل الخير وإكرام العلماء ، مع بعض طيش واندفاع . توفي سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م ، ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ ١ / ص ٢٤٦ .

(٥) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٦ / ص ٢٠١ ، وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ١٩٤٨م القاهرة ، جـ ٢ / ص ٩٩ . والظاهر تمربغا ، هو أبو سعيد تمربغا بن عبدالله العلمي . ولي السلطنة عام ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م ، ولبث بها =

ويذكر إبن إياس[١] ، أن قايتباي رفض قبول السلطنة وأعرض عنها ولم يلبسها إلا مرغماً ، حتى أنه بكى على إثر ذلك . فلما ولي الأمر مارسه بجد وحزم وظل فيه حتى توفي أواخر سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٦م [٢] .

ولا تختلف ظروف عصر هذا السلطان عما كان عليه حال العصر الجركسي عموماً ، من حيث كثرة الفتن والاضطرابات ، مما اقتضى كثرة الحملات العسكرية لمواجهتها [٣] . فتحملت الدولة المزيد من الأعباء المالية . وأثر بدوره على اقتصاد البلاد المتردي أصلاً . فكسدت الأسواق ، وقلت الأعمال عموماً[٤] .

ولقد عمل قايتباي على معالجة هذه الظروف ، فوجه اهتماماً كبيراً نحو الزراعة وأصلح العديد من السدود والجسور والقناطر[٥] . كما دعم الحركة العمرانية فأنشأ العديد من المباني ،

= ثمانية وخمسين يوماً ، ثم خلع إثر ثورة قامت ضده ، كان كفواً للسلطنة ، وافر العقل ، على معرفة بالفروسية وأدوات الحرب ، وإليه نسب بعضها . كما كان على دراية والمام بالعلوم الشرعية . توفي سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤م . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٣ / ص ٤٠ .

(١) إبان إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ / ص ٤ .

(٢) إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٨ / ص ٩ ، العيدروسي ، النور السافر ، ص ١٤ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦ / ص ٢٠٥ ، إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ٣٧ ، ٢٦٩ ، ٣٢٥ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، جـ٣ / ص ٢٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ .

(٥) علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ١ / ص ١٢٥ .

كالمدارس ، التي أنشأ عدداً منها في القاهرة، ومكة لمكرمة ، والمدينة المنورة ، وغيرها[١] . كما أنشأ المباني الحربية كقلعتي الاسكندرية ورشيد [٢] . بالإضافة إلى المباني المدنية ، والتي تتضمن منازل ورباع[٣] ، ووكالات[٤] وغير ذلك[٥] . مما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار هذا السلطان وعصره مدرسة في العمارة ، لكثره ما أنشأه من العمائر ، بقي منها ما يزيد عن السبعين أثراً ما بين تجديد وبناء[٦] .

أما عن صفاته ، فإن المصادر بشكل عام تميل إلى الإشادة

---

(١) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ / ص ٣٢٩ .

(٢) أحمد عبد المعطي الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة عين شمس ، ١٩٥٨ م ، ص ١٠ - ١١ ، وزارة الأوقاف ؛ مساجد مصر ، جـ ٢ / ص ٩٩ .

(٣) يطلق اللفظ على كل مجموعة سكنية ، لها مدخل خاص وسلم خاص ، وغالباً ما تعلو الخانات والوكالات . محمد أمين ، ليلى إبراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٥٢ . صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٧٠ .

(٤) الوكالة منشأة تجارية تشبه الخان ، وتطلق على الخان إذا أنشيء داخل المدينة . وسميت بذلك لأنها الموضع الذي يتم فيه توكيل التجار بعضهم لبعض لتصريف بضائعهم . وهي تشمل حوانيت ومخازن سفلية ، ومساكن علوية . محمدل عبدالستار عثمان ، المدينة الإسلامية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، الكويت ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٥) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة . أحمد الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، ص ١١ - ٢٨.

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٨ .

بها ، فتذكر بأنه كان ذا نزعة دينية فيها ميل للتصوف ، كما هو حال ذلك العصر ، وكان يعطف على الفقراء ، ويقرب العلماء ، وينفق عليهم الأموال[١] ، وهو على الرغم من ذلك كان يميل إلى مصادرة الأموال ، فتسلط على ما في أيدي التجار والأعيان ، ووصل الأمر به إلى الأوقاف الخيرية والأهلية[٢] ، حتى عُدّ من المبالغين في هذا الشأن[٣] . ولعل ظروف عصره ومتطلباته هي التي دفعت به إلى مثل هذه السياسة .

إنشاء المدرسة :

تُعد هذه المدرسة جزءاً من مجموعة معمارية ضخمة أنشأها السلطان قايتباي في الصحراء[٤] . وأولى منشآته هناك مدرسة صغيرة ملحقاً بها عدد من الملاحق ، أبرزها مسكن وتربة[٥]، من المرجح أن تاريخ بنائها فيما بين سنتي ٨٦٥-٨٧٢هـ/

---

(١) نجم الدين العزى ، الكواكب السائرة ، جـ١ / ص ٢٩٨ ، جـ٢ / ص ٨٦ . إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٨ / ص ٨٠ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦ / ص ٢٠٥ . إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ / ص ٤ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، جـ٣ / ص ٣٢٥ .

(٤) محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ١٣٣ .

(٥) حجة وقف السلطان قايتباي ، برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة ، وعرفت هذه المدرسة بمدرسة أبناء قايتباي لأنه دفن في تربتها عدد من أبنائه . حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢١ .

١٤٦٠-١٤٦٧م [١]. ثم تتابع بعد ذلك بناء المجموعة المعمارية ، حيث أنشئت المدرسة الكبرى بعد أن ولي قايتباي السلطنة ، إذ تذكر بعض المصادر أن الشروع في التنفيذ تم منذ ذلك الحين[٢] ، أي في سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م أو في التي بعدها على أبعد تقدير ، بينما يذكر ابن إياس[٣] أن الشروع في تنفيذ المشروع كان في سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ، وهو الأرجح ، لأن الانتهاء من بناء جميع الوحدات المعمارية لم يتم إلا في سنة ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م . كما يشير بذلك لوحة تأسيسية داخل القبة[٤] ، ويؤكده إبن إياس أيضاً [٥]. فيكون تنفيذ المشروع قد استغرق خمس سنوات ، وهي مدة كافية لإنجاز مثل هذه الأعمال .

ويرى حسن عبد الوهاب[٦] أن البدء في تنفيذ المشروع تم في سنة ٨٧٧ هـ/١٤٧٢م ، نظراً لوجود نص تأسيسي على عضادتي المدخل يشير إلى أن السلطان أمر بإنشاء المدرسة في السنة المذكورة .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٢ – ٦٥ ، محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ص ١٣٤ – ١٣٥ .

(٢) العزى ، الكواكب السائرة جـ١ / ص ٢٩٩ ، إبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٨ / ص ٨ – ٩ .

(٣) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ / ص ٤٥ .

(٤) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٥٦ .

(٥) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ / ص ١٠٠ .

(٦) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٥١ .

بيد أن هذا النص لم يكتب إلا بعد بناء هذا الجزء من المبنى ، كما يقتضيه الحال ، فيكون ذكر السنة السابقة ، لا يعبر عن حقيقة الأمر ، وإنما عما وصلت إليه أعمال الإنشاء من مراحل(١) .

ويصف إبن إياس يوم افتتاح المدرسة ، بأنه كان حافلاً : « ..وحضره الأمراء والقضاة الأربعة ، وأرباب الدولة قاطبة ... »(٢) . وتم فيه تعيين أرباب الوظائف فيها ، وتحديد أنظمتها(٣) .

فَقُرِّر أبو عبدالله القلجاني المغربي(٤) شيخاً للمدرسة . كما عين لها إماماً وخطيباً ، وخازن للمكتبة ، ومؤذنين و ميقاتيه(٥) ، وغير ذلك من أرباب الوظائف المختلفة . التي تحتاجها هذه المنشآت في ذلك العصر(٦) .

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢١٦ .
(٢) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣/ ص ١٠٠ .
(٣) المصدر السابق نفسه ، جـ٣ / ص ١٠٠ .
(٤) هو محمد بن عمر بن محمد القلجاني التونسي المغربي . ولد ونشأ في تونس وبها تعلم ، حتى ولي القضاء فيها . ثم هاجر إلى القاهرة واتصل بالسلطان قايتباي ، الذي ولاه مشيخة المدرسة . ثم عاد إلى تونس بعد أن هوجم من علماء مصر واتهم بسوء التصرف . توفي سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م. السخاوي ، الضوء اللامع جـ٨ / ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .
(٥) إبن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ / ص ١٠٠ .
(٦) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة . حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٩٣ - ٣١٤ .

أما عن عدد الطلبة فإن ابن إياس[1] يذكر بأن عددهم ثلاثين طالباً ، بينما تذكر وثيقة المدرسة أن عددهم أربعين طالباً ؛ وتذكر أيضاً أن عدد الأيتام الذين يتعلمون في الكُتَّاب ، كانوا عشرين يتيماً من أطفال المسلمين [2] .

ولقد كانت المنشأة تقوم بوظيفة المسجد الجامع ، بالإضافة إلى وظيفة الخانقاه . إذ اشترطت حجة وقفها أن يكون طلبتها من المتصوفة . وأن عليهم حضور حلقات التصوف بعد كل صلاة مكتوبة[3] .

كما أنها كانت تقوم بوظيفة المدرسة ، كما تشير بذلك النصوص التأسيسية الموجودة بها والتي سنشير إليها لاحقاً . رغم أن حجة الوقف لا تشير لذلك من المؤكد أنه يسبب ما تعارف عليه ذلك العصر ، من أن على المتصوفة الدارسين في المؤسسات التعليمية ، دراسة العلوم الشرعية كالفقه والتفسير والحديث[4] .

---

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣/ ص ١٠٠ .

(٢) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٤) عبدالغني محمود عبدالعاطي ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ١٩٢ - ٢٠٣ .

موقــع المدرســـــة :

تقع المدرسة في المنطقة المعروفة بالصحراء ، وعرفت أيضاً بالقرافة ، غير بعيد عن مدرسة فرج بن برقوق التي سبق ذكرها ، مما يعكس اهتمام المماليك الجراكسية بعمارة هذه المنطقة ، كما سبق وأن أوضحنا[١] . علاوة على أن لهذا المكان أيضاً أهمية خاصة بالنسبة للسلطان قايتباي ، إذ يوجد فيه قبر إحدى زوجاته ، وبعض بنيه . فآثر ذلك بإنشائه مجموعة المعمارية بعدما ولي السلطنة[٢] .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٧٠ – ٧١ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

الوصف المعماري للمدرسة

التخطيط [شكل 55] :

تعتبر هذه المدرسة ، درة منشآت السلطان قايتباي المعمارية ، لما تتميز به من دقة في التصميم ، وجمال في النسب ، وروعة ورشاقة في العمارة والزخارف(١) . ولذلك أثارت إعجاب الكثيرين ممن شاهدوها ؛ فيصفها السخاوي بأنها مبنية « ... بالرونق البهيج .. »(٢) . ويشيد بها النابلسي قائلاً بأنها مبني « ... عظيم مبني بالأحجار المتينة والقبة المرتفعة الرصينة ... »(٣). وينقل فيت عن الرحالة الأوربي « بيريدنباخ » قوله أنها « ..مسجد فسيح له مآذن عالية ماهرة الزخرفة ... »(٤) .

كما أنها اعتبرت من قبل مختصين في العمارة الإسلامية ، أجمل وأدق أثر إسلامي في العالم العربي(٥) ، أو في القاهرة على

---

(١) زكي حسن ، فنون الاسلام ، ص ٧٨ . وزارة الأوقاف ، مساجد مصر ، جـ٢ / ص ٩٩ . كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر ، ص ٤٨ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص ٢٠٨ .

(٣) النابلسي ، عبدالغني بن إسماعيل ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز . تحقيق أحمد هريدي ، ١٩٨٦ م . القاهرة ، ص ٢٩٣.

(٤) Wiet , C . The Mosque of Cairo , p , 29 - 30 .

(٥) كلوت بك ، « أ . ب » ، لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود ، القاهرة ١٩٢٤م ، جـ٢ / ص ٨٢٩ - ٨٣٠ ، عبدالرحمن عبدالتواب ، قايتباي المحمودي ، مجلة الاعلام ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٨م ، القاهرة ١٨٦ .

أدنى تقدير[١] .

والمدرسة جزء من مجموعة معمارية كان يحيط بها سور[٢] ، وتضم مجموعات سكنية اندثر معظمها كما سيتضح لاحقاً .

وتبلغ أبعاد المبنى ٤٣ م × ٣٤ م ، وينقسم إلى قسمين رئيسيين :

أولاً - المدرسة :

وتضم قاعات الدرس والصلاة ، ومكتب السبيل ، وبعض الملاحق ، كالمكتبة ، والحواصل . أما الوحدات السكنية والميضأة فإنهما يقعان ضمن مجموعة كتل منفصلة عن المبنى سنصفها لاحقاً .

ثانياً - التربة :

وتضم القبة بالإضافة إلى مقبرة تقع في الناحية الجنوبية الغربية من المبنى .

وسنقتصر في الدراسة هنا على المدرسة ، وما يتبعها من وحدات ومرافق .

ولقد اختلف الباحثون في تحديد تخطيط هذه المنشأة ، إذ يرى بعضهم أنها تنتمي إلى نظام التخطيط المتعامد ذي الأربعة

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٢ .

(٢) أحمد عبد المعطي الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، ص ٢٥ .

إيوانات [١] ، بينما يرى آخرون أنها تنمي إلى ما يعرف بالنظام المطور[٢] ذي الإيوانين والسدلتين [٣] . وهو الرأي الصائب لأن مساحة الايوانين الجانبيين صغيرة بشكل ملحوظ[٤] .

الـواجهـــات :

زودت المدرسة بثلاثة واجهات ، وهي كالآتي :

الواجهة الشمالية الشرقية [الرئيسة] [لوحة ٥٧ ، ٥٨] :

ويبلغ طول هذه الواجهة ٥ر١٢[٥] . وتنقسم إلى ثلاثة

---

(١) حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٥٣ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ / ص ٢٢١ . أحمد عبدالمعطي الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، ص ١٦ ، أبو الحمد فرغلي ، الدليل الموجز ، ص ٢٠٢ .

(٢) النظام المطور هو طراز معماري ، ظهر أول ما ظهر في عمارة المدارس ، وأدى إلى ظهور المجمعات المعمارية متعددة الوظائف . محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة ، ص ٢٠ .

(٣) عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الاسلامية المختلفة ، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م . القاهرة ، ص ٢٠٨ . جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٣ . محمد مصطفى نجيب ، نظرة جديدة على النظام المعماري للمدارس المتعامدة ، ص ٢٧ .
والسدلة لفظ يطلق على الإيوانين الجانبيين بعد تصغير مساحتيهما . انظر الفصل الأول من الباب الثالث ، ص ٣٤١ – ٣٤٢ .

(٤) كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية ، ص ٤٧ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٥ .

أقســـام :

أولـها ، وهـو الـغربي ، فـيتكون من قـاعدة مصـمطة للمئذنة ، وكان هذا الجزء مـحـجـوباً خلف إحدى وحدات الاسكان التي كانت تلاصق المدرسة في هذه الناحية [١]، والتي سنشير إليها لاحقاً . أما الثاني ، فيتمثل في واجهة مدخل المدرسة الرئيسي ، و يليه إلى الشرق منه ، ثالث هذه الأقسام ، ويشمل الواجهة الشمالية لمكتب السبيل .

وكـان يـوجـد أسـفل هذه الواجـهـة ، سلم مكون من درجات حجرية . يعلوها لوح رخامي ، محمول على كوابيل حجرية [٢]، مزخرفة بأشكال دالية . وكان هذا اللوح يقع عند النهاية السفلية لشباك التسبيل المغطى بمصبعات برونزية [٣] . والذي يعلوه عقد مستقيم مكون من صنج مزررة ، ومن بعده نفيس ، ثم عقد عاتق بصنج مزررة ، ومشهرة « أحمر وأصفر » ، ولقد حدد كل ذلك

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١١٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٦ . والكابولي الحجري ، أو الحرمدان ، مصطلح يطلق على البروزات الخارجة من الجدران لحمل عناصر معمارية أخرى ترتكز عليها . عبداللطيف إبراهيم ، الوثائق في خدمة الاثار ، ضمن كتاب دراسات في الاثار الاسلامية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، ص ٤١٠ ، دللي ، العمارة العربية ، ص ١٣ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٥ ، جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٥ .

بجفت لاعب ذو ميمات[١] .

ويلي واجهة السبيل من أعلى واجهة الكتاب ، ، والمكونة من شرفة حجرية ذات عقدين مدببين ، يرتكزان في الوسط على عمود من الرخام . وللشرفة سياج يحدها من أسفل ، ورفرف يتوجها من أعلى مصنوعان من الخشب[٢] . ويوجد دون الرفرف بحر كتابي بطول هذه الواجهة ، ويمتد إلى واجهة الكتاب الشرقية مكتوب بالخط النسخي البارز على الحجر ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا ﴾ [٣] ، أمر بإنشاء هذا الكتاب مولانا الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ، محي العدل في العالمين ، حامي حوزة الدين ، مولانا الإمام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه بمحمد وآله][٤] .

ويتوج الواجهة شرفات حجرية على هيئة الورقة النباتية الثلاثية [٥] .

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٦ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٤٦ .

(٢) حسني نويصرة ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٧ .

(٣) سورة الإسراء ، اية ٨٠ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٧ .

ويقع في ركن الواجهة الشمالي الشرقي ، عمود حجري مدمج مستدير البدن ، له قاعدة عبارة عن ناقوس مقلوب ، وتاج مقرنص يعلوه زخارف نباتية بارزة(١) .

الواجهة الجنوبية الشرقية [القبلية] [لوحة ٥٩] :

وهي أطول الواجهات فيبلغ طولها ٥ر٣٥ ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام ، أولها من الناحية الشمالية ، تتضمن الواجهة الشرقية لمكتب السبيل ، ثم بعد ذلك تأتي واجهة الإيوان الجنوبي الشرقي ، وما يليه من عناصر معمارية ، وآخر هذه الأقسام واجهة القبة ، والتي تبرز عن سمت الواجهة بمقداره ٥ر٤ م (٢) .

وتتكون واجهة مكتب السبيل كسابقتها من واجهة للسبيل ، لا تختلف عن مثيلتها ، يعلوها واجهة الكتاب ، والتي تتكون من ثلاثة عقود مدببة ترتكز على عمودين من الرخام ، وهي بذلك تكون أكثر اتساعاً من الواجهة الشمالية(٣) .

يلي ذلك ثلاث دخلات ، أولاها أصغر من الأخريتان ، وبها مستويين من الشبابيك ، بكلٍ منهما شباك مستطيل الشكل ، مغطى بالمصبعات البرونزية . وكان السفلى منها مخصصاً لخلوة الخطيب ، بينما العلوي جعل لخلوة مؤدب الأيتام(٤) .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٧.

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٥ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٧ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

أمـا الدخلتـان الأخـريتـان ، فـهمـا لـواجـهـة الإيوان الجنوبي الشرقي ، وبكل منهما أيضاً مستويين من الشبابيك ، بكل منهما نافذتان . السفلية مستطيلة الشكل تغشاها مصبعات برونزية ، ويعلو كل منها عقد مستقيم ، مكون من صنج مزررة ، يعلوه نفيس ، ثم عقد عاتق بصنج مزررة أيضاً . ويحدد كل ذلك مدماك حجري أصفر اللون . أما النوافذ العلوية ، فإنها تسير على نظام الشمسيات[١] .

ويوجد فيما بين الدخلتين السابقتين ، في مستوى شبابيك الدور الثاني قمرية تعلو بروز المحراب ، وكانت هي والنوافذ التي في مستواها مغشاة بالجص المعشق بالزجاج الملون[٢] .

أما بالنسبة لواجهة القبة ، فلها جانبين ، شمالي به دخلة واحدة ، وشرقي وبه دخلتان ، وبكل منها مستويين من الشبابيك ، بكل منهما شباك واحد ، تتماثل في تكوينها المعماري ، شبابيك الأبواب سابقة الذكر .

ويتوج كل الدخلات السابقة صدر من الحطات المقرنصة ، كانت مغشاة بالذهب واللازورد[٣] .

أما القبة [لوحة ٦٠، ٦١] التي تعلو هذه الواجهة ، فهي تقوم على منطقة انتقال عبارة عن انحناءات وتقعيرات [مدرجات]

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٥ – ١٥٦ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٦ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٩ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

شغلت صدورها بقنديليات مركبة ، تحيط بها رنوك سلطانية ، وجفوت لاعبة بميمات[١] ، ثم يأتي بذلك رقبة القبة ، والتي يتخللها ستة عشر نافذة صغيرة على نظام الشمسيات ، مغطاة هي ونوافذ القنديليات بالجص المعشق بالزجاج الملون[٢] .

يلي ذلك كتابة نسخية بارزة على الحجر ، عبارة عن نص قرآني يتضمن آية الكرسي[٣] [البقرة آية ٢٥٥] . ثم تأتي الخوذة والتي تبدأ زخرفتها من أسفل بجفت لاعب بميمات ، يليه زخارف نباتية قوامها تقويسات ، وأوراق ثلاثية ، تكون طبق تجمي محدد من الخارج بإطار حجري بارز . وهذه الزخرفة أرقى ما وصل إليه الحفر على الحجر في العصر الجركسي[٤].

وتنتهي هذه الواجهة من أعلى بشرفات ثلاثية[٥] .

الواجهة الشمالية الغربية [البحرية] [لوحة ٦٢] :

وهذه الواجهة غير منتظمة ، يبلغ طولها ٢٠ م . وتنقسم إلى قسمين : أولهما يتكون من جزئين سفلي وعلوي . ويشغل السفلي بابان يؤديان إلى الحواصل أسفل المدرسة[٦] . أما العلوي ، فهو واجهة الإيوان البحري . المكونة من دخلة واحدة بها دوران من

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٧ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٣ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٠١ .

(٤) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٧ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٣ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٩ .

الشبابيك بكل منهما ثلاثة شبابيك ، السفلية مستطيلة الشكل ، ومغشاة بالمصبعات البرونزية يعلو كلاً منها عقد مستقيم ، مكون من صنج حجرية مزررة ، ومن بعده النفيس ثم العقد العاتق بصنج حجرية مزررة . ويحيط العناصر السابقة في النافذة الوسطى أربع حشوات حجرية مستطيلة وبارزة ، انطمست زخارفها[١] .

أما شبابيك المستوى العلوي ، فتتكون من قمرية وسطى يكتنفها شمسيتان [٢] كانت مغشاة بالجص المعشق بالزجاج الملون ، كمثيلاتها من النوافذ العلوية سابقة الذكر . ويأتي بعد النوافذ العلوية بحر كتابي إندثرت كتاباته[٣] . ويتوج الدخلة صدر من حطات مقرنصة ، كانت مموهة بالتذهيب واللازورد[٤] .

أما القسم الثاني من الواجهة ، فأبرز ما يميزه وجود المدخل الجانبي للمدرسة ، والذي كان له سلم بطرفين كما تذكر وثيقة المدرسة[٥] . وله باب بمصراع واحد من خشب الجوز[٦] . [لوحة ٦٤] .

---

(١) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٧ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٠ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٠ .

(٥) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة وله الآن سلم بأربع درجات . حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤١ .

(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤١ .

ويكتنف المدخل مكسلتان محددتان بجفت حجري[١] ، من فوقهما عضادتان عليهما نص تأسيسي انطمست كلمات الجانب الأيسر منهما ، وبقي على الأيمن جزء من الكتابة ، وهي بالخط النسخي البارز ما نصه [... أمر بانشاء هذه المدرسة مولانا السلطان الملك الأشرف ... قايتباي سلطان الاسلام ..] [٢] .

ويعلو فتحة الباب عتب حجري مزخرف برسوم بارزة عبارة عن أوراق ثلاثية مقلوبة ومعدولة بالتبادل . ويكتنفه حشوتان مستطيلتان يشغلهما زخارف نباتية دقيقة من الحفر البارز . ويحدد هيئة كل ذلك إطار من أشرطة حجرية بارزة [٣].

ثم يلي العتب من أعلى نفيس ، وعقد عاتق يتكون من صنج حجرية مشهرة ومزررة ، ويحيط بالعقد من جانبيه حشوتان عليهما زخارف هندسية بارزة .

ويأتي بعد ذلك شباك مستطيل مغطى بمصبعات برونزية يكتنفه حشوتان تماثلان السابقتين[٤] .

ويتوج حجر المدخل عقد مدائني مقام على أربع حطات من المقرنصات الدالية ، ذات الزخارف النباتية الدقيقة بينما خلت

---

(١) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٥ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤١ – ١٤٢ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٥ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٥ .

كوشتيه في الوقت الحاضر من الزخارف ، وإن كان من المعتقد أنها كانت مشغولة برسوم نباتية تشبه تلك التي على كوشتي عقد المدخل الرئيسي[١] . ويحدد هيئة المدخل إطار لجفت لاعب ينتهي في قمته بميمه على شكل وريدة بارزة [٢] .

ولقد بنيت جميع واجهات المدرسة بالحجر المهذب « الفص النحيت » المشهر « أحمر وأصفر »[٣] .

المدخل [لوحة ٦٣] :

للمدخل واجهة رائعة في غاية الجمال . ويتقدمها في الوقت الحاضر سلم ومسطبة حديثين[٤] . بينما كان له في الأصل فناء عال من الحجر الأبلق[٥] [أبيض وأسود] ، على حافته شرفات تشبه شرفات الواجهة[٦] . وفي داخل هذا الفناء سلم يتكون من إثنتي عشر درجة ، تؤدي إلى بسطه مفروشة ببلاطات من الحجر والرخام[٧] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٤٥ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٢ .

(٣) جمال عبد الرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٥ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٢ - ١٣٣ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ .

(٥) الأبلق نوع من المداميك الملونة والمستخدمة في البناء بالتبادل . انظر اللفصل الثالث من الباب الثالث ص ٤٩٣ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٣ .

(٧) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

ويلي البسطة ، حجر المدخل ، الذي يبلغ اتساعه ٢ر٣ م وعمقه ٨ر١م [١] . ويكتنفه مكسلتان حجريتان محددتان بالجفت اللاعب . ويعلوهما عضادتان عليهما نص تأسيسي بالخط النسخي البارز على الحجر ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ [٢] أمر بإنشاء هذه المدرسة مولانا الملك الأشرف قايتباي سيد ملوك العرب والعجم خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته بمحمد وآله بتاريخ سنة سبع وسبعين وثمان مائة من الهجرة][٣] ولقد كان النص مموهاً بالذهب واللازورد[٤] .

ويتوسط الحجر فتحة الباب التي لها باب خشبي بمصراع واحد ، ملبس بالنحاس المزخرف ، في وسطه بخارية [مدالية] نحاسية مخرمة ، عليها زخارف نباتية محورة عن الطبيعة ، تحصر بينها ورقة نباتية ثلاثية [٥]. ويوجد في أسفل الباب وأعلاه أشرطة نحاسية عليها كتابة دعائية بالخط النسخي البارز ، ما نصه [عز لمولانا السلطان الملك العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المنصور سلطان الإسلام والمسلمين الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره] [٦] . كما يحيط به إطار نحاسي عبارة عن صفوف من

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ٢٤٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢١٥ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٣ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٣ ، دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٥٣ .

الورقة النباتية الثلاثية [١] .

ويعلو فتحة الباب عتب حجري خالي من الزخارف ، يحيط به إطار حجري عليه زخارف هندسية بارزة . ثم يأتي بعد ذلك نفيس من الرخام .

يليه عقد عاتق مكون من صنج حجرية ملبسة بالرخام إبلق [أبيض وأسود] ومزررة[٢] . ويكتنف هذا العقد مساحتان مستطيلتان من الرخام الأبيض ، يحيط بكل منهما إطار ضيق من الرخام الأسود[٣] .

ويعلو ذلك دخلة بها فتحة شباك الدركاه ، وهي مستطيلة الشكل ومغشاة بمصبعات برونزية . ويكتنف الدخلة عمودين من الرخام[٤] . لكل منهما بدن مثمن ، وقاعدة وتاج ناقوسيين . وعليه زخارف دالية [٥] . بينما يتوجها صدر من الحطات المقرنصة [٦]. وكان الشباك والعامودان مغرقين[٧] بالتذهيب . بينما غشى

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٣ .

(٢) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٤ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٥ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٤ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٥ .

(٧) التغريق ، هو الترسيب في الماء . ويطلق على تغشية القطعة أو العنصر المعماري بالذهب أو الفضة أو اللازورد . أو كلاهما معاً . محمد أمين ، ليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ١١١ .

الصدر المقرنص بالتذهيب واللازورد [١].

ويكتنف الصدر المقرنص مساحتان دائريتان من الرخام الأبيض . بكل منهما رنك للسلطان قايتباي صيغته [عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره][٢] . ويحيط بهم جميعاً إطار من الرخام الأسود اللون [٣] . ويعلو ذلك نص كتابي على الرخام انطمست معالمه ، لعله كان يحتوي على نصوص قرآنية أو عبارات دعائية[٤] .

ويعلو هذه المنطقة شباك مستطيل عليه مصبعات برونزية كان مغرقاً بالذهب وقت إنشاء المدرسة[٥] .

ولطاقية المدخل قبو مروحي ، شغلت الفراغات الواقعة بين أرجله بحطات مقرنصة ، مغرقة بالذهب واللازورد ، ويتوج واجهتها عقد مدائني مشهر « أحمر وأبيض » ، زخرفت كوشيته بزخارف نباتية دقيق وبارزة على الحجر[٦] . وحددت

---

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٥ ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٤٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٤ .

(٤) حسنى نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٣٥ .

(٥) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٦) حسنى نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ص ١٣٦ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٦ .

هيئة المدخل بجفت لاعب بميمات متساوية الأبعاد ، يلتقي عند القمة بميمة كبيرة[١] . كما لُبِّس الجزء الغائر من الحجر بمداميك رخامية أبلق [أبيض وأسود] ، وحلي الجزء البارز بمداميك حجرية مشهرة « أحمر وأصفر »[٢] .

الدركـــاه :

يفضي باب الدخول إلى الدركاه والتي تبلغ أبعادها ٦٫٥ م × ٣٫٢٥ م[٣] . وأرضيتها مفروشة بالرخام الملون على شكل دوائر[٤] . أما سقفها فهو خشبي مغشى بالذهب واللازورد . وكان يوجد أسفله نص كتابي اندثرت معالمه[٥] .

ويوجد بصدر الدركاه مصطبة مكسوة بالرخام الملون [أبيض ، أسود ، رمادي ، الأحمر الداكن] . كما حليت جوانبها العلوية بحشوات رخامية بيضاء عليها زخارف هندسية بارزة[٦]. وعلى جانبي المسطبة كتبيتان « خزانتان » لهما بابان من الخشب على كل منهما زخارف قوامها أطباق نجمية مطعمة بحشوات من العاج . ويحيط بكل من الكتبيتين إطار خشبي عليه زخارف عبارة عن أجزاء من الطبق النجمي . كما يعلو كلاً منهما حشوة خشبية

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٤ .
(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٤ .
(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٠ .
(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٧ .
(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٢ .
(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥١ .

عليهما كتابة بارزة بالخط النسخ ما نصه [اللهم انصر عبدك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه][١] وكانت هذه الكتابة مغرقة بالذهب واللازورد ، وهي الآن بلون الخشب الطبيعي[٢] .

وبصدر هذه المسطبة شباك مستطيل مغشى بالمصبعات البرونزية ، يطل على الإيوان الجنوبي الشرقي، ويعلوه عقد مستقيم من صنجات مزررة ومشهرة[٣] . ويوجد على جانبي الدركاه بابان معقودان بعقد ين مدببين ، يؤدي الأيمن إلى الدهليز والأيسر إلى السبيل[٤] .

الدهليـــز :

ويبلغ طوله ٤ر٣ م ، وأرضيته مفروشة بالرخام الملون على شكل دوائر[٥] . والجزء الأمامي من السقف مكشوف ، والخلفي مسقف بقبو حجري متقاطع تتوسطه وريدة ، وزخرفت أطرافه بمعينات محشوة بزخارف نباتية دقيقة[٦] ، ملونة بالتذهيب واللازورد [٧] [لوحة ٦٥] . ويوجد في صدر الدهليز ، فتحة باب تؤدي إلى الدرج الصاعد إلى علو المبنى ، بينما يوجد في نهايته

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٥١ .

(٢) نفسه ، ص ١٥١ .

(٣) نفسه ، ص ١٥١ .

(٤) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٧ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٦ .

(٧) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

فتحة باب تؤدي إلى صحن المدرسة ، كما كان يوجد على يمين الداخل بيت للأزيار « مزملة »[(١)] .

قاعات الدرس :

تتكون المدرسة من إيوانين وسدلتين وبينهما صحن صغير « درقاعه » ، وهذا النظام البنائي هو الذي عرفه كريزويل[(٢)] باسم « القاعة المصرية » .

الإيوان الجنوبي الشرقي [القبلي] [لوحة ٦٦] :

وهو أكبر أجزاء المدرسة حجماً ، تبلغ أبعاده ٦ر١١م × ٨ م[(٣)] . وأرضيته مفروشة بالرخام الملون في شكل حشوات تعطي زخارف هندسية متنوعة تشمل الأشكال المضلعة والدوائر والمثلثات.[(٤)] .

أما السقف فهو مكون من براطيم [مربوعات] تحصر بينها قطع عبارة عن مربعات ومستطيلات [طبالي وتماسيح] ، وله إزار خشبي يرتكز على مقرنصات زخرفية ، وجميع ذلك مجلد بالذهب ومزخرف باللازورد[(٥)] .

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٧ ، حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٥ .

(٢) Creswell ; Muslim , Architecture of Egypt, Vol, 1, p , 261 , Vol, 2, p, 133.

(٣) حسنى نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٧ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٤ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ .

(٥) عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص٢٠٨ .

وبصدر الإيوان محراب على هيئة حنية نصف دائرية[١] لها طاقية ودخلة معقودتين بعقد مدبب ، ويرتكز عقد الدخلة على عمودين مضلعين من الرخام بتيجان وقواعد ناقوسية الشكل[٢] عليها زخارف نباتية دقيقة بارزة[٣] يغشاها التذهيب[٤] .

وتزخرف طاقية المحراب ورقة نباتية ثلاثية بارزة[٥] ، بينما تخلو بقية أجزاء المحراب من الزخرفة في الوقت الحاضر وكان عليه فيما مضى زخارف رخامية في شكل عقود تشغل الجانب السفلي منه ، ويعلوها منطقة مستطيلة معقودة من الأعلى ، ويكتنفها إطار من الفسيفساء الرخامية [خرده] على شكل نجوم دقيقة الحجم . وحليت عضادتي المحراب أيضاً بفسيفساء رخامية تتخذ أشكال أطباق نجمية [٦] . ويوجد أسفل الطاقية ، نص قرآني بالخط النسخي البارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يأأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ [سورة الحج آية ٧٦][٧] .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٣) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ .

(٤) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٥) عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٨ .

(٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤١ .

ويعلو المحراب قمرية سبق ذكرها أثناء وصف واجهة الإيوان . ويكتنف المحراب أربعة دخلات معقودة بها الشبابيك المستطيلة لواجهة الإيوان يعلوها الشمسيات [١] . وكل ذلك سبق وصفه أثناء وصف الواجهة الجنوبية الشرقية للمدرسة .

ويقع على جانبي الإيوان أربع دخلات ، إثنتان بكل جانب ، أولهما على يمين الداخل ، عبارة عن كتبية [خزانة] لحفظ بعض أدوات المدرسة ويغلق عليها باب خشبي بمصراعين[٢] . تليها دخلة لشباك مستطيل بمصراعين من الخشب مغشى بمصبعات برونزية ، وهو يطل على القبة ويقع أسفله جلسة رخامية ترتفع عن الأرض بمقدار ٣٠ سم[٣] .

أما دخلتا الجانب الأيسر ، فأولهما عبارة عن فتحة الشباك المطل على الدركاه ، ولها مصراعين من الخشب[٤] ، وثانيها فتحة باب بمصراعين تؤدي إلى خلوة غير منتظمة الأبعاد ومقبية ، كانت تستخدم لحفظ المصاحف ، ولحفظ ما يلبسه خطيب المدرسة وقت الخطبة . ولهذه الخلوة نافذة تطل على الواجهة الجنوبية الشرقية سبق الإشارة إليها[٥] .

---

(١) عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٩ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٦٠ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦١ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٦١ .

ويعلو الدخلات السابقة ، أربع حشوات خشبية ، كتب عليها بالخط النسخي البارز على أرضية نباتية ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا * قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (١) صدق الله العظيم](٢) . وكان كل ذلك مذهباً وملوناً باللازورد ، وهو الآن بلون الخشب الطبيعي(٣) .

ويعلو مستوى الشبابيك والأبواب على جدران الإيوان الثلاثة ، كتابة بالخط النسخي البارز ما نصه [أمر بانشاء هذا المكان المبارك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين وارث الملك سيد الملوك والسلاطين بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك سراطاً مستقيماً* وينصرك الله نصراً عزيزاً * هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم . ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ﴾ (٤) صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وكان الفراغ من ذلك في شهر رجب الفرد الحرام عام سبع وسبعين وثمان ماية من الهجرة](٥) . وكانت هذه الكتابة مغشاة باللازورد لإضفاء مزيد من الجمال عليها(٦) .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٣٦ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٤٠ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦١ .

(٤) سورة الفتح ، آية ١ – ٤ .

(٥) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٩ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٢٢ .

ويطل هذا الإيوان على الصحن بعقد مدبب يتكون من صنجات حجرية أبلق [أبيض وأسود] يرتكز على كابوليين مقرنصين ، عليهما زخارف نباتية دقيقة(١) ، ولا تزال آثار الذهب واللازورد باقية عليهما(٢) .

وزود هذا الإيوان بمنبر خشبي يتكون من صدر وجوسق يعلوه رقبة خشبية ترتكز على مقرنصات زينت جوانبه بحشوات مجمعة تحتوي على أطباق نجمية مطعمة بالعاج والصدف والسن ، يفصل بينها حشوات من الخشب(٣) ، وعلى جانبي المنبر آيات قرآنية ، بالخط النسخي البارز ، فعلى باب المنبر من الداخل توجد حشوة عليها كتابة نصها [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [سورة النحل آية ٨٩] . ويوجد عليه من الخارج أيضاً حشوة أخرى نصها [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ [سورة الأحزاب آية ٥٥] . كذلك توجد كتابة تلتف بدائر قبة جوسق المنبر نصها [بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ [سورة الأحزاب آية ٤٠] . ويوجد أيضاً نصان على بابي روضتي المنبر ، فعلى

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٨ . عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٠٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٥ - ١٦٦ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ . عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

الباب الأيمن كتابة نصها ﴿ يأأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [سورة آل عمران آية ٢٠٠]. وعلى الباب الأيسر كتابة نصها ﴿ يأأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير ﴾ [1] [سورة الحج ، اية ٧٧].

الإيوان الشمالي الغربي [البحري] [لوحة ٦٧، ٦٨] :

وهو مقابل للإيوان السابق ، وتبلغ أبعاده ٥ر٧ م×٤ر٥ م[2]. ويكتنفه سدلتان متماثلتان . تزيدان من مساحته اتساعاً[3]. ويماثل سقفه وأرضيته ما في الإيوان السابق [القبلي][4].

وبصدر هذا الإيوان ثلاث دخلات معقودة سدت حجورها العلوية بالجص المزخرف بزخارف نباتية محورة عن الطبيعة. وبكل منها نافذة مستطيلة هي النوافذ السفلية لواجهة هذا الإيوان ، يغلق على كل منها من الداخل مصراعين من الخشب. ويعلو هذه الدخلات نوافذ المستوى الثاني من نوافذ الواجهة [5]. ودونها توجد كتابة بالخط النسخي البارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٤١ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٧ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٦٧ .

(٤) المرجع السابق نفسه ،ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٧-١٦٨ .

الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾[1][سورة التوبة آية ١٢٨ - ١٢٩] .

ويعلو تلك النوافذ أسفل السقف كتابة نسخية بارزة أيضاً نصها [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾[2] صدق الله العظيم][3] وكان يوجد بهذا الإيوان دكة خشبية للمبلغ[4] ، مستطيلة الشكل ، ولها سياج خشبي محمولة على أعمدة خشبية تستند بعوارض على الجدار الغربي للإيوان[5] .

وللإيوان عقد مدبب يشبه عقد الإيوان السابق [6] .

أما بالنسبة للسدلتين سابقتي الذكر [لوحة ٦٩] فإن

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٠ .

(٢) سورة النور ، اية ٣٥ - ٣٧ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٤) يقصد بالمبلغ الذي يلقن التسابيح للمصلين بعد انقضاء صلاتهم . ولا زال هذا النظام معمولاً به في بعض مساجد القاهرة حتى الوقت الحاضر . ولم أعثر على تعريف له في المصادر والمراجع التي تسنى لي الاطلاع عليها .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٠ .

(٦) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٨ . عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

اليمنى منهما تبلغ أبعادها ٦ر٣ × ٤ر٣ م . وتعلو أرضيتها عن مستوى أرضية الإيوان بمقدار ٣٠ سم [١] ، وهي من الرخام بها زخارف هندسية متنوعة [٢] ، وسقفها نموذج مصغر لسقف الإيوان المطلة عليه . أسفل منه شريط كتابي على حشوات خشبية بالخط النسخي البارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ [٣] [سورة فصلت آية ٣٠] .

ويوجد بصدر السدلة شباك مستطيل عليه مصبعات برونزية ، يعلوه قمرية مغشاة بالزجاج الملون ، ويقع على جانبي الداخل إليها كتبيتان ، كلٍ منهما تتكون من طابقين ، لكل طابق باب خشبي من مصراعين ، ملبس بالنحاس [٤] .

وتعلو هاتين الكتبيتين حشوات خشبية عليها كتابات دعائية وقرآنية ، تتواصل إلى السدلة اليمنى ، انطمست أكثر كلماتها [٥] . وتطل هذه السدلة على الإيوان من خلال كريدي خشبي

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧١ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٠ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٣ ، ٢٤٣ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٢ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٠ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٢ .

يرتكز على مقرنصات خشبية [١].

وتقارب السدلة اليسرى في مساحتها السدلة السابقة ، فتبلغ أبعادها ٦ر٣ م ×٥٢ر٣ م[٢] . بينما تماثلها في عناصرها ومكوناتها المعمارية والزخرفية[٣] . بالإضافة إلى وجود كتبية [خزانة] من طابقين في صدر هذه السدلة ، يغلق على كل منهما باب خشبي من مصراعين ، ويعلو هذه الكتبية قمرية مغطاة بجص معشق بالزجاج الملون ، ويوجد أيضاً كتبية مماثلة للسابقة على يسار الداخل إلى السدلة يقابلها باب بمصراعين يؤدي إلى مكتبة المدرسة[٤] .

ويوجد أسفل السقف ، كتابة نسخية بارزة ، ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ﴾ [٥] . صدق الله العظيم][٦] .

---

(١) عبدالباقي إبراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٩ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٤ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٠ .

(٣) عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٩ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٤ .

(٥) سورة البقرة ، من آية ٢٨٥ .

(٦) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص٢٤٣ .

الصحن [الدرقاعه] [لوحة ٦٧] :

ويقع في وسط المبنى فيما بين الإيوانين والسدلتين ، وبمستوى هابط عن أرضياتهم بمقدار ٣٠ سم . وهو مربع الشكل يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ٥ر٨ م(١) . أرضيته مفروشة ببلاطات من الرخام الملون في أشكال هندسية قوامها دوائر في الوسط ، يحيط بها في الأركان أشكال مضلعة مختلفة في مساحاتها وطريقة توزيعها(٢) .

ويعلو السقف ملقف باذهنج مثمن الشكل ومزخرف بأشكال هندسية(٣) . كما يطل على الصحن عقود الإيوانين والسدلتين ، ويحدد هيئة هذه العقود جفت لاعب بميمات متساوية الأبعاد ، ينتهي عند القمة بميمة كبيرة تتوسطها وريده بارزة من الحجر(٤) .

ويشغل أركان الصحن أربعة أبواب تؤدي إلى وحدات المدرسة المختلفة ، حيث يؤدي الباب الشرقي في الضلع الشمالي إلى المدخل الرئيسي للمدرسة ، ويؤدي الغربي من نفس الضلع إلى باب جانبي [لوحة ٦٠] . أما بابي الضلع الجنوبي فإن الشرقي

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٨ . عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي ، أسس التصميم المعماري ، ص ٢٠٨ .

(٣) وهذا السقف من عمل لجنة حفظ الآثار العربية ، في حين أن الأصلي كان من الخشب الخرط . كما تشير بذلك النصوص المتوفرة عنه . حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٨١ .

(٤) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٨ .

منهما يؤدي إلى القبة ، بينما يؤدي الغربي إلى بعض ملاحق المدرسة(١) [لوحة ٦١] . ولكل من هذه الأبواب مصراع خشبي مصفح بالنحاس(٢) ، وبروز خشبي مزخرف برسوم غائرة عبارة عن دوائر ونجوم ، كما يعلو كل من هذه الأبواب حشوة خشبية عليها نص قرآني يمتد على الحشوات الأربع ، مكتوب بخط نسخي بارز ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً* ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما* وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ (٣). صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه](٤) .

ويعلو كلاً من الحشوات الخشبية نفيس حجري ، ثم عقد عاتق يتكون من صنجات مزررة ، ويحدد هيئة كل ذلك مدماك حجري أحمر . ثم يأتي بعد ذلك دخلة معقودة [لوحة ٧٢] يتوسطها فتحة شباك ، عليه مصبعات برونزية ، ويتوج الدخلة عقد منكسر يرتكز على عمودين مدمجين مستديرين من الحجر ، بقاعدة وتاج ناقوسيين ، وعلى بدنهما زخارف نباتية دقيقة(٥) ، كانت مغرقة بالذهب واللازورد(٦) . كما شغلت طاقية الدخلات بحطات من

---

(١) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٥٨ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٨ .

(٣) سورة الفتح آية ١ – ٣ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٢٦ .

(٥) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٩٩ .

(٦) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

المقرنصات المشعة ، المغشاة بالذهب واللازورد أيضاً[١] .

ويعلو كلاً من الدخلات السابقة شباك آخر مستطيل عليه مصبعات برونزية[٢] .

ويتوج جدران الدرقاعه الأربعة ، شريط كتابي بالخط النسخي البارز ، المغشى بالذهب واللازورد ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات والأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ [٣] . أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين ، أبو الفقراء والمساكين ناصر الدنيا والدين سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره ، بتاريخ شهر رمضان المعظم قدره ، سنة سبع وسبعين وثمان مائة] [٤] .

ويعلو النص السابق ، إطار عبارة عن جفت لاعب بميمات متساوية الأبعاد[٥] .

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٩٩ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٨٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية الكرسي ، ٢٥٥ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٨٠ ، ٢٢٤ ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٨٠.

السدلتين [لوحة ٧٠ ، ٧١] :

تقعان على الجانبين الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي للصحن[١] . وكلاهما عبارة عن مساحة صغيرة وضعتا كبديلين للإيوانين الجانبيين [٢] . وتبلغ أبعاد السدلة الشمالية الشرقية ٦ر٣ × ١ر٣ م[٣] . وأرضيتها مفروشة بالرخام الملون على شكل زخارف هندسية ، قوامها مثلثات وأشكال نجمية . ولها سقف خشبي مسطح ، زخارفه عبارة عن دوائر ومستطيلات[٤] ، بأركانه مقرنصات خشبية[٥] .

ويوجد بصدر هذه السدلة ، باب خشبي يؤدي إلى حاصل سقفه عبارة عن قبو حجري[٦] . ويعلو باب الحاصل حشوة خشبية عليها كتابة إنطمست كلماتها . ثم يأتي النفيس الحجري ، والعقد العاتق المكون من صنج حجرية مزررة .

ثم يأتي بعد ذلك نافذتان يغشاهما مصبعات برونزية[٧] ، يعلوهما بامتداد جدران السدلة كتابة بالخط النسخي البارز ،

---

(١) عبدالباقي ابراهيم ، صالح لمعي وآخرون ، أسس التصميم المعماري ، ص٢٠٨ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) دولت عبدالله و الخوانق في مصر ، ص ١٦١ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦١ .

(٥) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٧ .

(٦) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦١ .

(٧) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٦ .

١ر٦م × ٥ر٤ م[١] ، وأرضيتها مفروشة ببلاطات حجرية[٢] ، بينما تذكر وثيقة المدرسة أنها كانت من الرخام الملون [٣] .

والسقف خشبي مسطح ، عليه زخارف قوامها زخرفة اشعاعية وسطى ، تحيط بها أشكال هندسية متنوعة [٤] . وكل ذلك كان مجلداً بالذهب ، ومطلياً بألوان متعددة[٥] . ويرتكز السقف على إزار خشبي ، بأركانه مقرنصات خشبية ، وعلى الازار كتابة نسخية بارزة مذهبة ومغشاة باللازورد ، عبارة عن نص تأسيسي تآكلت معظم كتاباته[٦] .

ويوجد بالضلع الجنوبي الغربي من حجرة التسبيل دخلتان الأولى منهما غائرة ولها سقف مسطح من الحجر بها فتحة الصهريج ، ومعلق في سقفها كمر حديدي مركب عليه بكر رفع المياه . أما الدخلة الثانية ، فمن المفروض أن يكون بها لوح التسبيل الرخامي ، بيد أنه غير موجود في الوقت الحاضر[٧] .

ويوجد في وسط حجرة التسبيل فتحة خاصة بصهريج

---

(١) دولت عبدالله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ١٥٧ .
(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٤ .
(٣) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .
(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٥٤ .
(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٥٤ .
(٦) المرجع نفسه ، ص ١٥٥ ، ٢٢١ .
(٧) نفسه ، ص ١٥٣ .

ثاني زودت به المدرسة[١] . ولقد نصت وثيقة المدرسة على أن يملأ الصهريجين بالماء ليسبل منهما[٢] .

ويتخذ الكتّاب نفس أبعاد السبيل الذي يقع دونه ، ويصعد إليه عن طريق الدرج الذي ينفذ إليه من الدهليز[٣] . وله أرضية مفروشة ببلاطات من الحجر ، وسقف خشبي كان وقت إنشائه مغرق بالذهب واللازورد ، ومطلي بألوان متعددة ، ويرتكز هذا السقف على إزار خشبي عليه كتابه نسخية بارزة باللون الأبيض على أرضية زرقاء عبارة عن نص تأسيسي انطمست معظم كلماته[٤].

ويوجد بالجدار الجنوبي للكتّاب دخلتان متجاورتان عبارة عن كتبيتان [خزانتان] لحفظ أدوات الكتاب[٥] . ويجاورهما باب يؤدي إلى خلوة المؤدب ، وهي مفروشة ببلاطات حجرية وسقفها خشبي مسطح وملون . ويقع على يسار الداخل إليها كتبيتان يليهما النافذة المطلة على الواجهة الجنوبية الشرقية[٦] . وقد سبق الإشارة إليها .

وكان يجاور الكتاب على يسار الداخل إليه بيت أزيار

---

(١) نفسه ، ص ١٥٤ .

(٢) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٠٥ .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٧ ، ٢٢١ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٦) نفسه ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .

ومرحاض لخدمة الأطفال ومؤدبهم [(١)] .

المزملـة :

تقع على يمين الداخل ، وهي عبارة عن إيوان مقبى تبلغ أبعاده ١٫٨٠ م × ١٫٢ م ويغلق عليه حجاب من الخشب الخرط له باب بمصراعين يعلوه حشوة خشبية عليها كتابه نصها « لا إله إلا اللّه محمد رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (٢) [سورة المطففين آية ٢٥ – ٢٦] .

المكتبـة :

ورد في أثناء الحديث عن سدلة الإيوان البحري اليسرى أن بها باب يؤدي إلى مكتبة المدرسة ، وهي عبارة عن حجرة غير منتظمة الأبعاد ، بلاطها حديث ، وسقفها من الخشب المسطح عليه زخارف عبارة عن وريدات تحيط بها أشكال هندسية ، ومطلي بألوان متعددة[(٣)] ، بأسفله إزار عليه كتابة نسخية بارزة ، باللون الأبيض على أرضية سوداء عبارة عن نص تأسيسي فقد جزء كبير منه [(٤)].

وللمكتبة في جدارها الجنوبي شباكان مستطيلان أحدهما يعلو الآخر ، ومغطيان بمصبعات برونزية ، ولكل منهما مصراعين من الخشب . وعلى بقية جدرانها توزعت الدخلات ، وبها الأرفف الخشبية الخاصة بمحتويات المكتبة من مصاحف وكتب مختلفة الأنواع [(٥)] .

---

(١) نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٢) دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ٢١٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

(٤) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٧٥ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٥ .

المساكن :

زودت المدرسة بوحدات سكنية لاستيعاب أرباب الوظائف فيها من شيوخ وطلبة وغيرهم .

ولا تقدم وثيقة المدرسة أو المصادر معلومات مفصلة عن الوحدات السكنية وكيفية توزيعها للمستفيدين من أرباب الوظائف المختلفة .

وبناءاً على المعلومات المتوافرة ، يمكن تقسيم هذه الوحدات إلى قسمين :

أولهما : الوحدات السكنية التي تقع ضمن كتلة مبنى المدرسة ، حيث تشير حجة الوقف إلى أنه كانت توجد طبقة(١) عبارة عن حجرة كانت تشغل الجانب الغربي من الكتاب حتى قاعدة المئذنة(٢) . وكان درج المدرسة الرئيسي يؤدي إلى دور مسروق عبارة عن خلوة صغيرة(٣) أطلقت عليها وثيقة المدرسة اسم « طبقة لطيفة » ، وتذكر بأنه كان يجاورها « بيت خلاء »(٤) . من الواضح أنها كانت مخصصة لبواب المدرسة ، لقربها من المدخل الرئيسي .

---

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٤) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

وسبق أن ذكرنا بأنه يجاور الكتَّاب ، خلوة خاصة بالمؤدب لتكون سكناً له أيضاً [١] . وهذه هي الوحدات السكنية الملحقة بمبنى المدرسة .

أما القسم الثاني من وحدات الإسكان فهي التي تقع خارج كتلة المبنى، موزعة ضمن السور الذي يحيط بالمجموعة المعمارية .

فكان يلاصق المدرسة من الناحية الشمالية الشرقية طباق اندثر ولم يبق منه سوى معالم بسيطة [لوحة ٧٥] ، وكان هذا الطباق موجود حتى أوائل القرن ١٣هـ/١٩ م . حيث عمل له بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في تلك الفترة ، رسومات تمثل واجهته الجنوبية الشرقية[٢] [لوحة ٧٣ ، ٧٤] .

ولقد وصفت وثيقة المدرسة هذا الطباق ، فتذكر بأنه يتكون من دهليز يطل عليه أربعة أبواب ، يؤدي كل منها إلى درج يصعد من خلاله إلى الحجرات السكنية ، وأنه كان يجاور درج الطباقات الثلاثة الأخيرة حاصل لكلٍ منها[٣] .

ومن الواضح أن الطباق الأول يطل على الناحية الجنوبية

---

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) محمد حمزة ، قرافة القاهرة ، ص ١٣٨ ، وهذه اللوحات من عمل بسكال كوست ، وبريس دافن . انظر ثروت عكاشة ، مصر في أعين الغرباء ، من الرحالة والفنانين والأدباء ، القرن التاسع عشر ، ١٩٨٤م ، القاهرة جـ ١/ ص ٢٠٤ – ٢٠٩ . ويوجد منها نسخ أصلية في مكتبة وأرشيف قسم التصوير بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

(٣) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

الغربية ، لوحدة الإسكان بأكملها ، لأن الوثيقة تذكر بأن هذا الطباق يطل على الرحبة الواقعة خلف المدرسة من الناحية الشمالية الغربية[١] . ولا يوجد في الوثيقة وصف لهذا الطباق وإن كان من المؤكد أنه لا يختلف عن بقية الطباقات التي تقدم الوثيقة لها وصفاً مناسباً حيث تطل هذه الطباقات على واجهة المبنى الجنوبية الشرقية [القبلية] .

والأولان منهما متشابهان ، فيتكون كل منهما من حاصل سفلي يعلوه طبقة لطيفة [خلوة صغيرة] ، ومرحاض ، وبيت أزيار . أما الأخير فإنه يزيد عما هو موجود في الطباقات السابقة ، بوجود طبقة لطيفة [خلوة صغيرة] تعلو السابقة ولا يتبعها مرافق أخرى سوى خزانة فقط[٢] .

وكان يوجد في مواجهة مبنى المدرسة من الناحية الشرقية طباق آخر ذكرته وثيقة المدرسة ، وذكرت أنه يجاوره رواق[٣] لسكنى شيخ المدرسة ، دون أن تقدم عن ذلك المزيد من التفاصيل[٤] ، لعله يشابه السابق،ولا يزال يوجد حتى الوقت الحاضر إلى شمال

---

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٣) عرف الرواق معاني عدة ، بيد أن المقصود به هنا نوع من القاعات التي تتكون من إيوان أو إيوانين . وصحن مغطى ويستخدم للإقامة والسكنى . انظر الفصل الثاني من الباب الثالث ، ص ٣٦٣ .

(٤) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف و ازرة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

المنشأة ، مبنى عرف بربع قايتباي ، يمكن اعتباره من ضمن الوحدات السكنية التابعة للمدرسة(١) . وللمبنى واجهة تشير إلى أنه يتكون من ثلاثة طوابق(٢) [لوحة ٧٦ ، ٧٧] ، ويتوسطها مدخل ضخم طمر الجزء السفلي منه بالأتربة والمخلفات [لوحة ٧٨] . ويتكون هذا المدخل من فتحة مقوصرة بعقد مدبب ، له كوشتان ملئتا بالزخارف النباتية البارزة . وكل ذلك محدد بجفت لاعب ذو ميمات وينتهي عند القمة بميمة كبيرة بداخلها وريدة(٣) .

ثم يعلو ذلك بحر كتابي بالخط النسخي البارز على الحجر ، ما نصه [أمر بانشاء هذا المكان المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه] (٤) .

يلي ذلك فتحة شباك مستطيلة الشكل ، يكتنفها رنكان كتابيان نص كل منهما [عز لمولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي عز نصره] ، ويتوج المدخل عقد مدائني يرتكز على حنايا تشبه أطرافها أرجل القبو المروحي . ويشغل كوشتيها رنكان يماثلان السابقين(٥) .

أما بقية أجزاء الواجهة ، ففيها خمسة عشر نافذة متماثلة ، يعلو كل منها عقد مستقيم يتكون من سبع صنج حجرية مزررة ،

---

(١) حمد حمزة ، قرافة القاهرة ، ص ١٣٩ .
(٢) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٥٠ .
(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٠ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٥٠ .
(٥) نفسه ، ص ٢٥٠ .

ويحدد العقد إطار عبارة عن مدماك حجري[١] .

أما بالنسبة لمكونات الربع من الداخل ، فإن المدخل يؤدي إلى ساحة صغيرة تتميز بامتدادها بطول المبنى حيث تطل عليه الطباقات ، التي كان إلى عهد قريب الطابق السفلي منها سليماً ، فكان يتكون من حواصل مقبية . بينما تظهر معالم بسيطة لخلاوي علوية ، من طابقين[٢] . مما يرجح بأن هذا المبنى كان يتكون من طباقات ، بكل منها حاصل سفلي يعلوه طبقتان لطيفتان لكل منها مرافق وحقوق .

الحواصل :

زودت المدرسة بعدد من الحواصل تحفظ فيها أدوات المدرسة المختلفة . ولقد وزع المعمار هذه الحواصل في مواقع متعددة من المبنى . فخلف السدلة الشمالية الشرقية كان يوجد حاصل سبق الإشارة إليه . بالإضافة إلى وجود حاصلين يقعان أسفل المدرسة[٣] ، وآخر بجوار بابها الجانبي[٤] ، علاوة على حواصل المساكن وقد سبق الإشارة إليها .

الميضأة :

تذكر وثيقة المدرسة أنه كان يقع إلى الشرق من المدرسة

---

(١) نفسه ، ص . ٢٥ .

(٢) أحمد الجلالي ، الأعمال المعمارية للسلطان قايتباي ، ص ٢٣ .

(٣) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي ، ص ١٤٣ ، هامش « ٤ ».

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٢ .

بجوار الطباق الذي هناك ، معالم ورسوم ميضأة لم يكتمل بنائها وقت كتابة هذه الوثيقة(١) . ولعل ذلك كان السبب في عدم وصفها بشكل تفصيلي . ولقد اختفت هذه الميضأة فلم يبقى منها أثر في الوقت الحاضر .

المئذنة [لوحة ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٩] :

تعد مئذنة المدرسة من أرقى ما بُني في مصر من المآذن ، من حيث رشاقتها وجمال زخارفها(٢) . وهي مكونة من ثلاثة أدوار ، وقاعدة مربعة ، لها أركان علوية مشطوفة ، في الجانب الجنوبي الشرقي منها فتحة باب تؤدي إلى سطح المدرسة ، وبزواياها أعمدة حجر مندمجة ، وزخرفت منطقة الانتقال من المربع إلى المثمن ، بجفوت لاعبه بميمات متساوية الأبعاد .

يلي ذلك الدور الأول ، وهو عبارة عن بدن مثمن الشكل ، شغلت واجهاته بدخلات معقودة بعقود منكسرة يرتكز كل منها على عمودين مدمجين من الأعمدة الثلاثة التي تشغل أركان المثمن . ويوجد في أربعة من الدخلات السابقة أربع نوافذ معقودة بعقود مفصصة ويتقدمها شرفات محمولة على كوابيل من حطات مقرنصة يعلو ذلك شريط كتابي نسخي بارز ، نصه : [بسم الله

---

(١) حجة وقف السلطان قايتباي برقم ٨٨٦ بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة .

(٢) حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ / ص ٢٥٢ .

الرحمن الرحيم ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾[1] [سورة الجمعة آية٩-١٠]. ولقد حليت حدودالعناصر المعمارية والزخرفية لهذا الدور بجفت لاعب بميمات .

وينتهي هذا الدور بشرفة ترتكز على حطات من المقرنصات الدالية ، ولها سياج حجري مكون من شقف صغيرة ذات زخارف هندسية مفرغة تتخللها أعمدة حجرية ذات رؤوس رمانية .

وأما الدور الثاني فهو مستدير البدن ، عليه زخارف عبارة عن أشرطة مجدولة ومتقاطعة ، تعطي أشكالاً نجمية ومحاط كل ذلك بجفوت لاعبة بميمات .

وينتهي هذا الدور من أعلى بشريط كتابي نسخي نصه [بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً* تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً ﴾[2] [سورة الأحزاب آية ٤١ - ٤٤] .

---

(١) حسني نويصر ، منشآت السلطان فايتباي ، ص ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٠ .

وينتهي هذا الدور بشرفة تشبه السابقة . ويعلوه الدور الثالث « الجوسق » . والمكون من ثمانية أعمدة مستديرة بقواعد وتيجان مستديرة الشكل ، تعلوها الشرفة الثالثة الشبيهة بالسابقة والتي تقوم عليها قمة المئذنة ذات شكل القلة[1] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٢٩ – ١٣٠ . دولت عبدالله ، الخوانق في مصر ، ص ١٦٤ . جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص ٢٤٨ .

الباب الثاني
نماذج من عمارة المدارس
في الحجـــاز

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : المدرسة الباسطية بمكة المكرمة

[٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م]

الفصل الثاني : المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة

[٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م]

الفصل الثالث : مدرسة السلطان قايتباي بمكة المكرمة

[٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م]

الفصل الأول
المدرسة الباسطية بمكة المكرمة

« ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢م »

منشيء المدرســة :

أنشـأ هـذه المدرسـة أحـد أبـرز رجـال الادارة في مصـر في العصـر الجركسي ، وهـو القاضي الزيني عبد الباسط بن خليل ابن إبراهيم ، وقيل يعقوب ، وإبراهيم هو المعتمد كما يذكر السخاوي[1] .

ولد ونشأ بدمشق ، وبها بدأ يعلو شأنه عندما التحق بالمؤيد شيخ [2] ، الذي كان نائباً في الشام[3] . فلما ولي المؤيد السلطنة

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٤/ ص ٢٤ ، التحفة اللطيفة ، جـ٢/ ص ٤٤٣-٤٤٤ .

(٢) هو الملك المؤيد شيخ المحمودي ، من سلاطين العصر الجركسي البارزين ، تقلب في مناصب عدة حتى تولى نيابة الشام ، قبل أن يعلو سدة الحكم . كان فارساً ذكياً يغلب عليه التدين مع نصيب جيد من العلم . توفي سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م .

العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد ، السيف المهند في أخبار الملك المؤيد ، ١٩٦٦ ، القاهرة ص ٣٩-٤٧ .

الملطي، عبدالباسط بن خليل ، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م القاهرة ص ١٢٦-١٢٧ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٩/ ص ٢٤ . ونيابة الشام ، من أجل وظائف أرباب السيوف بالبلاد الشامية ، وأعلاها رتبة حيث يعد المتحدث فيها نائباً عن السلطان في هذه البلاد . القلقشندي ، ابن العباس أحمد بن علي . صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ، القاهرة ، جـ٤/ ص ١٨٤ ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ١٩٦٥م ، القاهرة ، جـ٣/ ص ٢٤٣ .

قربه وحظي عنده ، فولاه نظارة الخزانة[١] والكسوة الشريفة[٢] . واستمر أمره في الترقي حتى ولي نظارة الجيش[٣] ، في عهد الملك الظاهر ططر[٤] ، فظهرت هنالك همته وعلت منذ ذلك الوقت كلمته ، خاصة في عهد الملك الأشرف برسباي ، فعد « ... عظيم الدولة وصاحب حلها وعقدها ... »[٥] .

---

(١) ونظارة الخزانة من الوظائف الجليلة في نظم المماليك لأنها مستودع الأموال السلطانية ، وبها تحفظ الخلع والتشاريف وغير ذلك من أنواع الملابس التي يوزعها السلطان في المناسبات المختلفة .
القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٤/ص ٣١ ، حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ٣ / ص ١١٩٣ – ١١٩٨.

(٢) ولصاحب هذه الوظيفة النظر في كسوة الكعبة المشرفة ، وكان للمماليك اهتمام كبير بهذا الأمر . القلقشندي ، صبح الأعشى جـ٤/ ص ٩٧ .

(٣) نظر الجيش وظيفة ، يكون صاحبها معنياً بالجيوش السلطانية وما يرتبط بها من شؤون مالية ، المصدر السابق نفسه ، جـ٤/ ص ٣٠-٣١ ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، جـ٣/ ص ١١٩٣ – ١١٩٨ . عبد المنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، جـ١ / ص ١٣٨ – ١٤٤ .

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٤ / ص ٢٤ – ٢٥ ، والظاهر ططر أحد سلاطين الجراكسة ، ولي سدة الحكم بعد خلع السلطان أحمد بن المؤيد شيخ ، لم يدم حكمه طويلاً ، إذ لم يتجاوز بضعة شهور . توفي سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١م .
ابن تغري بردى ، الدليل الشافي ، جـ١/ ص ٣٦٣ ، النجوم الزاهرة ، جـ١٤/ص ١٩٨ – ٢١٠ . الصوفي ، محمد بن أبي الفتح ، الصفوة في وصف الديار المصرية ونظام الممالك الاسلامية ، تحقيق طلال جميل رفاعي ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، مكة المكرمة ، ص ١١٤ .

(٥) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان ، جـ٣/ ص ٣٠٤ .

وظل على ذلك إلى أن ولي الظاهر جقمق السلطنة ، فكانت بداية انحطاط أمره ، فوضع منذ سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م [١] في الترسيم ، وصودرت منه مقادير كبيرة من الأموال وممتلكات أخرى[٢] .

وعلى الرغم من ذلك ، فلقد كان في سجنه معززاً مكرماً حتى نفي إلى خارج مصر سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م [٣] . ثم أعيد إليها سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م[٤] .

وبقي بها إلى أن توفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م[٥] .

ولقد أشادت المصادر التاريخية ، بصفات القاضي عبد الباسط وامتدحت سجاياه ، فتذكر بأنه كان سيوساً ، كريماً ، محباً للتجمل في الملبس والمركب[٦] . وله مبرات كثيرة ، من أبرزها ما

---

(١) لا تذكر المصادر أسباب معينة دفعت بالظاهر جقمق نحو النكاية بالقاضي عبد الباسط ، وإن كان من المرجح أن محاولة إعادة سلطنة الملك العزيز بن برسباي ، والذي خلعه جقمق هي التي دفعت به نحو القضاء على رجال دولة الأشرف برسباي لأنه كان يرتاب في ولائهم له . ويخشى من ميلهم للملك العزيز . المقريزي ، السلوك ، جـ٤ / ق٣ / ص ١٠٩١-١١٠٤ .

(٢) السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن ، التبر المسبوك في الذيل على السلوك ، القاهرة ص ٣٣٠ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ / ق ٣ / ص ١١٥٩ ، ١١٧٠ ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ / ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، جـ٢ / ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٥) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٤ / ص ٢٥ .

(٦) المصدر السابق نفسه ج٤/ص ٢٥-٢٦، السخاوي ؛ التبر المسبوك ص ٣٢٩-٣٣٢.

أنشأه من مرافق على طريق الحج . كما أنه أنشأ المساجد والمدارس والأسبلة في أقاليم الدولة المختلفة ، منها مدرستان في الحجاز أولاهما في مكة المكرمة والثانية في المدينة المنورة[١] .

إنشاء المدرسة :

أولى المماليك الحجاز الكثير من الرعاية والاهتمام ، وكان لهم فيه الكثير من الانشاءات والاصلاحات ، وبخاصة في الحرم المكي الشريف والمشاعر المقدسة ، علاوة على ما قاموا به من أعمال على طريق الحاج المصري[٢] .

وفي هذا الاهتمام تكمن أبرز الدوافع التي أدت بالقاضي عبد الباسط نحو إنشاء هذه المدرسة لكونه من رجالات الدولة في ذلك العصر ومن مدبري سياستها . يضاف إلى ذلك مشاعره الدينية التي لا بد وأنها ستدفعه نحو الاهتمام بالحجاز ، وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، أقدس بقعتين لدى المسلمين . وبالتالي فإن بناء مدرسة في كل منهما يعد دليلاً كافياً على مدى

---

(١) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ، جامعة أسيوط ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م . ص ٩٥ .

(٢) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤هـ/ ١١٨٤م ، مكة المكرمة ، ص ٣٣٠ – ٣٣٥ .

هذا الاهتمام ، خاصة وأن إنشاء هذه المنشآت ، كان يعد في ذلك العصر من أبرز القربات لله تعالى[١] .

ولقد كانت البداية في الإعداد لهذا المشروع . أثناء تأدية القاضي عبد الباسط لفريضة الحج أواخر سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م ، حيث قام باقتناء الدار المزمع إنشاء المدرسة فيها[٢] . ثم بدء في التنفيذ في أوائل السنة التالية « ٨٣٥ هـ / ١٤٣١م ، والتي لم تكد تنتهي حتى كان بناء المدرسة قد قارب على الانتهاء واكتملت مراحلها النهائية في أوائل سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م[٣] .

ولا تقدم المصادر معلومات محددة عن نظام المدرسة وشروط وقفها ، وما يرد في هذا الإطار لا يتجاوز ذكر من تولوا مشيختها، حيث يذكر ابن فهد[٤] ، المعاصر لإنشاء المدرسة ، أن أول من تولى ذلك القاضي جلال الدين ابن ظهيرة[٥] ، أحد أئمة الشافعية وقضاتها بمكة المكرمة[٦] . مما يشير معه إلى أن مشيخة المدرسة

---

(١) فهمي عبد العليم ، العمارة الاسلامية في عصر المؤيد ، ص ١٨٠ .

(٢) ابن فهد ، اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٤/ ص٥٧ ، ٥٩ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ / ص ٦٣ ، ٦٦ .

(٤) عبدالله غازي ، إفادة الأنام بأخبار بلد الله الحرام ، نسخة مخطوطة لدى د. سعد الدين أونال ، الباحث بمركز أبحاث الحج جـ٢ ، ورقة ٤٤٢ .

(٥) ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ ٤/ ص ٦٣ - ٦٤ .

(٦) هو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة أبي السعادات ، ولد ونشأ بمكة المكرمة ، وبها تلقى العلم حتى برع في الفقه على وجه الخصوص . ولي وظائف عدة منها الحسبة وقضاء الشافعية بمكة المكرمة وكان يعد مفتي الحجاز ، توفي سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م . =

كانت للشافعية .

وهذا يناقض ما ذكره النهروالي[١] وابن الصباغ[٢] ، من أن مشيخة هذه المدرسة كانت لأئمة المقام الحنفي ، بالحرم المكي الشريف .

ويتضح من خلال متابعة تاريخ من تولوا هذه المشيخة أنها كانت في باديء الأمر بيد الشافعية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى أئمة المقام الحنفي .

حيث وليها بعد ابن ظهيرة ، عمر بن محمد بن علي الشافعي[٣] من سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م إلى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م[٤] . ثم

= انظر النجم عمر بن فهد الهاشمي ، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٣٠٣٢ ، لوحة ٥٥ – ٥٧ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٦/ ص ١٨٦ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٩ / ص ٢١٥ .

(١) النهروالي ، محمد بن أحمد القطبي ، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٩٨ .

(٢) ابن الصباغ ، محمد بن أحمد المكي ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، مخطوط مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٢١٨ لوحة ١٥٥ .

(٣) ابن فهد النجم عمر ، معجم الشيوخ ، تحقيق محمد الزاهي ، الرياض ص ٦٨ ، وهو عمر بن علي الشيبي ، شيخ سدنة المسجد الحرام في عصره ، ولد ونشأ بعدن ، ثم رحل لطلب العلم واستقر في نهاية المطاف بمكة ، توفي سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م .السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦/ ص ١٢١ –١٢٢.

(٤) المصدر السابق نفسه جـ٦/ ص ١٢٢ .

تركها لأحد طلبة المدرسة ، وهو أحمد بن علي اليمني الشافعي[١] . والذي استمر في وظيفته هذه إلى سنة ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤م[٢] ، أو سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م[٣] . فوليها من بعده أحد شيوخ الحنفية ، وهو محمد بن محمد البخاري الحنفي[٤] ، وكان حينئذ إمام مقام الحنفية في الحرم المكي الشريف[٥] ، فاستمرت بأيديهم منذ ذلك التاريخ ، حيث اعتبرتها مصادر العصر العثماني ، وقفاً على أئمة المقام الحنفي بالمسجد الحرام[٦] .

ويتضح من خلال العرض السابق أن هذه المدرسة كانت في الأصل مخصصة لتدريس المذهب الشافعي ، كوظيفة أساسية تقوم بها علاوة على قيامها بوظيفة الخانقاه[٧] ، فكان على طلبتها الذين

---

(١) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ . وهو أحمد بن علي الحميري اليمني . ولد باليمن بإحدى نواحي تعز . وبها نشأ وتعلم ثم رحل إلى مكة ، حيث أكمل تعليمه ، ونزل بالباسطية حتى ولي مشيختها . توفي سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م ، السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٢ / ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، جـ٩/ ص ٢٢٣ .

(٣) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ .

(٤) هو محمد بن محمد السراج الحسني ، ولد ونشأ ببخارى ، ثم ارتحل في طلب العلم حتى استقر به المقام بمكة المكرمة . توفي سنة ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م. السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٩/ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٥) المصدر السابق نفسه ، جـ ٩ / ص ٢٢٣ .

(٦) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ ، ابن الصباغ ، تحصيل المرام ، لوحة ١٥٥.

(٧) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ .

لم تحدد المصادر عددهم أن يكونوا من المتصوفة أيضا[١] . كما كان يوجد بها كتاب لتحفيظ القرآن الكريم ، كما سيتضح لاحقاً .

بيد أن هذه الوظائف لم يكتب لها الاستمرار طويلاً لضعف موارد المدرسة باندثار أوقافها بمصر[٢] . مما يفسر استيلاء أئمة المقام الحنفي عليها وذلك من باب الإشراف على المبنى فقط ، الذي لم يعد يستخدم سوى كمقر للأعيان الواردين للحج[٣] .

ثم آل بها الأمر في أواخر العصر العثماني أن استولى عليها بعض سكان مكة المكرمة ، كما حدث لغيرها من الأوقاف التي كانت موجودة بها في ذلك العصر[٤] . فأضحت في أيدي بعض الأشراف ، واستأجرها منهم أسرة آل الراضي ، إلى أن هدمت في التوسعة السعودية للمسجد الحرام والتي ابتديء في تنفيذها في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م [٥] .

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١ / ص ٣٢٢ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٩٨ .

(٤) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص ٥٣٠ .

(٥) مقابلة مع الدكتور أسامة الراضي في ٢٢ شوال سنة ١٤١٣هـ . ويعد الدكتور أسامة محمد الراضي مرجعاً أساسياً في التعرف على التكوينات المعمارية للمدرسة الباسطية ، حيث عاش فيها ما يقارب العشر سنوات . وهو أحد الكفاءات العلمية في الطب النفسي في المملكة العربية السعودية ، وحاصل على البورد الأمريكي للطب النفسي ، وله استحداثات في مجال العلاج الديني للأمراض النفسية . عمل لفترة طويلة في المجال الحكومي ، وتولى مناصب عدة منها مدير الشؤون =

موقـع المدرسـة :

تقع المدرسة ملاصقة للحرم من الناحية الشمالية ، حيث الباب الذي يعرف بباب العجلة[١] . وعرف بعد ذلك بباب الباسطية نسبة للمدرسة التي تقع على يسار الداخل من هذا الباب [٢]. [شكل ٣][٣] وكانت شبابيكها السفلية تطل على أروقته من هذه

= الصحية بمدينة الطائف ، ومستشاراً للطب النفسي بوزارة الصحة . وأسس بعد ذلك مجمع لعيادات الطب النفسي ويعمل مديراً له حتى الوقت الحاضر . أجريت معه مقابلتان ، الأولى تمت في ٩ شوال من عام ١٤١٣هـ وكانت تمهيدية ، والثانية في ٢٢ شوال حيث جرى فيها تسجيل المقابلة واستيفاء وصف المبنى بشكل كامل .

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٤/ ص ٢٩، وباب العجلة أحد أبواب المسجد الحرام وينسب لدار بجواره ، تعرف بدار العجلة ، الفاكهي ، محمد بن إسحاق ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق عبدالملك بن دهيش ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، مكة المكرمة جـ٢/ ص ١٦٩ ، ١٩٧ ، الأزرقي ، محمد بن عبدالله ، أخبار مكة وما جاء بها من الاثار ، تحقيق رشدي الصالح ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، مكة المكرمة جـ٢/ ص ٩٣ .

(٢) باسلامة ، حسين بن عبدالله ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١٣٠ ، ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ٢٠ ، ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، جـ١ / ص ٢٣٤ .

(٣) يمثل هذا الشكل خارطة توضح توزيع المدارس حول الحرم الشريف ، ويظهر فيها موقع المدرسة الباسطية ، وهي مأخوذة من كتاب مدارس مكة لناجي معروف .

الناحية[١] .

وهي بذلك تكون مثل غيرها من المدارس التي أنشئت في مكة المكرمة ، والتي اختيرت مواقعها بجوار الحرم المكي الشريف[٢] .

ولقد كان في الموقع الذي أنشئت فيه المدرسة ، منزلاً لبعض الأشراف ، وكانت قبل ذلك أيضاً مدرسة[٣] ، أنشأها الأمير أرغون الناصري[٤] في حدود سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م[٥] .

---

(١) النهروالي ، الأعلام ص ٩٨ .

(٢) ناجي معروف ، مدارس مكة ، ص ٩٠ ، محمد عبداللطيف هريدي ، شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، القاهرة ص ٤٩ .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٤/ ص ٥٩ .

(٤) وهو أرغون شاه بن عبدالله الداودار الناصري ، نسبة للملك الناصر محمد بن قلاوون حيث كان من مماليكه الذين حضوا بكثير من عنايته ، كان له حظ وافر من العلم ، ولي نيابة مصر ، ثم نيابة حلب ، كان محباً للعلم ، راغباً في الانشاء والتعمير .
ابن حبيب ، عمر بن الحسن ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد أمين ١٩٧٢م ، القاهرة جـ١ / ص ٢١١ ، ابن تغري بردى ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، جـ٢ / ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٥) الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، جـ١ / ص ١١٧ .

الوصف المعماري للمدرســة

على الرغم من تعرض مبنى المدرسة لتغيرات معمارية ترد الإشارة إليها أثناء الوصف المعماري ، فإن ذلك لم يؤد إلى طمس معالمها الأساسية ، وهو ما يؤكد عليه باسلامه حيث يذكر أثناء حديثه عنها بأنه « ... لا تزال هذه المدرسة على حكمها إلى العصر الحاضر ... »(١) مما يدل بدوره على أنها لم تفقد مكوناتها الأصلية ، سواء من ناحية العمارة أو التخطيط . ولم يطرأ عليها سوى بعض التعديلات والتي ترد الإشارة إليها أثناء وصف هذه المنشأة ، كما سبق أن ذكرنا .

التخطيط [شكل ٤٥] (٢):

تتخذ المدرسة شكلاً مستطيلاً ، إذ تمتد من جوار المسجد الحرام جنوباً إلى النهاية المستقيمة لشارع باب الباسطية شمالاً(٣). وبالتالي فإن امتداد ضلعها يبلغ في هذه الحالة ٢٦ م(٤) . أما بالنسبة لضلعها الملاصق لجدار المسجد الحرام والممتد من شرق المدرسة إلى غربها ، فإن حده الغربي ينتهي عند باب الباسطية .

---

(١) باسلامة ، عمارة المسجد الحرام ، ص ١٣٠ .

(٢) هذا الشكل مستخرجة أضلاعه من خارطة هيئة المساحة المصرية ، والمنشورة سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م برقم ٥٢/٢٤٧ وموضوعها المسجد الحرام والمناطق المحيطة به . وعليه وصف المبنى .

(٣) مقابلة مع الدكتور أسامة الراضي ٢٢ شوال ، ١٤١٣هـ .

(٤) وذلك وفق التوقيعات الموجودة على خارطة هيئة المساحة المصرية .

ويمكن تحديده هنا بدقة [شكل ١][(١)] ، وهو ما لا يتسنى تحقيقه في الحد الشرقي لهذا الضلع الذي لم يوقع على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ١] بيد أنه يتضح من خلال اللوحات المتوفرة عن هذا الجانب [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢][(٢)] أن حد

---

(١) يوضح هذا الشكل تخطيط المنطقة كما هو موجود على خارطة هيئة المساحة المصرية .

(٢) تنتمي هذه اللوحات إلى مجموعات مختلفة . فأولاها رقم ٤٨ هي من مجموعة اللواء محمد صادق باشا ، والتي تتضمن لوحات عدة أخذها هذا اللواء ، أثناء تأديته لفريضة الحج فيما بين سنتي ١٢٩٤ - ١٣٠٤هـ / ١٨٧٧ -١٨٨٦م . بدر الحاج ، صور من الماضي ، المملكة العربية السعودية ، لندن ص ١٢ - ١٣ . وتوجد نسخة كاملة لهذه المجموعة في أرشيف مؤسسة عمار للتراث بمدينة جدة . ومنها أمكن الحصول على هذه اللوحة. أما اللوحة الثانية رقم ٤٩ ، فهي موجودة في أرشيف مكتبة السلطان عبدالحميد الثاني باستانبول ويعود تاريخها إلى سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م . وقد تكون من عمل ضابط عثمان يدعى علي بيه ، والذي كان يعمل فوطوغرافي في الجيش العثماني . وقدم إلى مكة المكرمة في السنة المذكورة لالتقاط لوحات للطريق الواصل بينها وبين المدينة المنورة . ولكلا المدينتين المقدستين . المرجع السابق نفسه ص ١٣ .

أما اللوحة الثالثة رقم ٥٠ فهي من ضمن مجموعة علي بهجت ، ويوجد منها سبعة عشر لوحة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة . وقد كتب أسفل منها أن الذي عملها الأثري المعروف علي بهجت بك . وخلال مهمة تصويرية بالحجاز في شتاء عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م . ولا يوجد في سجلات متحف الفن الاسلامي معلومات عن هذه المهمة وعن بقية لوحات هذه المجموعة إذ لايعقل أن يترتب عن هذه المهمة عمل سبعة عشر لوحة فقط .

واللوحة الرابعة رقم ٥١ ، وهي من ضمن مجموعة أرشيف مؤسسة بن لادن السعودية والتي قامت بأعمال توسعة الحرمين الشريفين . =

المبنى الشرقي ينتهي عند مبنى مجاور ، بعد تجاوز منطقة ارتداد بسيط في جدار المدرسة بمسافة تتراوح فيما بين ٣م إلى ٤ م تقريباً[(١)] [شكل ٤٥] . وبالتالي فإن امتداد المدرسة في هذه الناحية يصل إلى ١٨ م أو ٢٠ م تقريباً . فإذا أخذنا في الاعتبار بأن المبنى كان مستطيل الشكل [(٢)]. فإن ذلك يعني بأن المقاييس السابقة تمثل أبعاد المبنى .

ويتكون المبنى من فناء أوسط مكشوف ، تحيط به الحجرات من جميع الجوانب .

واجهات المدرسة :

للمدرسة واجهتان غربية وجنوبية ، والغربية هي الرئيسة، والجنوبية يلاصق الجزء السفلي منها جدران الحرم .

= ويذكر رئيس قسم التصوير في هذه المؤسسة الاستاذ أحمد رضا أنه عملها في حدود سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م ، قبل البدء بإزالة المباني المحيطة بالحرم الشريف .

واللوحة الخامسة رقم ٥٢ ، هي إحدى لوحات مجموعة صالح حجار وعبدالرحمن دفتردار ، ولا يعرف من عملها وتاريخ ذلك ، ولعل ذلك تم من قبل أحد هواة التصوير ، ومن الواضح أن ذلك تم في العهد السعودي ، حيث يرى صورة السبيل الذي أنشأه الملك سعود بجوار بئر زمزم .

(١) وهذا الارتداد يمكن رؤيته على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ١].

(٢) لا يشير واصف هذه المدرسة د . أسامة الراضي إلى وجود ارتدادات داخل عناصر المبنى المختلفة ، مما يدل على أن أضلاعه كانت تميل إلى الاستقامة وأن المبنى يتخذ شكلاً مستطيلاً بشكل عام .

الواجهة الغربية [الرئيسة] [لوحة ٤٧][1] :

وتطل هذه الواجهة على شارع باب الباسطية [شكل ١] وهي الوحيدة المطلة على شارع من واجهتي المبنى ، ويمكن رؤية علو الجزء الجنوبي منها من خلال لوحتين ، الأولى لوحة مجموعة علي بهجت ، والثانية لوحة أرشيف مؤسسة بن لادن السعودية [لوحة ٥٠ ، ٥١] .

وحسبما يذكر الواصف[2] ، فإن هذه الواجهة تتكون من ثلاثة طوابق ، الأرضي منها يتوسطه المدخل الرئيسي للمبنى ، وفي جانبيها يوجد فتحتي باب صغيرتين ، الشمالية منهما يمكن اعتبارها مدخل جانبي ، وهي تؤدي إلى درج يصعد منه إلى سكن شيخ المدرسة وحاصلها[3] .

أما فتحة الباب الجنوبية ، فإنها تؤدي إلى حجرة صغيرة كانت في الأصل سبيل المدرسة[4] ، وبالتالي فمن المؤكد أن هذا الباب مستحدث ، وكان في موقعه شباك التسبيل ، والذي كان يعلوه مصبعات معدنية ، كما كان عليه الحال في اسبله ذلك العصر[5] . ويعلو فتحة الشباك المذكورة عتب حجري ، أشار

---

(١) تمثل هذه اللوحة رسماً تخيلياً لما كانت عليه واجهة المدرسة الباسطية بعد إنشائها .

(٢) مقابلة مع الدكتور أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢١٦ – ٢١٧ ، ٢٢٥ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢١٢ – ٢١٣ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٤٢٠ .

الواصف[١] إلى أنه يقع فوق الباب الذي انشيء في موضع شباك التسبيل .

وإلى الشمال من السبيل توجد نافذة صغيرة ، كان في موضعها فتحة باب تؤدي إلى الدرج الصاعد إلى الكتاب[٢] ، حيث يقع هذا الدرج في مواجهة النافذة المذكورة ، كما أنه يوجد بجوار النافذة من الداخل مسطبة جلوس[٣] . وقد جرت العادة في العمارة الاسلامية أن توضع هذه المساطب بالقرب من فتحات الأبواب[٤] . وبالتالي فإن من المؤكد أنه كانت توجد في هذا الموضع فتحة باب كمدخل مستقل للكتاب ، إذ أن هناك كتاتيب في العمائر الجركسية يكون له مدخل خاص بها[٥] . ويلي ذلك إلى الشمال مدخل المدرسة الرئيسي .

ويعلو هذا الطابق ، الطابق الثاني ، حيث يوجد في الجزء الجنوبي منه شباكين لحجرة صغيرة تعلو السبيل[٦] ، وهذه الحجرة كانت كتاب المدرسة ، وهما بذلك يمثلان واجهة

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٣) مقابلة د . أسامة الر اضي ص ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الامير كبير قرقماس وملحقاتها ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٥م ، الملحق الوثائقي ص ١٥٩ .

(٥) مختار الكسباني ، جامع الأمير تمراز الأحمدي ، دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٦٨ .

(٦) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الكتاب الغربية ، إذا لا يشترط في العمارة الحجازية أن تكون واجهات الكتاتيب مفتوحة بشرفات[١] ، كما هو الحال في العمارة المصرية[٢] .

ويقع إلى الشمال من واجهة الكتاب خمسة شبابيك تتميز باتساع فتحاتها ، اثنان منها كانا مخصصان لحجرة تقع شمالي الكتاب ، ثم واحدة كانت مخصصة لحجرة تجاور سابقتها ، ويبقى إثنان كانا مخصصان لحجرة ثالثة .

يلي ذلك طابق ثالث يماثل الذي دونه ، ويمكن مشاهدة النافذتان الجنوبيتان منه في لوحة مجموعة علي بهجت [لوحة ٥٠][٣] . وجميع هذه النوافذ تعلوها أعتاب خشبية ومغطاة بمصبعات معدنية ، ولكل منها مصراعين من الخشب[٤] .

ويتوج هذه الواجهة جدران سطح المبنى الذي يتخلله الشابورات[٥] ، حيث يمكن مشاهدة الجنوبية منها في لوحة

---

(١) عن ذلك انظر ص ٤٣٤ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٤٣٢ – ٣٦٣ .

(٣) ويلاحظ في هذه الحال أن وصف د . أسامة الراضي يتطابق مع ما هو موجود في اللوحة من حيث وجود النافذتين .

(٤) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٥) الشابورات : عبارة عن فتحات تشبه النوافذ ، تغشى بمداميك صغيرة من الآجر ، تتخللها فتحات صغيرة يتسرب منها الهواء ، وكانت تلون واجهاتها بزخارف هندسية جميلة . مجدي حريري ، الخارجة ، حل لمشكلة اختفاء الحيز الخارجي الخاص في الاسكان الرأسي المعاصر ، بحث قيد النشر ، ص ٦ .

مؤسسة بن لادن السعودية [لوحة ٥١] .

الواجهة الجنوبية [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢] :

وهذه الواجهة ملاصقة لجدار المسجد الحرام الشمالي ، وتفتح شبابيكها السفلية على أروقته ، كما يشير بذلك النهروالي(١) .
أما الأجزاء العلوية منها فهي التي يمكن مشاهدتها من خلال اللوحات السابقة ، حيث يتضح من خلالها أن هذه الأجزاء تطل على سطح الحرم الشريف وتتكون من طابقين ، الأول له شبابيك ملاصقة لسطح الحرم الشريف يبلغ عددها سبعة شبابيك وذلك بناءًا على أقدم اللوحات المتوفرة ، وهي لوحة محمد صادق باشا [لوحة ٤٨] ولوحة أرشيف مكتبة السلطان عبد الحميد [لوحة ٤٩] ولوحة مجموعة علي بهجت [لوحة ٥٠] (٢).

والشباك الغربي من هذه الشبابيك هو لكتاب المدرسة الذي يقع في هذه الناحية ، وقد سبق وصف واجهته الغربية ، وهو شباك متسع يماثله الشباك الشرقي من هذا الطابق .

أما بقية الشبابيك ، فإنها تُرى في اللوحات السابقة صغيرة نسبياً ، بينما تُرى في لوحة أرشيف مؤسسة بني لادن السعودية أكثر اتساعاً (٣) . مما يشير إلى أن هذه النوافذ قد جرى

---

(١) النهروالي : الأعلام ص ٩٨ .

(٢) وهذا العدد يتوافق مع ما يذكره د . أسامة الراضي في المقابلة التي أجريت معه في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) لا يشير د . أسامة الراضي إلى وجود النوافذ الصغيرة ، وإنما يذكر بأن جميع النوافذ متسعة ومتشابهة في اتساعها ، مقابلة في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

توسعتها في العصر الحديث نتيجة لتعديلات معمارية تعرضت لها الخلاوي التي تقع في هذا الجانب من المبنى[١] .

ويعلو الطابق السابق طابق ثاني يتوسطه خارجة كبيرة[٢] يتخلل جدارها شابورات اختفت زخارفها الهندسية تحت طلاء حديث ، ويكتنف هذه الخارجة شباك لحجرة شرقية وآخران لحجرة غربية ، كما هو واضح من خلال اللوحات القديمة [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠] ، بينما يشير الواصف[٣] إلى وجود شباك شديد الاتساع ، كان يمثل واجهة مبنى يجاور الحجرة الغربية ذات الشباكين ، وهو ما يؤكده لوحتان حديثتان وهما لوحة ارشيف مؤسسة بن لادن [لوحة ٥١] ، ولوحة مجموعة عبدالرحمن دفتردار وصالح حجار [لوحة ٥٢] ، والتي يظهر فيها الجانب الغربي من هذه الواجهة متضمناً الشباك المذكور آنفاً .

وبناء على ما سبق ، فإن كتلة البناء التي يتضمنها هذا الشباك ، تعتبر من الاضافات الحديثة على المبنى الأصلي . لأنها لا تظهر في اللوحات القديمة .

وجميع هذه الشبابيك تعلوها أعتاب خشبية ، كما أن لها مصبعات معدنية ، ويغلق على كل منها مصراعين من الخشب [٤].

ويتوج الحجرتان السابقتان ، جدران السطح التي تتخللها شابورات اختفت زخارفها تحت الطلاء الأبيض .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢١٧ – ٢١٨ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٢١ – ٢٢٢ .

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال / ١٤١٣ هـ .

(٤) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

المدخل [لوحة ٤٧] :

يتوسط المدخل واجهة المبنى الغربية ، وله حجر ضحل نسبياً حيث لا يزيد عمقه عن ٥٠ر٠ م . كما أن ارتفاعه لا يتجاوز ارتفاع الطابق الأرضي من المبنى . وهو بذلك يماثل ما عليه الحال في البيوت الحجازية(١) .

أما عرضه فيصل إلى المترين ، ويكتنفه مصطبتان من الحجر المشهر « أحمر وأصفر » . ويتوسط الحجر فتحة باب بمصراعين من الخشب بكل منهما خوخة صغيرة ، وقد غشي كل ذلك بالزخارف التي لم يستطع الواصف تحديد نوعيتها(٢) ، وإن كان من المؤكد أنها كانت زخارف نباتية وهندسية ، كما جرت به أساليب زخرفة الأبواب في ذلك العصر(٣) .

ويعلو فتحة الباب عتب حجري ، ثم نافذة صغيرة لإضائة الدهليز المؤدي إلى داخل المدرسة .

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ وتتراوح ارتفاعات مداخل هذه البيوت فيما بين ٥ر٢ م - ٤ م . وذلك بناءاً على مقاييس الرسم التي وضعت لواجهات بعض البيوت المكية . انظر كتاب نماذج من مباني مكة التقليدية من اصدار مركز أبحاث الحج ، مكة المكرمة ، ص ٢٨، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٣ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن أساليب زخرفة الأبواب في ذلك العصر ، انظر طه عبدالقادر ، عمارة الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن في القاهرة ، ص١٣٨-١٨٤ .

ويتوج الحجر نهاية مستقيمة[١] ليست معقودة كما كان سائداً في مداخل عمائر ذلك العصر .

الدهليـــز [شكل ٤٥] :

تؤدي فتحة الباب إلى دهليز المدرسة ، ويبلغ عرض هذا الدهليز فيما بين ٢ م – ٣ م ، وطوله فيما بين ٤ – ٥ م ، وعلى يسار الداخل توجد مسطبة .

أما على اليمين ، فتوجد فتحة باب تؤدي إلى دهليز قصير ينفذ منه إلى السبيل والدرج المؤدي إلى الكتاب . يلي ذلك منطقة تخلو من وحدات معمارية باستثناء مرحاض كبير نسبياً كان يمتد إلى درج الكتاب[٢] ، ولعله كان يوجد فيها خلوة للبواب والتي عادة ما توضع في دهليز المدرسة[٣] .

أماعلى الجانب الأيسر فتوجد فتحة باب تؤدي إلى مطبخ المدرسة . وهو مسقف بالكامل بسقف خشبي خالي من الزخارف .

قاعـــة الدرس [شكل ٤٥] :

يوجد في الضلع الجنوبي من المبنى ثلاث حجرات ، تقابل الغربية منها ميضأة المدرسة ، وهي حجرة يرتفع سقفها بارتفاع طوابق المبنى الثلاث ، وكانت واجهتها الجنوبية العلوية تنتهي بنافذة كبيرة جداً سبق الحديث عنها أثناء وصف الواجهة الغربية للمبنى .

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

ويعد رفع سقف هذه الحجرة ، من المظاهر التي استحدثت على المبنى في الآونة الأخيرة ، وذلك عندما جرى تحويله إلى مبنى سكني ، إذ أن الكتلة التي تضم النافذة المذكورة لا تظهر على اللوحات القديمة [لوحة ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧] كما سبق أن وضحنا ، مما يدل على أن ارتفاع سقف هذه الحجرة لم يكن كذلك في البناء الأصلي ، وأنه لم يكن يتجاوز ارتفاع الطابق السفلي الذي تقع فيه الحجرة ، كما هو الحال في حجرتين مجاورتين لها (١) .

ومن الواضح أن وجود الميضأة في مقابلة هذه الحجرات ، دليل على أنها كانت تقوم بوظيفة تعبدية تشمل الصلاة وطلب العلم . مما يجعل من المرجح أن أحدها كانت تستخدم للدرس وعقد حلقات التصوف ، وعلى وجه الخصوص الحجرة الغربية منها ، لأنها تقع في مقابلة الميضأة .

وهذه الحجرات متقاربة في المساحة ، حيث تبلغ أبعاد كل منها ما بين ٥ – ٦ م × ٤ – ٥ م ، وأرضيتها مفروشة ببلاطات حجرية سوداء، ومسقفة ببراطيم خشبية . ولكل منهما نافذتان في الجدار الجنوبي ، تطلان على الرواق الشمالي للحرم . وقد غطيت كل نافذة بمصبعات معدنية ، ويغلق عليها مصراعان خشبيان(٢) .

الصحن [شكل ٤٥] :

يتوسط المدرسة صحن مربع مكشوف ، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ١٠ م ، وشغلت جوانبه الملاصقة لجدران المبنى

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

بمصاطب للجلوس[١] . من الواضح أنها مستحدثة ، وليست من أصل البناء، حيث لم يعرف هذا الأسلوب في عمائر العصر الجركسي . وفرشت أرضية هذا الصحن ببلاطات حجرية سوداء .

ويطل على الصحن من الناحية الجنوبية قاعة الدرس ، وحجرة مجاورة لها ، بينما يطل عليه من الناحية الشرقية فتحة باب تؤدي إلى الدرج الرئيسي للمدرسة ، ومن الناحية الغربية فتحة الباب المؤدي إلى دهليز المدخل[٢] .

مكتب السبيل [لوحة ٤٧] :

يذكر النهروالي أن القاضي عبدالباسط جعل في جانب المدرسة سبيلاً [٣]. ونظراً لأن السبيل لا بد أن يكون مطلاً على واجهة المدرسة ، حتى يتسنى للعابرين التزود من مائه ، فإن هذا السبيل سيكون في واجهة المدرسة الغربية ، لأنها الوحيدة النافذة ، كما سبق أن ذكرنا . فإذا أخذنا في الاعتبار ما ورد عن النهروالي آنفاً من أن هذا السبيل يقع في جانب المدرسة ، فإنه يكون بذلك يشغل أحد طرفي هذه الواجهة ، وهو الطرف الجنوبي لأن الشمالي يوجد به الباب الجانبي للمدرسة . كما أنه يوجد في الطرف الجنوبي من المبنى حجرة صغيرة ·لا تزيد

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٣) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ .

أبعادها عن ٤ م × ٣ م[١] . وكان بها مرافق للتسبيل ، حيث يوجد في جدارها الشمالي حوض كبير للماء ، بالإضافة إلى دخلة في جانبها الشرقي ، إذ يذكر الواصف[٢] بأن هذا الجزء يقل فيه اتساع الحجرة عن أجزائها الأخرى ، مما يشير إلى وجود الدخلة والتي عادة ما يوضع فيها شاذروان[٣] السبيل[٤] .

ولا يوجد ما يشير إلى وجود فتحة صهريج في هذا السبيل من الواضح أنه استعيض عنها بحوض الماء الكبير، بحيث كان يعبأ بين الفينة والأخرى من صهريج المدرسة[٥] .

ويوجد في الجدار الشمالي للسبيل فتحة تفضي إلى داخل المدرسة ، كما أنه يوجد في جدارها الغربي فتحة باب[٦] ، كان في موضعها وقت إنشاء المدرسة شباك للتسبيل ، إذ لا بد أن يكون

---

(١) ويذكر الواصف أن هذه الحجرة كانت في وقته تستخدم كمسكن لجده ، كبير أسرة آل الراضي في ذلك الوقت . مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) الشاذروان عبارة عن دخلة بها لوح رخامي يعرف بالسلسبيل ، يستخدم لتنقية الماء وتبريده ، ومنه يتجه في أقصاب إلى أحواض التسبيل ، عن ذلك انظر ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٤) محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير قرقماس ، ص ٦١٦ .

(٥) عن الصهريج انظر ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٦) من الواضح أن هذا الباب استحدث بعد تحويل المدرسة إلى مبنى سكني بحيث يتسنى لمن يقطن في هذا الجزء من المبنى الوصول إلى الحرم بسهول ويسر ، وقد يكون منشأ لكبير أسرة آل الراضي .

للسبيل شباك يطل على واجهته الوحيدة النافذة ، حيث موضع فتحة الباب ، خاصة وأن السبيل يقع هنا مجاوراً لباب الباسطية [شكل ٤٥] ، فيتسنى للداخلين والخارجين من الحرم الشريف التزود بالماء إذا ما احتاجوا إلى ذلك .

ويذكر الواصف(١) أنه كان لهذه الحجرة [السبيل] شباك آخر مطل على الحرم ، لا شك بأنه مستحدث . إذ لا يختلف في اتساعه عن شبابيك قاعة الدرس ، مما يدل على أنه لم يكن شباكاً للتسبيل(٢) ، والذي يتميز باتساعه عن أنواع الشبابيك الأخرى كما هو متبع في أسبلة ذلك العصر(٣) . بالإضافة إلى أن وجود شباك للتسبيل داخل أروقة الحرم ، قد يترتب عنه انسكاب الماء على الأرضية ، فتصبح غير صالحة للعبادة والجلوس في هذه الناحية(٤) .

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) لعله استحدث لكي يتسنى لقاطن هذا المكان أن يرى أروقة الحرم ، وليوفر له المزيد من الإضائة ، خاصة وأن شباك التسبيل تحول إلى باب مما يمنع دخول الضوء الكافي من هذه الناحية .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤١٩ – ٤٢٠ .

(٤) وإن كان هذا لم يمنع من إنشاء أسبلة داخل الحرم الشريف ، ولكن في مواضع معينة لا يكون لها تأثير كبير ، كما أنه من المرجح أنه قد ألحق بها مصارف للمياه ، ومن الأسبلة التي وضعت في الحرم ، السبيل الذي أنشأه الملك الناصر حسن بن قلاوون سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م ، ويقع في جانب من الحرم ، حيث يقع في زيادة إبراهيم ، الفاسي ، شفاء الغرام ، جـ١/ص ٣٦٤ – ٣٦٥ .

الكتاب :

على الرغم من أن النصوص التاريخية لا تشير إلى وجود كتاب يعلو سبيل المدرسة ، فإن تحليل معلومات الواصف [١] ، تشير إلى وجوده . حيث يذكر بأنه توجد حجرة صغيرة تقع فوق السبيل تماثله في المساحة . وهذا الأسلوب كان متبعاً في عمارة مكاتب السبيل في مدارس ذلك العصر ، فكان يبنى فوق السبيل كتاب يماثله في المساحة[٢] . علاوة على أن من السائد في عمائر العصر الجركسي ذات الأسبلة أن يعلو كلاً منها كتاب لتعليم الأطفال القرآن الكريم [٣] .

وكان يوجد بجوار السبيل درج يصعد منه إلى حجرة الكتاب[٤] ، وتقابله مصطبة ، مما يدل معه على أنه كان يوجد لهذا الكتاب مدخل خاص به كما سبق أن وضحنا .

ويوجد بداخل حجرة الكتاب ثلاث دخلات ، اثنتان غربيتان ، وواحدة جنوبية ، وبكل منها شباك مغشى بمصبعات معدنية وعليه مصراعين من الخشب ، أما أرضيتهما فمفروشة ببلاطات حجرية سوداء ، وسقفها يتكون من براطيم خشبية خالية من

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٤٢٩ .

(٣) محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دراسة تاريخية وثائقية ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠–١٥١٧ م ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م القاهرة ص ٢٦٢ .

(٤) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الزخرفـــة[١] .

كذلك كان يوجد بجوار الدرج في الطابق الأرض من المبنى مرحاض من الواضح أنه كان مخصصاً للأطفال الذين يتعلمون في هذاالكتاب[٢] .

وحدات الإسـكان :

كانت وحدات الإسكان في المدارس تقوم باستيعاب فئات مختلفة من الأفراد الذين لهم حق الاستفادة من هذه الوحدات . ومن أبرز هؤلاء شيخ المدرسة ، والطلبة وبعض الفئات الأخرى [٣].

ويمكن القول من خلال متابعة النصوص التاريخية بأن هناك ثلاثة أنواع للمساكن في هذه المنشأة ؛ أولها سكن شيخ المدرسة ، حيث من الثابت أن أحد بن على اليمني ، وهو أحد شيوخها ، كان يقطن بها[٤] . مما يدل على أن بها مثل هذا النوع من الوحدات ، وهو ما يتضح من خلال متابعة وصف المدرسة ، حيث يرد الإشارة إلى أنه يوجد في الطابق الثاني من الضلع الغربي وحدة للإسكان تتميز باستقلاليتها عن بقية أجزاء المبنى ، فكانت فتحة الباب التي تقع في الطرف الشمالي للواجهة الغربية ، تؤدي إلى درج يصعد منه إلى هذه الوحدة . مما يجعلها مناسبة لسكنى

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤٤٣ – ٤٥٢ .

(٤) ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص ٦٨ ، السخاوي ، الضوء اللامع جـ٢/ ص ٢٨–٢٩ .

شـيخ المدرسة [١] .

وتتكون هذه الوحدة من حجرتين متساويتين في الأبعاد تبلغ لكل منهما ما بين ٤ – ٥ م × ٣ – ٤ م . ويتوسطها حجرة مساحتها أقل من السابقتين ، تبلغ أبعادها ٥ر١ – ٢ م × ٣ م . من الواضح أنها كانت تستخدم كمطبخ لسكنى الشيخ ، الذي زود بدورة مياه تتكون من مرحاضين يقعان بالقرب من الدرج[٢] .

وثاني نوع من المساكن ؛ هو مساكن الطلبة التي كانت تتكون من وحدات صغيرة ، كما يشير بذلك النهروالي[٣] ، حيث ذكر بأنه يوجد في هذه المدرسة عدد من الخلاوي لسكنى طلبتها . ولفظ الخلاوي يطلق في غالب الأحوال على حجرات تتميز بصغر مساحتها[٤] .

ويتأكد هذا الأمر من خلال الأوصاف المتوفرة عن المدرسة ، حيث يلاحظ أنه يتقدم الحجرات الكبيرة في الطوابق العلوية من الضلعين الشمالي والجنوبي ، حجرات صغيرة تؤدي إليها ، تستخدم كمنافذ لها [٥] ، مما يشير إلى أن هذه الأمكنة قد شهدت بعض التعديلات . نظراً لتحول المبنى إلى مسكن في العصر

---

(١) كان لبعض شيوخ مدارس العصر الجركسي وحدات للإسكان تتميز باستقلالها عن بقية أجزاء المبنى ولها مدخل خاص بها ، عن ذلك انظر ص ٤٤٤ – ٤٤٥ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٤٤٦ – ٤٤٧ .

(٥) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الحديث ، فوسعت بعض الخلاوي الصغيرة حتى التصقت بمثيلاتها التي تشاركها المكان ، فاستخدمت الأخيرة كمنافذ للأولى(١) .

ويؤكد ذلك ، أنه يظهر من خلال اللوحات القديمة المتوفرة عن هذه المدرسة [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠] وجود خمسة شبابيك صغيرة تتوسط الواجهة الغربية وهذه الشبابيك تصبح كبيرة الحجم في الصور الحديثة ، والتي التقطت قبل البدء في تنفيذ مشروع التوسعة السعودية للحرم الشريف [لوحة ٥١ ، ٥٢] . مما يدل على حدوث التعديلات المذكورة آنفاً داخل المبنى في هذا الجانب ، وعليه يكون الحال في الجانب المقابل له نتيجة لتشابههما في التكوين المعماري ، كما سبق أن شاهدنا .

إن وجود الشبابيك الخمسة الصغيرة يدل على أن هناك خمسة خلاوي على أساس أن لكل خلوة شباك خاص بها(٢) .

وبطبيعة الحال كان يقابل كل خلوة من تلك أخرى مماثلة لها في نفس الضلع ، وتطل هذه الأخيرة على الصحن ، وهي الخلاوي التي كانت تنفذ إلى الحجرات الكبيرة كما يذكر الواصف . وبذلك يكون لدينا في الضلع الجنوبي عشرة خلاوي ، بينما يوجد في الضلع الشمالي من المبنى عشرون خلوة ، موزعة بالتساوي على الطابقين الثاني والثالث ، لتطابق تكوينهما المعماري مع

---

(١) لم يستطع الواصف أن يحدد عدد هذه الخلاوي الصغيرة . مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) هذه الخلاوي هي التي جرت توسعتها بناءا لما ذكره الواصف .

الضلع الجنوبي[١] .

والراجح أن هذه الخلاوي كانت متساوية في مساحتها ، فبناءًا على ما شوهد منها فإن أبعاده لا تتجاوز في أبعد التقديرات ٢ م × ٢م ، ومسقفة ببراطيم خشبية ، ومفروشة ببلاطات حجرية سوداء[٢] .

أما النوع الثالث من وحدات الاسكان في هذه المدرسة ، فهي المخصصة لنزول الأعيان الواردين إلى مكة المكرمة من الأمراء وغيرهم ، إذ تذكر المصادر أنه نزل بها في سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤١م الأمير تمراز[٣] مباشر[٤] جدة في ذلك

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .
ويلاحظ أن الخلاوي الشمالية من هذه المجموعة تكون بدون شبابيك « حبيس » وذلك يشير إلى أن الحجرات التي حلت محلها كانت لها شبابيك تستمد الإضاءة منها دون أن يتمكن الواصف من تحديد مصدر هذه الإضاءة ومواضع الشبابيك ، لأن هذا الجزء من المبنى لم يكن يستخدم بكثرة من قبل ساكني المبنى . والراجح أنه كان يوجد فيه مناور ، إستفادت منها هذه الحجرات مع العلم أننا نشاهد في العمائر الجركسية خلاوي حبيس كانت تستخدم كوحدات للاسكان ، وهو ما نشاهده في مدرسة فرج بن برقوق بالصحراء ، عن ذلك انظر ص ٩٦-٩٧.

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) هو تمراز البكتمري وقيل الابوبكري المؤذى ، المعروف بتمراز المصارع ، كان من جملة الخدام ، ثم أخذ بالترقي حتى صار نائباً على مدينة القدس ، وعمل شاداً لبندر جدة أكثر من مرة ، فقام في آخر أمره بسرقة أموال المكوس منها وهرب إلى اليمن حيث قبض عليه وقتل هناك سنة ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠م . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٣/ ص ٣٥ – ٣٦ .

(٤) يقصد بالمباشر الذي يقوم بإدارة عمل ما والاشراف على تنفيذه ، =

الوقـــت[١] . وكان ينزل بها أيضاً بعض أعيان الحجاج[٢] .

وبالنظر إلى الأوصاف المذكورة عن المبنى ، فقد استغلت عدة مواضع لهذه الغاية ، تتميز باتساع حجراتها ، بما يليق بنزول الأمراء والأعيان ، فكان هناك في الضلع الشرقي ست حجرات موزعة بالتساوي على الطابقين الثاني والثالث . اثنتان منها تطل على الواجهة الجنوبية بحيث تعلو إحداهما الأخرى ، ولكل منهما شباك واسع يقع ضمن دخلة تماثله في الاتساع وتبلغ أبعاد كلاً من الحجرتين في حدود ٦ م × ٤ م ، وأرضيتهما وأسقفهما مماثلة في عمارتها لما هو متبع في الخلاوي الأخرى .

وإلى الشمال من الحجرتين السابقتين ، كان يوجد في كل طابق حجرتان أخريتان أبعاد كل واحدة منها تصل إلى ٥ م × ٤ م . وزود كل طابق بدورة مياه تتكون من مرحاضين ، لم يستطع الواصف أن يقدم تحديداً دقيقاً لموقعهما ، باستثناء القول بأنهما يقعان في الجانب الشمالي لكل طابق ويطلان مباشرة على الدهليز المؤدي إلى هذه الأماكن [٣].

وكان يوجد في الطابق الثالث من الضلع الغربي أربع حجرات يظهر أنها كانت تقوم بنفس الغرض . وتبلغ أبعاد

= وقد يطلق اللفظ على موظفي الدواوين ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ٣/ ص ٩٨٢ - ٩٨٣ .

(١) ابن فهد ، اتحاف الورى ، جـ٤/ص ١٨٧ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ، ص ٩٨ ، ابن الصباغ ، تحصيل المرام ، لوحة ١٥٥.

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الجنوبية منها ما يقارب ٦ م × ٤ م ، ولها أربعة شبابيك بنفس الطراز المتبع في الأجزاء السابقة . اثنان منها جنوبيان ، ويطلان على الحرم ، والآخران غربيان يطلان على واجهة المدرسة الرئيسة .

أما بقية الحجرات فتصل أبعاد كل منها إلى ٥ م × ٤ م ، ولكل منها شباكان يطلان على الواجهة الغربية للمبنى بنفس الطراز المتبع ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للتسقيف والأرضيات(١) .

ويتضح من خلال العرض السابق ، أن منشيء المدرسة خصص عشر حجرات لنزول الأعيان . وهذا ما تقتضيه حاجات مثل هؤلاء ، لكثرة ما يتبعهم من أفراد وأثاث ومستلزمات أخرى مما يستوجب أن توفر لهم مساحات كافية في المبنى لاستيعابهم وكان يتوصل لجميع هذه الخلاوي عن طريق درج يتميز باتساعه كما يشير بذلك الواصف ، والذي يذكر بأن هذا الاتساع قد يصل إلى ٤ م تقريباً(٢) .

الخارجـــة (٣) :

زودت المدرسة بخارجة كبيرة كانت تقع في الضلع الجنوبي

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسام الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) يطلق اللفظ على مساحة تشتق من الأسطح ، كان يستخدمها سكان مكة المكرمة في ليالي الصيف ، وكان يوجد بها حجرات صغيرة تعرف بالمبيتات توضع فيها لوازم النوم ، انظر ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

من المبنى ، ويمكن رؤيتها في جميع اللوحات المتوفرة عن المبنى [لوحة ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١] ، إذ يكتنفها الحجرتان اللتان تشغلان الجانب الشرقي والغربي من الطابق الثالث في هذا الضلع . وتبلغ أبعاد هذه الخارجة فيما بين ٨ - ١٢ م × ٤ م[١] . ولها شابورات عدة تطل على الحرم وسطحه ، كما كان يقع في الجانب الخلفي منها ثلاثة أو أربعة مبيتات[٢] .

وهذه هي الخارجة الوحيدة التي كانت زمن الواصف ، في حين أن من المؤكد أن المبنى كان مزوداً بأكثر من خارجة ، وذلك لتنوع ساكني المبنى . وهو ما يؤكده الشابورات التي تتخلل جدران سطح المبنى[٣] ، مما يجعله مؤهلاً للاستخدام حين النوم ، علاوة على أنه من المحتمل أنه كان يوجد به مبيتات ، أزيلت عندما تحول المبنى إلى مسكن ، لتخفيف الثقل عن الأجزاء السفلية منه . ويمكن القول بناء على ذلك أنه كان يوجد بالمبنى خارجة لمبيت شيخ المدرسة ، وآخريات لمن ينزل بالمدرسة من الأعيان ولاستخدامها في المبيت إذا ما جاء الحج في فصل الصيف .

---

(١) يذكر د . أسامة الراضي ، أن طولها يصل إلى ٨ م أو أقل من ذلك بقليل ، هذا مع العلم أن جزءاً منها قد اقتطع نتيجة لرفع سقف إحدى الغرف إلى مستوى الطابق الثالث كما سبق أن ذكرنا . وبالتالي فإن إضافة الامتداد الذي اقتطعته هذه الغرفة ، يجعل من الممكن أن يصل طولها إلى ١٢ م .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .
وعن معنى المبيت انظر هامش ٣ في الصفحة السابقة .

(٣) مقابلة مع د . أسامة الراضي ، في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

علاوة على تلك المخصصة للطلبة .

المطبــــخ [شكل ٤٥] :

زودت المدرسة بمطبخ كبير يقع على يسار دهليز المدخل ، كان يتكون في زمن الواصف من قسمين أولهما عبارة عن حجرة صغيرة لها نافذة شديدة الاتساع تطل على الفناء . ثم القسم الثاني وهو عبارة عن حجرة كبيرة،يذكر الواصف أنه كان به بقايا مواقد كبيرة الحجم ، ولم تكن هذه الحجرة مستخدمة حينئذ ، وإنما كانت الحجرة الصغيرة هي المستخدمة فقط[١] .

والراجح أن المطبخ كان وقت إنشاء المبنى يتكون من كتلة واحدة ، نظراً لأن مثل هذه الوحدات ، كانت تتطلب مقداراً كبيراً من التهوية ، وهو ما حرص المعمار على توفيره من خلال النافذة المتسعة سابقة الذكر والتي لا يوجد غيرها في هذا المكان ، وبالتالي فلا بد أن الحجرة الصغيرة لم تكن موجودة . وأن هذه النافذة كانت تطل مباشرة على حجرة المواقد حتى توفر لها ما تحتاجه من إضاءة وتهوية .

حجرة الصهريج [شكل ٤٥] :

زودت المدرسة بصهريج كبير[٢] يقع أسفل الجزء الجنوبي الشرقي من المبنى[٣] . لأن استخراج الماء منه كان يتم من فتحة

---

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) يذكر الواصف أن الدلو كان يستغرق في نزوله بعض الوقت حتى يصل إلى الماء . مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) من المعروف أن مكة المكرمة تتكون من وادي تحيط به الجبـــال ، =

تقع في حجرة موجودة في هذا الجانب من المبنى . وكان يعلو هذه الفتحة البكرة وحواملها والدلوا . وكان يتم استخراج الماء عن طريقها[١] ، ليعاد توزيعها بعد ذلك على بقية أجزاء المبنى ، ومنها كان يعبأ الحوض الكبير الذي في السبيل .

أما عن طريقة تزويد هذا الصهريج بالماء ، فكان يتم عن طريق تجميع مياه الأمطار التي تنزل على سطح الحرم في الناحية المقابلة للمدرسة ، فيتم استقبالها من خلال فتحات على السطح تشبه فتحات الميازيب ، تتصل بأقصاب مغيبة في الجدران تنتهي إلى الصهريج لتصب فيه الماء[٢] .

الميضأة [شكل ٤٥] :

زودت المدرسة بميضأة كانت تقع في الضلع الجنوبي من الطابق الأرضي [الأول] للمبنى ، قبالة قاعة الصلاة والدرس .

وإلى الخلف منها كان يوجد صحن المدرسة .

وكان يوجد بهذه الميضأة دورة مياه ، تتكون من ثلاث أو أربعة مراحيض . وإلى الشرق منها يوجد حوض مستطيل الشكل تصب فيه مجموعة بزابيز للوضوء[١] .

= و بالنظر لموقع المدرسة شمالي الحرم ، فهي تكون بذلك واقعة على أطراف جبل قعيقعان . الأمر الذي فرض على المعمار أن يحفر الصهريج في هذا الجانب من المبنى لأنه على ما يبدو الأكثر سهولة في الحفر من الجوانب الأخرى من المبنى .

(١) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) مقابلة مع د . أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الحاصل [شكل ٤٥] :

ويقع في الضلع الشمالي الدور الأرضي [الأول] للمبنى ويشغل جزءاً من ضلعه الشرقي ، وهو بذلك يحتل مساحة كبيرة من الدور المذكور(١) .

ويتضح من العرض السابق ، للمبنى أنه يخلو من العناصر المعمارية والزخرفية المميزة ، حيث روعي فيه البساطة في التنفيذ ، وهذا الأسلوب الذي كان يغلب على العمارة الحجازية إجمالاً . إذ لم تستخدم الأواوين بكثرة في عمائرها المختلفة ، كما أن استخدام الحليات المعمارية والزخرفية كان قاصراً على مساكن الأمراء والأثرياء فقط (٢) .

---

(١) مقابلة مع د. أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع د. أسامة الراضي في ٢٢ شوال ١٤١٣هـ .

الفصل الثاني

المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة

« ٨٤١-٨٤٢ هـ/١٤٣٧-١٤٣٨ م »

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة القاضي عبدالباسط بن خليل [١] .

إنشاء المدرسة :

عندما يتحدث السخاوي[٢] عن الشيخ علي بن إبراهيم الحسيني العجمي[٣] ، يذكر بأن القاضي عبد الباسط لم ينشيء مدرسته التي في المدينة المنورة إلا من أجل هذا الشيخ .

بيد أن من المؤكد أن هناك أسباب أخرى ، أبرزها حرص المماليك الجراكسة على أن يكون لهم اهتمام ورعاية بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كجزء من اهتمامهم العام بالحجاز [٤] .

فكان لهم فيها أعمال عديدة ، أبرزها عمارة وتجديد المسجد النبوي الشريف[٥] ، وإنشاء المدارس وغير ذلك من

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٥ / ص ١٥٩ ، السمهودي ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، جـ ٢ / ص ٧٢٢ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٥ /ص ١٥٩ .

(٣) هو علي بن إبراهيم بن محمد السيد الحسيني ، ولد ونشأ في فارس ، ثم ارتحل طالباً للعلم حتى استقر به المقام في المدينة المنورة ، معلماً ومدرساً ، حتى توفي سنة ٨٦٠ هـ / ١٤٥٥ م أو سنة ٨٦٢ هـ / ١٤٥٧ م . المصدر السابق جـ ٥ / ص ١٥٨ – ١٥٩ .

(٤) عن ذلك انظر ص ١٦٤ – ١٦٨ .

(٥) صالح لمعي ، المدينة المنورة ، تطورها العمراني وتراثها المعماري ، ١٩٨١م . بيروت ، ص ٨١ – ٨٨ . محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٢٨٤ – ٤٠٩ .

المرافق الأخرى[١] .

بالإضافة إلى أنه درج بعض من أنشأ المدارس في الحجاز من ملوك وأمراء ، على إنشاء مدرسة في كلا المدينتين ، مثل الملك غياث الدين[٢] ، ملك البنغال ، الذي أمر في سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠ م بإنشاء مدرستين « ... مدرسة بمكة ، ومدرسة بالمدينة ، وشراء عقار يوقف عليهما ... »[٣] ، ومن هنا ، فلا بد أن القاضي عبد الباسط قد تأثر بمثل هذه الأعمال فعمل على اتباعها .

ولا تقدم المصادر معلومات وافية عن هذه المدرسة وتاريخ انشائها ، فقد أشار إليها السمهودي إشارة عارضة أثناء تحديده لبعض الدور القديمة في المدينة المنورة ، فذكر بأنه يقابلها دار أخرى هي « .. اليوم المدرسة الباسطية التي أنشأها القاضي عبد الباسط سنة بضع وأربعين وثمانمائة ... »[٤] . وهو بذلك ينص على أن المدرسة أنشئت بعد سنة ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦م ، بينما يذكر أحد الباحثين أن المدرسة أنشئت سنة ٨٥٣ هـ/ ١٤٤٩ م ، دون أن يقدم ما يثبت ذلك من المصادر أو غيرها [٥].

والراجح أنها قد أنشئت في تاريخ لا يتجاوز سنة ٨٤٢ هـ/

---

(١) صالح لمعي ، المدينة المنورة ص ١٧ .

(٢) هو الملك غياث الدين ، أبو المظفر اسكندر شاه ، كان ملكاً جليلاً ، محباً للعلم وعمل الخير له أوقاف وصدقات بالحرمين الشريفين ، توفي سنة ٨١٤ هـ/ ١٤١١ م . الفاسي ، العقد الثمين جـ٣ / ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه جـ٣ / ص ٣٢٠ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٢ / ص ٧٢٢ .

(٥) سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي عبد الباسط ، ص ٩٩ .

١٤٣٨م ، وهي السنة التي عزل فيها القاضي عبد الباسط وصودر كما مرَّ معنا(١) .

أي أن تاريخ إنشاء هذه المدرسة كان فيما بين عامي ٨٤١ - ٨٤٢ هـ / ٣٧ - ١٤٣٨م ، ولعله ابتدأ في تنفيذ المشروع سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م وانتهى منه في السنة التي بعدها ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م ، أي أنه استغرق سنة كاملة تقريباً ، وهي فترة زمنية تقارب الفترة التي استغرقها بناء باسطية مكة المكرمة (٢).

ومن المؤكد أن المدرسة كانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعي ، إذ ولي مشيختها علماء شافعية المذهب ، مثل الشيخ علي بن إبراهيم الحسيني(٣) ، المذكور آنفاً . كما وليها من بعده أحد علماء الشافعية في المدينة المنورة ، وهو إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن المدني الشافعي(٤) .

كذلك فمن المؤكد أنها كانت تقوم بوظيفة الخانقاه ، وبها مكتب سبيل مثلما اتبع في المدرسة الباسطية في مكة المكرمة(١).

---

(١) عن ذلك انظر ص ١٩٣ .

(٢) عن ذلك انظر ص ١٩٥ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٥ / ص ١٥٩ .

(٤) المصدر السابق نفسه جـ ١ / ص ١٤٩ . وهو إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن صالح المدني . ولد في المدينة المنورة ، وبها نشأ وتعلم ورحل مراراً في طلب العلم ، وولي مشيخة الباسطية بالمدينة المنورة علاوة على الإمامة والخطابة في المسجد النبوي الشريف . المصدر نفسه جـ ١ / ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٥) عن ذلك انظر ص ١٩٧ .

ولا تتوفر أي معطيات عن عدد طلبة هذه المدرسة وأوقافها ، والتي قد تكون في مصر ، كما هو الحال بالنسبة لباسطية مكة المكرمة .

ويتضح من خلال تحديد الموقع الذي تشغله المدرسة أن الأمر آل بها بعد ذلك لأن تستغل لأغراض متعددة ، كما هو موضح أثناء الوصف المعماري للمبنى .

موقع المدرسة [شكل ٦] [١]:

كانت المدرسة تقع بالقرب من الحرم النبوي الشريف[٢] بإزاء باب السلام في مواجهة مدرسة قايتباي[٣] ، حيث يذكر السمهودي[٤] أن هذه المدرسة أنشئت في موضع دار تقع في مقابلة مشتريات السلطان . وهو يقصد بذلك الموقع الذي أنشئت عليه مدرسة السلطان قايتباي ، إذ كان يتضمن دوراً اشتريت لإنشاء

---

(١) هذاالشكل يوضح موقع المدرسة بالنسبة للمسجد النبوي الشريف . وهو مشتق من خارطة هيئة المساحة المصرية والمنشورة عام ١٣٧١هـ / ١٩٥٢ م تحت رقم ٥١/٤٣٣ .

(٢) من الواضح أن المدارس قد ارتكزت بشكل أساسي حول الحرم النبوي الشريف ، حيث يشير السخاوي إلى مجموعة من المدارس المنشأة في عصور مختلفة ، كانت تقع بالقرب منه ضمن النطاق العمراني المحيط به . السخاوي ، التحفة اللطيفة ، جـ١ / ص ٦٠ .

(٣) هذه المدرسة من إنشاء السلطان قايتباي وقد كملت عمارتها سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢ م ، وكانت ملاصقة للحرم الشريف ، إبن إياس،بدائع الزهور ، جـ٣ / ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٢ / ص ٧٢٢ .

المدرسة المذكورة في موضعها[١] .

فإذا أخذنا في الاعتبار أنه قد أنشأ في موضع مدرسة قايتباي ، المدرسة المحمودية[٢] ، والتي تقع على يمين الخارج من باب السلام ، كما هو مثبت على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] ، فيكون بذلك موقع المدرسة الباسطية في المنطقة المقابلة للمدرسة السابقة . ولكن ليس في المنطقة الملاصقة للحرم على يسار الخارج من باب السلام ، نظراً لوجود ميضأة كانت تقع في هذا الموضع كما يشير بذلك السمهودي[٣] .

وبالتالي فإن المدرسة الباسطية تقع ضمن كتلة المباني التي في مقابلة المدرسة المحمودية من الناحية الجنوبية ، ويقابلها أيضاً ميضأة باب السلام من الناحية الشرقية [شكل ٦] .

وهو ما يؤكده بعض من شاهد المنطقة قبل أن تزال في مشروع التوسعة السعودية الأولى للحرم النبوي الشريف في سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، حيث أشاروا إلى أنه كان يوجد في الركن الغربي لتقاطع الطريق المؤدي إلى باب السلام مع زقاق الخياطين ، مبنى

---

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ / ص ١٤٥ .

(٢) وهذه المدرسة من إنشاء السلطان العثماني محمود خان ، سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م . وقد أنشئت في موضع مدرسة قايتباي بعد هدمها . انظر وثيقة رقم ٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الأول عام ١٢٣٧ هـ ، في محفظة ٨ بحر برا ووثيقة رقم ٥٠ في ٢٥ ربيع الأول ١٢٤١هـ محفظة ١٠ بحر برا بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٢ / ص ٧٢١ .

يعرف بالباسطية [١] ، من الواضح أنه يشير إلى مبنى المدرسة لأن هذا الموقع يتطابق مع التحديد المستنبط من النصوص التاريخية والمذكورة آنفاً .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار ، ٣٠ شوال ١٤١٣هـ . ولقد أكد لي ذلك أحد أبناء الشيخ محمد ولي الدين ، والذي كان يقطن في جزء من المبنى ، بيد أنه للأسف الشديد لم يتسن لي الاستفادة مما لديه من معلومات لظروف خاصة به ، رغم محاولات الطالب ولأكثر من مرة الاستفادة مما لديه من معلومات أو وثائق .

أما بالنسبة للأستاذ عبدالرحمن دفتردار ، فهو عبدالرحمن محمد محمد سعيد دفتردار ، من أسرة مدنية تولت الإمامة والخطابة بالحرم النبوي الشريف ، ولد عام ١٣٥٩هـ ، وتلقى تعليمه الأولي في المدينة المنورة ، والجامعي في جامعة الملك سعود بكلية العلوم ، تقلب في الوظائف الحكومية المرتبطة بالصناعة البتروكيميائية ، ثم ترأس بعد ذلك مؤسسة الأدلاء بالمدينة المنورة لمدة ثماني سنوات ، وهو حالياً عضو في مجلس إمارة منطقة المدينة المنورة ، له ميول أدبية وتاريخية ، وبخاصة فيما يتعلق بالمدينة المنورة .

الوصف المعماري للمدرسة

التخطيط [شكل ٤٦][1] :

يتضح من خلال تحديد الواصف للموضع الذي عرف بالباسطية في العصر الحديث ، بأنه عبارة عن حجرتين من طابقين متساويتين في الأبعاد تبلغ لكل منهما ٥ر٥م × ٥ م ، ويتبع كلا الحجرتين بعض الملاحق البسيطة ، كالمطبخ وما شابه ذلك[2] .

والكتلة السابقة صغيرة قياساً بما ينبغي أن تكون عليه مساحة المدرسة ، كما هي معروفة في العمارة الاسلامية .

ويتضح من خلال بعضاللوحات المتوفرة عن المبنى [لوحة ٥٤ ، ٥٥][3] ، إنه كان يجاوره كتلة معمارية ذات واجهة تشابه

---

(١) هذا الشكل مستنبط من الوصف المعماري للمبنى مطبقاً على خارطة هيئة المساحة المصرية .

(٢) وكانت الحجرة السفلية تستخدم كمركز للشرطة بينما استخدمت الحجرة العلوية كسكن لأحد المعلمين في المدينة المنورة ، وهو الشيخ محمد ولي الدين . ويذكر الأستاذ عبدالرحمن دفتردار أنه كان يحضر عند الشيخ في منزله هذا لتعلم النحو والصرف .
مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) هاتين اللوحتين عملتا قبل التوسعة السعودية الأولى للحرم النبوي الشريف من قبل أحد هواة التصوير ، ويدعى عبدالله كراتشي ، ثم انتقلتا إلى ملك الأستاذين صالح حجار ، وعبدالرحمن دفتردار ، وهما محفوظتان ضمن مجموعتهما الخاصة ، ولا يوجد تاريخ محدد لها .

واجهات بعض المدارس المملوكية ، من حيث احتوائها على شبابيك سفلية مستطيلة وأخرى علوية معقودة « شمسيات وقمريات »(١).

كذلك يتضح من تحليل المسقط الأفقي للمبنى والكتلة المعمارية المجاورة بأن هناك دهليز داخلي [شكل ٦] ، كان يصل بين الكتلتين ولكنه ينتهي بنهاية مسدودة تفصل بينهما . من المؤكد أنها عملت في عصور حديثة بعد تقسيم المبنى لاستغلاله لأغراض مختلفة كما سبق أن ذكرنا .

ويذكر الواصف أنه كان يوجد بالقرب من تلك الكتلة المعمارية فناء يضمه مبنى يعرف بالوكالة ، واستخدم قبل إزالته كمقهى .

ونظراً لأن مدخل الفناء يجاور الواجهة المملوكية سابقة الذكر ، فإن ذلك يدل على أنهما يقعان ضمن كتلة واحدة . وهو الانطباع الذي يعطيه النظر إلى اللوحتين السابقتين ، حيث يظهر من خلالهما أن المدخل وما يجاوره من كتلة معمارية عبارة عن واجهة لمبنى واحد [لوحة ٥٤ ، ٥٥] قسمت أجزائه تحت تأثير التغيرات الخطية التي عادة ما تحدث في المدن

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٢) مقابلة مع عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

الإسلامية(١) ، والتي أدت إلى أن يتحول مبنى المدرسة إلى مجموعة مباني ، لكل منها وظيفة معينة ، كما سبق أن تبين معنا .

وبالنظر إلى موقع الفناء والمدخل المؤدي إليه [شكل ٦] يلاحظ بأنهما يتوسطان كتلة المباني الممتدة من زقاق الخياطين إلى زقاق سقيفة الرصاص ، مما يدل على أن المدرسة كانت تشغل هذه المنطقة بأكملها أو معظمها على أقل تقدير ، فإذا كان الأمر كذلك فإن امتداد المدرسة في هذا الجانب يصل إلى ٢٥ م تقريباً ، وهذا هو عرض المدرسة . أما طولها فإنه من الصعب تقديم تحديد دقيق له ، وإن كان من المؤكد أنه يتجاوز الامتداد الجنوبي للفناء بمسافة بسيطة ، أي أنه قد يصل إلى ٢٨ م ، لأن امتداد المدرسة من ضلعها الشمالي إلى نهاية الفناء الجنوبية يصل إلى ٢٤٫٨ م .

وبما أنه قد جرت العادة في العمارة الاسلامية أن تكون جميع جوانب الفناء مشغولة بعناصر معمارية تتبع المنشأة نفسها، فإن ذلك يدل على أن المدرسة كانت تمتد من هذه الناحية بضعة أمتار تكفي لاستيعاب صف من الخلاوي على أقل تقدير[شكل٤٦].

---

(١) كثيراً ما تتعرض المباني في المدينة الاسلامية إلى التقسيم ، فيصبح بعضها كتلة معمارية مستقلة ، والبعض الآخر يضم إلى مبنى مجاور . ثم يحدث بعد ذلك أن تفصل هذا الأجزاء للضم لمبنى آخر ، أو لتتحول إلى مبنى مستقل بذاته وهكذا . وهذا ما عرف بالتغيرات الخطية في المدن الاسلامية . جميل عبدالقادر أكبر ، عمارة الأرض في الاسلام ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م ، جدة ، ص ٣٢١ – ٣٢٩ .

وبذلك يتضح تكوين المبنى ، بحيث يتكون من فناء مكشوف وتحيط به وحدات المدرسة المختلفة ، وإن كان يلاحظ أن قاعة الدرس لا تطل على هذا الصحن(١) .

الواجهات :

إن تحديد موقع المبنى بناءاً على المعطيات السابقة يشير إلى أن المبنى له ثلاث واجهات وهي كالتالي :

أولاً - الواجهة الشمالية [الرئيسة] [لوحة ٥٣] (٢):

تطل هذه الواجهة على شارع باب السلام ، ويتوسطها مدخل المدرسة الرئيسي . ويبلغ طول هذه الواجهة ٢٥ م تقريباً . ويمكن رؤية الجانب الشمالي منها من خلال اللوحات المتوفرة عنها(٣) ، والتي يلاحظ من خلالها أن الركن الشرقي من المبنى كان يتكون من طابقين بينما تزيد عن ذلك بقية أجزاء الواجهة ، التي

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

(٢) تمثل هذه اللوحة رسم تخيلي لواجهة المدرسة وقت إنشائها .

(٣) ويتوفر للواجهة صورة كاملة ملونة . ولكنها حديثة حيث يتضح من خلالها أنه قد أجريت على المبنى تغيرات أساسية أفقدته معظم معالمه ، ولذلك لا يمكن الاعتماد عليها . وهذه اللوحة موجودة ضمن مجموعة الاستاذ أحمد مرشد ، ونشرت في كتيب معرض الفن التشكيلي والصور الفتوغرافية . والذي أصدر بمناسبة مهرجان مدرسة طيبة الثانوية الذهبي . والذي أقيم في شهر ذي القعدة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م . بالمدينة المنورة .

تتعدد طوابقها مكونة بذلك ربع كان يعلو هذه الوكالة[١] . مما يشير إلى أنه بناء استحدث على المبنى عندما حول الفناء وما يحيط به إلى وكالة تجارية .

وبذلك فإن من المؤكد أن واجهة المبنى الأصلية لم تكن تزيد عن طابقين ، كما هو حال الجزء الشرقي منها والذي ظل حتى العصر الحديث يعرف بالباسطية ، معبراً عن التكوين الأساسي للمبنى .

ويتكون الطابق السفلي من هذا الجزء من دخلة ضحلة معقودة بعقد مدبب يتوسطها شباك متسع مغشى بمصبعات معدنية ، يماثل في شكله شبابيك التسبيل في العمائر الجركسية في مصر ، مثل مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق [لوحة ١ . ٦] ومدرسة برسباي [لوحة ٣٦] ومدرسة قايتباي بالصحراء [لوحة ٥٨ ، ٥٩] . ولكن هذه الشبابيك لم توضع ضمن دخلات ، كما هو حال شبابيك التسبيل في هذه المدرسة ، إذ أن وضع هذه الشبابيك ضمن دخلات لم يكن شائعاً في عمائر العصر الجركسي ، ولا يشاهد سوى في مثال واحد ، هو أحد شبابيك سبيل المارستان المؤيدي[٢] [٨٢١-٨٢٣هـ/١٤١٨-١٤٢٠م] [لوحة ١٢٠] . ويعد هذا الشباك أحد شباكي سبيل المدرسة[٣] . ويعلو السبيل واجهة

---

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣ هـ .

(٢) وهذا المارستان من إنشاء السلطان المؤيد شيخ . المقريزي ، الخطط جـ٢/ ص ٤٠٨ . ابن حجر العسقلاني ، أنباء الغمر جـ١/ ص ٥٢ . أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ١٩٨١ ، بيروت ص ١٧٢ .

(٣) عن هذا السبيل انظر ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

الكتّاب[١] . والمكونة هنا من شباك متسع أيضاً غشي بمصبعات معدنية ، يليه رفرف خشبي ، مكون من ثلاث تقويسات على شكل الأقبية في تكوينها ، وهي موضوعة بالتبادل ، ثم يأتي بعد ذلك أربع تقويسات بارزة تشبه العقود ، يبدو أنها مصنوعة من الجص . وهي غير متجانسة في اتساعها ، إذ يقع أكبرها فوق رفرف الكتاب ويتخللها نوافذ على شكل قنديليه بسيطة ، ويكتنفها التقويسات الثلاث الباقية ، إثنتان من الشمال وواحدة من الجنوب ، مما يعطي وضعاً غير متجانس ، وهي على العموم تتخذ شكلاً نشازاً ولا يتفق مع بقية أجزاء الواجهة ، مما يدل على أنها مستحدثة على التكوين الأصلي للمبنى .

يلي ذلك شرفات على هيئة ورقة نباتية ، تظهر من خلفها قبة [لوحة ٥٦][٢] يبدو أنها تماثل القباب التي تعلو الرواق العثماني للحرم الشريف .

ومن الواضح أن الأجزاء التي تعلو رفرف الكتاب من الإضافات التي أضيفت للمبنى في العصر العثماني ، حيث تشبه شرفاته الشرفات العثمانية التي تعلو واجهة الحرم المكي الشريف [لوحة ١٦٢][٣] . وكذلك الحال مع قبته التي تعد عثمانية الطراز كما سبق أن ذكرنا . وبالتالي فإن ارتفاع المبنى لم يكن يبتعد في الأصل سوى بمسافة بسيطة من فوق رفرف الكتاب .

وإلى الغرب من مكتب السبيل توجد ثلاث أدوار من

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٥٠ .

(٢) هذه اللوحة من ضمن مجموعة عبدالرحمن دفتردار وصالح حجار .

(٣) هذه اللوحة من ضمن مجموعة علي بهجت ، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

الفتحات [لوحة ٥٤ ، ٥٥] السفلية عبارة عن فتحتين ، كل واحدة منهما عبارة عن حانوت له باب بمصراعين خشبيين ، الشرقي منهما أكثر ارتفاعاً من الغربي ، مما يشر إلى أنهما مستحدثان على البناء ، علاوة على أن الشرقي لا يفصل بينه وبين شباك يعلوه سوى مدماك واحد(١) ، وهذا تقارب غير معهود في العمارة ويدل على اضطراب في التكوين ، سببه ما أحدث من تعديلات على البناء الأصلي لهذه الواجهة .

وبناءًا على ذلك فإن الحانوتين لم يكونا وقت إنشاء المدرسة موجودين ، والراجح أن الشباكين اللذين يعلونهما ، كانا أكثر إتساعاً ، لأن الأمثل أن يكونا أكثر قرباً من أرضية الشارع . وهما شباكان مستطيلان يغشاهما مصبعات معدنية . يقع فوقهما قندليتان بسيطتان تتكون كلاً منهما من شمسيتان تعلوهما قمرية .

ويلاحظ أن هذا التكوين المعماري يماثل ما كان متبعاً في كثير من واجهات العمائر الجركسية في مصر ، وبخاصة واجهات الأواوين والأروقة ، فمن الأمثلة على ذلك واجهة مدرسة جمال الدين الاستادار(٢) [٨١١هـ/ ١٤٠٨م] [لوحة ١٠٢]، ومسجد السلطان

---

(١) وإذا كان هذا الشباك في صورته هذه يفتح على حجرة ، فإنه بذلك يطل مباشرة على أرضيتها ، وهذا وضع غير طبيعي في المبنى .

(٢) هذه المدرسة من إنشاء الأمير جمال الدين يوسف الاستدار المقريزي ، الخطط جـ٢/ ص ٤٠٢ . محمد عبدالستار عثمان ، وثيقة جمال الدين الاستدار ، دراسة تاريخية أثرية وثائقية ، ١٩٨٣م ، القاهرة ص ٧٣-٧٥ . حجة وقف الأمير جمال الدين الاستدار برقم ١٠٦ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

فرج بن برقوق[1] [٨١١هـ/ ١٤٠٨م][لوحة ١٠٠] . والمدرسة الباسطية بالقاهرة [٨٢٣هـ/١٤٢٠م] [2][لوحة ١١٢] . ومما يدل على انتماء هذه الواجهة للعصر الجركسي ، وتحديداً للمدرسة الباسطية بالمدينة المنورة ، كما يدل على أن هذا الجانب من المبنى له أهمية خاصة ، وبالتالي فمن المؤكد أن قاعة الدرس كانت تقع في هذه الناحية .

ويعلو القنديليتان روشان خشبي يمثل واجهة لأحد بيوت الربع ، وهو مما استحدث على المدرسة ، ولم يكن موجوداً وقت انشائها كما سبق أن وضحنا ، فالواجهة هنا لم تكن تزيد حينئذ عن الطابقين . وإلى الغرب من واجهة قاعة الدرس ، يوجد مدخل المدرسة الذي يتوسط هذه الواجهة ، ويعلوه فتحة شباك متسعة تتبع أحد بيوت الربع[3] أيضاً .

ثم يأتي من بعد مدخل المدرسة وحتى النهاية الغربية

---

(١) وهو مسجد صغير يعرف الآن بزاوية الدهيشة ، من إنشاء السلطان الناصر فرج بن برقوق ، جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ، ص١٥٣.

(٢) هذه المدرسة من أجمل مدارس القاهرة زخرفة وجمالاً ، وهي من إنشاء القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل . المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ / ص ٣٣١ . السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٤ / ص ٢٤ ، سامي نوار ، الأعمال المعمارية للقاضي زين الدين عبد الباسط ، ص ٩٥ .
حجة وقف القاضي عبد الباسط برقم ٨٤٠ بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

للواجهة أربعة دكاكين [(١)] ، أشارت إليها خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] وهي من التكوين الأصلي للمبنى ، وإن كان عددها في الأصل ثلاثة ، إذ من الواضح أن أوسطها قد قسم إلى اثنين ، ولها تكوين معماري متماثل .

وكان يعلو واجهة هذه الحوانيت بمقدار ثلاث فتحات ، عقد مستقيم بصنج مزررة يعلوه نفيس ثم عقد عاتق [لوحة ٥٥] [(٢)].

كما أن مساحاتها متقاربة ، فتبلغ من الشمال إلى الجنوب ٥ر٥ م × ٤ م ، ٥ر٥ م × ٥ م ، ٥ر٥ م × ٤ م .

ويضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة كانت تعد في ذلك الوقت من أسواق المدينة المنورة[(٣)] ، وعليه فإن وجود الحوانيت في المنشآت المحيطة بالحرم أمر يفرضه تكوينها العمراني .

ويعلو هذه الحوانيت رواشين دور الربع الذي يعلو المبنى وهي مما أحدث على البناء الأصلي . ومن المؤكد أنه كان فوق الحوانيت الطابق الثاني ، والمكون من شبابيك لبعض العناصر التي تتبع المبنى ، من الراجح أنها كانت وحدات سكنية والتي عادة ما توزع على الجوانب المختلفة من المنشأة التي لا تكون

---

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) تتضح هذه العناصر المعمارية من خلال إحدى اللوحات المتوفرة حيث يرى من خلالها جانب مع الحانوت الشرقي منها . ويؤكد الواصف أن هذا الأسلوب كان موجوداً على بقية أجزاء الواجهة ، كما هو متوقع . نظراً لميل العمارة الإسلامية للتكرار في أساليبها المعمارية والزخرفية . مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفا ج٢/ص ٧٢٣ ، ٧٢٤ .

مشغولة بعناصر أخرى[1] .

ولقد كان يتوج الواجهة كلها شرفات تعود لطرز تلك الفترة[2] ، نظراً لاستخدامها في الركن الشرقي من هذه الواجهة ، كما يشير بذلك الشرفات الموجودة من العصر العثماني ، والتي لا بد أنها بنيت بدلاً من المملوكية القديمة .

كذلك يتضح أن المداميك الملونة استخدمت في بناء هذه الواجهة ، كما يشير بذلك لوحتان [لوحة ٥٥ ، ٥٦] حيث تُرى في جانب منها الألوان الفاتحة والغامقة بشكل متعاقب ، بينما غطى الجانب الآخر بالطلاء الأبيض .

الواجهة الشرقيـــة :

لا تتوفر معلومات كافية عن هذه الواجهة ، وإن كان من الراجح أنها كانت تمتد بامتداد المدرسة ناحية الجنوب ، أي أنها قد تصل إلى ٢٨م . كما سبق أن أوضحنا أثناء الحديث عن أبعاد المدرسة .

وتبدأ الواجهة من الناحية الشمالية بالواجهة الشرقية لمكتب السبيل ، والتي لا تختلف في تكوينها المعماري عن الواجهة الشمالية ، وإن كان يضاف إليها أنه كان يوجد في

---

(١) عن ذلك انظر ص ٤٣٩ - ٤٤٣ .

(٢) عن طرز الشرفات في العصر الجركسي ، انظر ص ٥٣٢ - ٥٣٣ .

الجانب الجنوبي منها فتحة باب تؤدي إلى السبيل والمكتب الذي يعلوه عبر درج صاعد[١] .

يأتي بعد ذلك عشرة حوانيت امتدت بطول الواجهة أشارت إلى وجودها خارطة هيئة المساحة المصرية ، وتبلغ أبعاد كل منها من الشمال إلى الجنوب كالأتي :

[٥ر٣ م × ٣ م ، ٥ر٢ م × ٢ م ، ٥ر٢ م × ٢ م ، ٥ر٢ م × ٢م، ٥ر٢ م × ٢ م ، ٥ر٢ م × ٥ر٢ م ، ٥ر٢ م × ٥ر١ م ، ٥ر٢ م × ٥ر٢ م ، ٥ر٢ م × ٥ر٢ م ، ٤ م × ٥ر٢ م] .

وهي أبعاد تشير إلى تقاربها في المساحة ، مما يرجح إلى أنها تعود للبناء الأصلي ، علاوة على أن تطل على شارع تجاري كان يعرف بزقاق الخياطين منذ عصر المماليك[٢] ، وظل على ذلك حتى أزيل في العصر الحديث في التوسعة السعودية الأولى للحرم الشريف[٣] .

وكان لكل من هذه الحوانيت ، عقد مستقيم يعلوه نفيس ثم عقدها عاتق كما هو الحال في حوانيت الواجهة الشمالية[٤] . مما يؤكد انتمائها جميعاً لفترة زمنية واحدة وهو تاريخ إنشاء المدرسة .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفا جـ٢ / ص ٧٢٤ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ بدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال / ١٤١٣هـ وسجل هذا الزقاق أيضاً على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] .

(٤) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال / ١٤١٣هـ .

ولقد استغلت الأجزاء العلوية من الحوانيت لبناء بيوت عليها[١] . وهي مما استحدث على المبنى ، كما هو حال الربع . والراجح أنها كانت وقت إنشاء المدرسة ، مكونة من طابق واحد يتخلله نوافذ خاصةً ببعض العناصر التي تتبع المنشأة ، والتي من المرجح أن تكون من وحدات الإسكان .

الواجهة الغربية :

ستكون بطول الواجهة السابقة أيضاً بناءاً على أن هناك تساوي في أبعاد المبنى ، وقد سبق الاشارة إلى ذلك أثناء الحديث عن تخطيط المدرسة .

وتشير الأوصاف المتوفرة إلى أن الحوانيت كانت تمتد في هذا الجانب بامتداد الشارع الذي تطل عليه هذه الواجهة . وهي حوانيت في معظمها مستحدثة ، حيث لم توقع على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] ولا يستثنى من ذلك سوى واجهة غربية للحانوت الذي يقع في النهاية الغربية للواجهة الشمالية . بالإضافة إلى حانوت يليه تبلغ أبعاده ٥ م × ٨ر٤ م . أي أنه يماثل في مساحته حوانيت الواجهة الشمالية ، فهو بذلك ينتمي للفترة التاريخية نفسها ، وهو ما يؤكده وصف واجهته التي تماثل في تكوينها المعماري حوانيت الواجهة الشمالية[٢] . يلي ذلك إلى الجنوب من الحانوتين فتحة باب كانت تستخدم للوصول إلى الربع الذي يعلو مبنى الوكالة . وقد يكون هذا هو الباب الجانبي

---

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ عبد الرحمن دفتردار في ٣٠ شوال / ١٤١٣هـ .

للمدرسة ، كما هو الحال بالنسبة للمدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، فقد كان لها باب جانبي [١].

ويعلو ذلك الواجهة الغربية للربع الذي سبق ذكره[٢] وبالتالي فإن هذا الجزء يكون مستحدثاً على المبنى الأصلي .

كما أن من المؤكد أن تكون بقية أجزاء الواجهة قد شغلت بنوافذ لعناصر من المبنى ، يغلب عليها أن تتكون من وحدات الإسكان .

المدخـــــل [لوحة ٥٤ ، ٥٥] :

للمدرسة مدخل له حجر غائر يصل في عمقه إلى أكثر من المتر الواحد[٣] ، كما أن ارتفاعه يتجاوز مستوى الطابق الأول وإن كان لا يصل إلى مستوى الطابق الثاني . أما اتساعه فيصل إلى ٥ر٢ م ، وفق توقيعات خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٤٦] .

ويكتنف الحجر مصطبتان من الحجر ، كما يتوسطه فتحة باب معقودة ومتسعة تشغل حيزاً كبيراً من سطح الحجر[٤] ، يبدو أنها مستحدثة نتيجة لتحول هذا المدخل إلى وكالة فجرى توسعتها لتستوعب دخول وخروج البضائع ، بينما كانت في الأصل مثل أبواب المدارس السابقة . ويتوج الحجر طاقية معقودة بعقد مدبب مجردة من الزخارف .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٠٤ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ عبد الرحمن دفتردارفي ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

الدهليــــز [شكل ٤٦] :

يلي فتحة باب المدخل ، دهليز المدرسة ، وتبلغ أبعاده ٥ر٩م×٧٥ر٢م ، وكان مسقفاً بألواح من الخشب ، وأرضيته مفروشة ببلاطات حجرية . ويقع على يسار الداخل إلى الدهليز فتحة باب كانت تفضي إلى درقاعه تتقدم قاعة كما هو مبين أثناء الحديث عنها ، وإلى الخلف منها كان يوجد حانوت صغير يقابله على يمين الداخل آخر أكبر منه استخدمت في عصر الواصف من قبل سقاة للماء (١). ولقد كان الحانوت الأيسر مستقطع من الدرقاعه التي تتقدم قاعة الدرس ، كما هو مبين أثناء الحديث عنها . أما الأيمن فيظهر أنه كان وقت انشاء المدرسة خلوة لبوابها ، والتي عادة ماتوضع بالقرب من دهليز المدارس في ذلك العصر(٢) .

وينتهي الدهليز بفتحة باب معقودة تفضي إلى صحن المدرسة .

قاعـة الدرس [شكل ٤٦] :

لا يمكن من خلال الأوصاف المتوفرة عن المبنى ، تحديد موضع قاعة الدرس .

بيد أنه بالنظر إلى اللوحات المتوفرة [لوحة ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦] ومخطط المبنى الذي في خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] ، فإن من الواضح أن قاعة الدرس كانت تشغل المنطقة الواقعة بين

---

(١) مقابلة الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال / ١٤١٣هـ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٤٥١ – ٤٥٢

مكتب السبيل ودهليز المدرسة . وذلك لكون واجهة هذا الجزء يشابه واجهات الأواوين والأروقة في المدارس الجركسية في مصر ، كما سبق أن وضحنا أثناء وصف هذا الجانب من الواجهة الشمالية .

وعليه فمن الواضح أنه يوجد في هذا المكان إيوان تتقدمه درقاعه ، نظراً لصغر المساحة والتي لاتتطلب أن يبنى فيها رواق[(١)] . إذ من المؤكد أن الحانوتين اللذين أنشئا في هذا الجانب من المبنى اقتطعا الجزء السفلي من مسطح الإيوان[(٢)] . فتكون مساحة الإيوان هي مجموعة مساحة الحانوتين ، أي أن أبعاده تصل إلى ٦٫٥ م × ٣ م . كذلك يتضح من توقيعات خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] أنه كان يتقدم الإيوان درقاعه اقتطع جزء منها كحانوت صغير سبق الإشارة إليه ، حيث يظهر على الخارطة أن حيزه مأخوذ من حيز أكبر منه يحيط به من جميع الجوانب . كما كان يوجد على يسار الداخل من دهليز المدرسة فتحة باب مغلقة[(٣)] ، تفضي إلى موقع الدرقاعه ، يظهر أنها كانت مدخلاً لها . كذلك يوجد جدار يقتطع جزءاً من المنطقة الواقعة خلف الحانوتين

---

(١) إن بناء الأروقة في المنشآت التعليمية مرتبط بتلك التي لقاعاتها مساحات كبيرة .

(٢) يتضح من خلال التغيرات الخطية في المدينة الاسلامية ان اقتطاع جزء من المبنى يتم عادة عن طريق اقتطاع وحدة معمارية بأكملها كحجرة أو فناء أو ما شابه ذلك . جميل عبدالقادر أكبر ، عمارة الأرض في الإسلام ، ص ٣٢١ – ٣٢٩ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار ، في ٣٠ شوال ١٤١٣ هـ .

يتوسطه جدار عرضي [شكل ٦] يقسم هذه المنطقة إلى قسمين ، من المؤكد أنهما من الإضافات التي أحدثت على المبنى في عصور لاحقة . ويمكن بناءاً على التصور السابق تقدير أبعاد هذه الدرقاعه في حدود ٥ر٦ م × ٥ م .

ونظراً لأن هذا الإيوان هو الوحيد الذي يمكن أن يكون في المبنى ، فمن الراجح أنه كان يستخدم كقاعة للدرس لأن الأواوين كانت تقوم بهذه الوظيفة في مدارس ذلك العصر(١) .

الصحن :

يتوسط مبنى المدرسة صحن كبير تبلغ أبعاده ١٣ م × ٩ م . وقد غطيت أطرافه بسقف خشبي شمل جميع جوانبه باستثناء المنطقة الملاصقة لمدخل دهليز المدرسة (٢) . والسقف يرتكز على أعمدة حجرية مربعة القطاع باستثناء واحد منها فإنه كان مستدير القطاع ، ويقع في الناحية الجنوبية (٣). وبناءاً على توقيعات خارطة هيئة المساحة المصرية ، فإن عرض هذا السقف يصل إلى ٥م. وبذلك تكون أبعاد المساحة المكشوفة من الصحن تصل إلى ١٠ م × ٤ م [شكل ٦] (٤).

---

(١) عن ذلك انظر ص ٣٨٠ .

(٢) ويظهر مخطط هذا السقف في خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦].

(٣) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار ، في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٤) كان أسلوب تغطية أطراف الصحن معروفاً في العمائر في المدينة المنورة ، حيث يمكن مشاهدته في رباط المرداني ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦م ، وفي مدرسة ورباط مظهر الأحمدي [١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م] =

وفرشت أرضية هذا الصحن ببلاطات حجرية سوداء ، كانت تغشى الأرضية بأكملها وهي خالية من العناصر الزخرفية .

واستناداً لتوقيعات خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل٦]، وما يذكره الواصف[1] ، فلقد كان يطل على الصحن أربعة مواضع في الضلع الشرقي ، وواحد في الجنوبي . وتبلغ أبعاد المواضع الشرقية من الشمال إلى الجنوب ، على النحو التالي [٥ م × ٥ر٤م ، ٥ر٤ م × ٤ م ، ٥ر٤ م × ٣ م ، ٥ر٤ م × ٣ م] ، أما الجنوبي فتبلغ أبعاده [٥ م × ٥ر٤ م] .

وكما يذكر الواصف فإن هذه المواضع كانت تستخدم كحجرات تتبع المقهى ، في حين أن من المؤكد أنها قبل ذلك كانت تستخدم كحوانيت تتبع الوكالة ، ومن قبل ذلك كانت تستخدم كعناصر تتبع المدرسة .

وكان يوجد في الضلع الغربي فتحة باب [شكل ٦] تربط بين الصحن ، والدرج المؤدي إلى سكنى شيخ المدرسة ، والذي سنشير إليه لاحقاً .

مكتب السبيل [لوحة ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦] [شكل ٤٦] :

كما سبق أن ذكرنا أثناء وصف واجهة المدرسة الرئيسة ،

= وفي المدرسة الرستمية [القرن ١٣ هـ / ١٩ م] . انظر عن ذلك صالح لمعي ، المدينة المنورة ، ص ٢١٥ - ٢١٨ .

(١) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

بأنه يوجد في الركن الشرقي منها شباك يشابه شبابيك التسبيل. مما يدل على وجود السبيل ويعلوه كتاب كما هو الحال في المدرسة الباسطية بمكة المكرمة(١) ، ويؤكد ذلك تخطيط المبنى حيث يتكون من حجرتين إحداهما تعلو الأخرى ، ومتساويتين في الأبعاد إذ تبلغ لكل منهما ٥ر٥ م × ٥ م (٢) .

ولا تتوفر معلومات عن مبنى السبيل من الداخل ، وإن كان من المؤكد أنه كان مزوداً بما تحتاجه السبل في ذلك الوقت ، كالصهريج وحوض التسبيل وغير ذلك (٣).

أما بالنسبة لحجرة الكتاب ، والتي يصعد إليها بدرج يقع جنوبي السبيل ، فلقد كانت مسقفة بقبة ذكرنا بأنها من تجديدات العصر العثماني ، وكان بها شباكان متسعان يقعان في واجهتيها . وكلاً منهما يقع ضمن دخلة معقودة ، كما كان يتبع الكتاب خلوة مؤدب ومرحاض (٤) .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢١٢ – ٢١٣ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤١٩ – ٤٢٨ .

(٤) يشير الواصف إلى وجود مطبخ كان يتبع حجرة الكتاب ، وذلك عندما استخدم كمسكن لأسرة محمد ولي الدين ، وهذا المطبخ من المرجح أنه هو حجرة المؤدب ، بالإضافة إلى المرحاض . مقابلة مع الأستاذ عبدالرحمن دفتردار في ٣٠ شوال ١٤١٣هـ .

وحدات الإسكان :

لقد كان للتغيرات الكبيرة التي حدثت على المدرسة أكبر الأثر في اختفاءمعظم وحدات الإسكان التي كانت فيها .

بيد أنه بالنظر إلى كبرالمساحة التي تشغلها ، فإن ذلك يعطي إنطباعاً بتنوع هذه الوحدات ، بشكل يماثل وحدات الإسكان في باسطية مكة المكرمة ، حيث كانت تحتوي على سكن لشيخ المدرسة ، وخلاوي لطلبتها ، بالإضافة إلى سكن لنزول الأعيان الواردين للحج(١) .

وبالنظر إلى مخطط المبنى ، كما هو موقع من قبل خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٦] ، يلاحظ أنه يوجد في الواجهة الغربية فتحة باب تؤدي إلى الربع الذي يعلو المدرسة ، من الراجح أنها كانت تستخدم كباب جانبي ينفذ منه إلى سكن شيخ المدرسة ، كما هو موجود في باسطية مكة المكرمة حيث استخدم بابها الجانبي ليتوصل منه إلى سكن شيخها(٢) . وبالتالي فإن سكن شيخ المدرسة يقع في ضلعها الغربي .

كذلك فإن وجود سكن للأعيان الواردين للحج ، أمر وارد لأن زيارة مسجد الرسول عليه السلام تعد جزءاً من رحلة الحج بالنسبة لكثير من المسلمين .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢١٦ - ٢٢١ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢١٦ .

ويظهر أن هذا السكن كان يقع في الواجهة الشرقية ، لأن الواجهة الشمالية ، مشغولة بقاعة الدرس ، والمدخل بالإضافة إلى مكتب السبيل الذي يحتل جانباً منها ، وسكن مثل هؤلاء يحتاج إلى مساحة كبيرة ، يمكن أن تتحقق في الضلع الشرقي من المبنى .

أما بالنسبة لخلاوي الطلبة ، فلقد تناثرت في بقية جوانب المبنى ، وبالأخص على جانبي الصحن ، فقد تكون حوانيت الوكالة المطلة عليه ليست سوى امتداد لخلاوي الطلبة ، عندما كان المبنى يستخدم كمدرسة .

الفصل الثالث
مدرسة السلطان قايتباي
بمكة المكرمة
« ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م »

منشيء المدرسة :

أنشأ هذه المدرسة السلطان الأشرف قايتباي ، وهو من أكثر سلاطين الجراكسة إهتماماً ورعاية ببلاد الحجاز[١] ، إذ بني فيه العديد من المنشآت ، بالإضافة إلى أعمال خيرية أخرى ، فمن ذلك ما قام به في الحرمين المشرفين ، حيث أمر ببعض الاصلاحات في الحرم المكي ، تتضمن إصلاح سقف رواقه الشرقي وبعض مبانيه الأخرى [٢]. وأعاد عمارة المسجد النبوي الشريف عمارة جديدة متكاملة[٣] . كذلك أولى مشاعر الحج الكثير من العناية ، فأعاد بناء بعض مساجدها وجدد الآخر[٤] ، ووفر ماء الشرب فيها ، وفي طريق الحج المصري[٥] ، بعدما كان الحجاج ، وبخاصة فقرائهم ، يعانون

---

(١) ريتشارد مورتيل ، الأحوال الاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م . الرياض ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(٢) فوزية حسين مطر ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، من العصر العباسي الثاني حتى العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٥١ – ١٥٤ .

(٣) السهمودي ، وفاء الوفاء ، ج٢ / ص ٦٤١ – ٦٤٤ ، محمد الوكيل ، المسجد النبوي عبر التاريخ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، جدة ، ص ١٤٣ – ١٤٧ ، محمد هزاع الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ٣٠٥ – ٣٨٢ .

(٤) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٥١٣ – ٥١٥ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦/ص ٢٠٦ .

(٥) السخاوي ، الضوء اللامع ج٦ / ص ٢٠٦ – ٢٠٧ ، سعد الدين أونال ، سليمان مالكي ، دراسة لتوفير المياه في المشاعر المقدسة من وجهة نظر الحجاج لحج عام ١٤٠٨هـ « بحث ميداني تاريخي » ، ١٤١٣هـ / مكة المكرمة ص ٢١ – ٢٣ .

كثيراً من جراء نقصها الشديد في بعض المواسم[١] . ويضاف إلى ما سبق رعاية السلطان للمدينتين المقدستين ، فأنشأ فيهما المدارس والأسبلة والرباع ، وغير ذلك من منشآت الخدمات والمرافق[٢] . علاوة على بذل الأموال والصدقات لفقرائهما[٣] .

إنشاء المدرسة :

كان البدء في الإعداد لإنشاء هذه المدرسة مع مطلع عام ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧ م ، حيث جرى تحديد الموقع الذي ستبنى عليه[٤] ، وتم فيها شراء ما هو مملوك من المباني التي تقع فيه[٥] ، واستبدال ما هو موقوف منها[٦] .

وما أن أقبلت تلك السنة على نهايتها حتى بدء في تنفيذ المشروع [٧]، بحيث لم يمض معظم التي تليها ٨٨٣هـ/١٤٧٨م إلا

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفاء ج٢ / ص ٧١٧ .

(٢) العيدروسي ، تاريخ النور السافر ، ص ١٤٠ ، العصامي ، عبدالملك بن حسين ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة ج٤ / ص٤٣ – ٤٤ .

(٣) الجزيري ، عبدالقادر بن محمد ، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ، ص ٣٤٠ .

(٤) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦١٢ ، الجزيري ، درر الفوائد ، ص ٣٤٠ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٤٤ .

(٥) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ٦١٩ – ٦٢٠ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، ج ٤ / ص ٦٢٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٤ / ص ٦٢٤ .

وكان البناء قد قارب على الانتهاء ، ولم يبق منه سوى أجزاء يسيرة[١] ، أكملت في سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م [٢] .

ويتضح مما سبق ، أن هناك سرعة في الانجاز ، مدفوعة على ما يظهر برغبة الأشرف قايتباي أداء فريضة الحج ، والاستفادة من ذلك بافتتاح المدرسة ، إذ جاء حاجاً في سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م ، ونزل بالمدرسة طيلة أيام مكوثه بمكة المكرمة[٣] .

ولقد أشرف على تنفيذ هذا المشروع شمس الدين ابن الزمن ، [٤] تاجر السلطان[٥] ، ووكيله بمعاونة شاد

---

(١) نفسه ، ج ٤ / ص ٦٣٤ .

(٢) السنجاري ، علي بن تاج الدين الحنفي المكي ، منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم ، مخطوط ، نسخة مصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ٥٢٠ ، لوحة ٢٠٦ .

(٣) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ ، مؤلف مجهول ، الجامع الظريف في حجة المقام الشريف ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٤٥ - جغرافية ، ورقة ٦٧ .

(٤) هو محمد بن عمر بن محمد بن الزمن القرشي ، الخواجا ، ولد ونشأ بدمشق ، ثم رحل في طلب العلم حتى دخل القاهرة ، وجاور بمكة ، جعله السلطان قايتباي ناظراً على عمائره بالحجاز ، فعلى شأنه ، كان كثير الإحسان للفقراء . توفي سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٨ / ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .

(٥) تاجر السلطان هو الذي بجلب المماليك للسلطان . وقد يكلف في بعض الأحيان بمهام أخرى ، كالسفارات ، أو الإشراف على بعض أمور الدولة أو السلطان . حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج١ / ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ، ٣٣٠ .

العمائر[١] ، سنقر الجمالي[٢] .

أما افتتاح المدرسة وتقرير وظائفها ، فقد تم بعد فراغ السلطان من حجته ، فأقيم حفل لذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من ذي الحجة ، بالمدرسة نفسها .

فجلس السلطان بالطرف الشمالي لإيوانها ، بينما تصدر شيخها الإيوان وأمامه المصحف على الكرسي . وبحضور الباقين من أرباب وظائفها وبعض أعيان مكة ، فوزعت الربعة الشريفة عليهم ، وقرأوا حتى ختم شيخ المدرسة ، ثم مدت الأسمطة فأكلوا وشربوا[٣] ، وبعد ذلك أنعم السلطان عليهم بالعطاء وانصرفوا[٤] .

واشترط أن تكون هذه المدرسة مخصصة لتدريس المذاهب الأربعة[٥] ، وقرر لذلك قضاة مكة

---

(١) وشاد العمائر من الوظائف الجليلة . وكان يشغلها في عصر المماليك الأمراء ، ومهامها الأساسية لاشراف على العمائر السلطانية ، وكان لبعض الأمراء والأوقاف شادين للعمائر ، المرجع السابق نفسه ، ج٢ / ص ٦١٦ – ٦١٨ .

(٢) عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ورقة ٤٥٧ ، وسنقر الجمالي هو يوسف بن كاتب جكم الزيني أبو السعادات ، ترقى في الخدمة حتى ولي شادية العمائر بمكة والمدينة ، يعاونه في ذلك أخاه الأمير شجاع ، وولي حسبة مكة عدة سنين ، كان ممدوح الأخلاق ، محمود الأعمال . السخاوي ، الضوء اللامع ج٣ / ص ٢٧٣ ، التحفة اللطيفة ، ج٢ / ص ١٩٧ – ١٩٨ ، ٢١٢.

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ .

(٤) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ .

(٥) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٤ / ص ٤٤ ، علي بن حسين السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، القاهرة ، ص ١٣٣ ، ٢٢٧.

الأربعة[1] . فكان قاضي الشافعية البرهان بن ظهيرة[2] شيخاً لها، [3]ومدرساً لمذهبه ، وولي القاضي الحنفي شرف الدين ابن أبي البقاء[4] تدريس مذهبه . وكذلك كان الأمر بالنسبة للقاضيين المالكي نجم الدين بن يعقوب[5] ، والحنبلي محي الدين عبدالقادر[6] فكلاً منهما يتولى تدريس مذهبه .

وقرر الأشرف قايتباي شيخاً لرباط المدرسة . وهو شمس

---

(١) عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج٢ ، ورقة ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٢) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي ، عالم الحجاز وقاضيها ، من بيت علم ورياسة ، آخذ من الكثير من علماء عصره ، ثم تصدر للتدريس والافتاء ، وولي وظائف عدة ، وله مصنفات كثيرة ، توفي سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥م ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ / ص ٨٨-٩٩. عبدالعزيز بن فهد ، بلوغ القرى في الذيل على إتحاف الورى ، لوحة ٣٣ .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٦٤٨ .

(٤) هو شرف الدين محمد بن أحمد ، من بيت علم ورياسة ، ولد بمكة وبها تعلم ، ورحل في طلب العلم ، توفي سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ، المصدر السابق نفسه ، ج٤ / ص ٦٥٦ ، السخاوي ، الضوء اللامع ج١١/ ص ١٣٨٥ .

(٥) وهو نجم الدين محمد بن يعقوب ، قاضي مكة المالكي ، لا تقدم المصادر معلومات وافية عنه ، كان حياً سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م ، عبدالعزيز بن فهد ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، ج٣ / ص ٢٣٥ .

(٦) هو محي الدين عبدالقادر بن عبداللطيف محمد بن أحمد الفاسي ، من بيت علم ورياسة ولد ونشأ بمكة ، وبها تعلم من علمائها ، ورحل في طلب العلم ، كان كثير الاطلاع ، توفي سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٤ / ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

الدين المسيري [١]، ليتولى الاشراف على وظيفة التصوف التي كانت تقوم بها المدرسة أيضاً [٢].

كما قُرر للمدرسة مؤدباً للأيتام ، ومسبلاً للسبيل بها ، علاوة على ستة قراءللقرآن الكريم ، وقاريء للحديث النبوي الشريف ، وخدم وقومه وغير ذلك مما تحتاجه المدرسة من وظائف[٣] .

أما بالنسبة للطلبة ، فكانوا أربعين طالباً ، لم تحدد المصادر كيفية توزيعهم على المذاهب الأربعة[٤] ، وقد تكون بالتساوي فيخصص لكل مذهب عشرة طلاب .

أما عن الأطفال المخصصين للكتاب ، فلقد اختلفت المصادر

---

(١) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن حسن المسيري القاهري ، ولد بمصر وبها نشأ وتعلم ثم ارتحل طالباً للعلم ، واستقر به المقام بالقاهرة ، وجاور بمكة بعد ذلك . توفي سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ، المصدر السابق نفسه ، ج٦ / ص ٢٨٩.

(٢) عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج٢ ورقة ٤٥٧ ، علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ص ٢٢٧ .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ ، السنجاري ، منائح الكرم ، لوحة ٢٠٧ .

(٤) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ج٤ / ص ٤٤ ، مؤلف مجهول ، الجامع الظريف ، ورقة ٦٨ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج٢ ورقة ٤٥٨ ، علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٣ .

في تحديد عددهم ، إذ يذكر ابن فهد[١] بأن عددهم عشرة أيتام ، بينما تكاد تجمع المصادر الأخرى على أن عددهم أربعون يتيماً[٢] . وقد يكون في الأمر وهماً من ابن فهد أو خطأ نسخياً، أو أنهم كانوا عشرة ثم زيد عددهم بعد ذلك ليصبحوا أربعين طالباً ، خاصة وأن السلطان قايتباي قد امتد به العمر بعد إنشاء المدرسة لمدة ستة عشر عاماً ، إذ توفي سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م ، بينما كان الفراغ من إنشاء المدرسة سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م ، كما سبق أن ذكرنا .

كذلك اشترط السلطان قايتباي أن لا يسكن في المدرسة ورباطها أحد من فقراء العجم ، وأن تكون مقصورة على الفقراء من العرب[٣] ، وممن يقطنون مكة المكرمة[٤] ، ولم تحدد المصادر عددهم ، كما هو الحال بالنسبة للطلبة والأيتام .

ولكي يتسنى للمدرسة أن تقوم بوظائفها على أكمل وجه . فلقد أوقف عليها السلطان قايتباي عدة مستغلات تدر عليها ما يكفيها من نفقات[٥] .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٤٨ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٤ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٤ / ص ٤٤ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج٢ ، ورقة ٤٥٩ ، علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٧ .

(٣) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٤ / ص ٥٣ .

(٤) مؤلف مجهول ، الجامع الظريف ، ورقة ٦٩ .

(٥) الطبري ، محي الدين علي بن عبدالقادر ، الأرج المسكي في التاريخ المكي ، تحقيق ودراسة محمد بن صالح بن عبدالله الطاسان ، جزء من رسالة دكتوراه ، جامعة أدنبرة ، بريطانيا ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩م ، ص ٧٠ .

وتتضمن هذه الأوقاف رباعاً ودوراً بمكة المكرمة[١] . تدر في العام الواحد ألفي دينار ، تصرف كرواتب لأرباب الوظائف بالمدرسة ، وتشمل هذه الأوقاف أيضاً عدة قرى وضياع بمصر ، تدر قمحاً ، يدفع منه مخصصات الطلاب والمتصوفة والأيتام الذين يدرسون في كتاب المدرسة[٢] .

ولقد ظلت المدرسة تقوم بدورها التعليمي ، إلى أن توفي السلطان قايتباي سنة ٩٠١ هـ ، وعندها إمتدت أيدي النظار إلى أموالها ، وأهمل مدرسوها وطلبتها[٣] . وقل متحصل الأوقاف

---

(١) ورد في فتوى إزالة مباني الأوقاف المحيط بالحرم الشريف ، في التوسعة السعودية الأولى . أن للسلطان قايتباي مائتين وأربعة وأربعين عقاراً ، تشمل بيوتاً وخلاوي وحوانيت . يتضح من خلال متابعة مواقعها أنها تشمل عمائر لم تكن من أعمال هذا السلطان ، مثل المدرسة الباسطية والزمامية ، وغير ذلك ، مما يعطي انطباعاً بأن جميع الأوقاف السلطانية بمكة المكرمة نسبت لهذا السلطان . انظر حكم رقم ١١٤ بتاريخ ١٣٧٧/٦/١٤هـ ، والمسجل في محكمة مكة المكرمة برقم ١٣١٠٥ ، وتاريخ ١٣٧٧/١٢/٢٢. ولعل سبب هذه النسبة لهذا السلطان ، مرده فقد كافة الوثائق الخاصة بهذه المدارس ، منذ مدد طويلة قد تعود للعصر العثماني ، محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مكة المكرمة ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ج٢ ، ورقة ٤٦٠، ويذكر علي السليمان أن من ضمن هذه الأوقاف حدائق في الحجاز وهو ما لم يرد ذكره في المصادر التي تحدثت عن أوقاف هذه المدرسة . انظر علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٧ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

حتى أضحت شبه معدومة في أوائل العصر العثماني[١] ، مما ترتب عنه أن اختفت وظيفة التعليم منها[٢] ، وأصبح دورها قاصراً على سكنى بعض من أجزائها من قبل أمراء الحج وغيرهم من الأمراء الذين يأتون في أثناء السنة [٣]. وسكنت أجزاء أخرى من قبل بعض فقراء مكة المكرمة[٤] ، ثم آلت في أواخر العصر العثماني إلى إحدى أسر مكة المكرمة[٥] ، فحولت إلى مساكن بالأجرة ،

---

(١) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٤ ، السنجاري ، منائح الكرم ، لوحة ٢٠٦ ، محمد لبيب البنتوني ، الرحلة الحجازية ، لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر ، القاهرة ، ص ١٥٦ .

(٢) علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٨ ، ويوجد ضمن سجلات دائرة الأوقاف بمكة المكرمة سجل قديم بدون رقم ، وقد إهترى غلافه تماماً . وبه أوراق مدونة يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر ١٤هـ / ١٩ م . من ضمنها ورقة مدون عليها أسماء بعض ورثة أرباب الوظائف في المدرسة . وكانت تصرف لهم استحقاقات قليلة ، ومن الواضح أن هذه الاستحقاقات تصرف لهم ، بحكم أنهم أنابوا رجلاً يجلس بمقر المدرسة ويقرأ القرآن نيابة عنهم ، وقد أشار إلى ذلك عبدالله غازي . انظر : عبدالله غازي ، إفادة الأنام ج٢ ورقة ٤٥٩ .

(٣) عبدالعزيز بن فهد ، غاية المرام ، ج٢ / ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ، النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، الرياض ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٤) ابن الصباغ ، تحصيل المرام ، لوحة ١٠٩ .

(٥) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ / ص ٢٤٢ ، محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ١٩٦ - ١٩٧ . وتذكر فوزية مطر أنه جددت عمارة المدرسة سنة ١٢٣٤ هـ إستناداً لاحدى الوثائق التي تعود لتلك الفترة بيد أن قراءة هذه الوثيقة تدل على أن المقصود بذلك =

واستمرت على ذلك حتى أزيلت في التوسعة السعودية الأولى سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م(١) .

موقـــع المدرســـة :

تذكر المصادر التاريخية أن السلطان قايتباي ، أمر أن يكون الموقع الذي تبنى عليه المدرسة مشرفاً على المسجد الحرام(٢) . فاختيرت منطقة تقع فيما بين باب السلام وباب النبي – صلى الله عليه وسلم – . ويحدها من الناحية الشرقية المسعى(٣) .

= هو مدرسة قايتباي بالمدينة المنورة . انظر فوزية مطر ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٦٩ ، ٤٤٢ ، ويذكر عبدالرحمن الصالح أنه جرى في العصر العثماني إعادة التعليم في المدرسة ، عبدالرحمن صالح ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ه / ١٩٧٣م . ص ٧٦ – ٧٧ ، وهو ما يتناقض مع ما ورد في المصادر المعتمدة ، والتي تشير إلى إختفاء وظيفة التعليم من المدرسة في تلك الفترة .

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . وهو من الأسر المكية المعروفة والتي كانت تتعاطى الطوافة والتجارة ، ويقطن بعض أفرادها في مدرسة قايتباي ، حيث ولد محمد نور عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م . وظل بها حتى تاريخ هدمها ، ولذلك يعد مرجعاً أساسياً في وصف المبنى وبخاصة الأجزاء التي كان يقطن بها هو وأفراد أسرته ، وهو من حفظة القرآن الكريم .

(٢) عبدالله غازي ، افادة الأنام ، ج٢ ، ورقة ٤٥٧ .

(٣) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٤ / ص ٤٤ ، ٤٥ .

[شكل٢][1] .

وكان يشغل هذا الموقع قبيل إنشاء المدرسة ثلاثة مباني ، أحدها : بيت لإحدى جهات الأشراف من بني حسن تعرف بالشريفة شمسية[2] ، والباقيان عبارة عن رباطين هما : رباط السدرة[3] ، ويقع ناحية باب السلام ، ورباط المراغي[4] ، ويقع

---

(١) هذا الشكل مستخرج من خارطة هيئة المساحة المصرية ، والمنشورة سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢ م برقم ٥٢/٢٤٧ وموضوعها المسجد الحرام والمناطق المحيطة به . ويلاحظ أن هذه الخارطة قد احتوت على مخطط يوضح الشكل العام للمدرسة ، وبعض تفاصيلها . وهناك خرائط أخرى أشارت إلى وجود المبنى بشكل عام ، مثلالخارطة التي قام بعملها محمد صادق باشا [شكل ٤] نقلاً عن ك . سنوك هور خورنيه ، صفحات من تاريخ مكة في نهاية القرن الثالث عشر . ترجمة محمد السرياني ، ومعراج مرزا ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، مكة المكرمة ج٢ / ص ٤٥ . وهناك الخارطة التي قام بعملها سنوك [شكل ٥] والمنشورة في :

C. Snouck Hurgron, ie . Mekka in Latter Part of the 19th Century. Leiden , 1970.

(٢) هي الشريفة شمسية ابنة حسن بن عجلان توفيت عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧ م ، السخاوي ، الضوء اللامع ج ١٢ / ص ٦٩ .

(٣) يقع هذا الرباط على يسار الداخل إلى باب الحرم المعروف بباب بني شيبة [باب السلام] ولا يعرف واقفه ومتى أوقف ، بيد أنه كان موجوداً منذ سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩ م . الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ / ص ١١٨ ، شفاء الغرام ج١ / ص ٥٢٧ .

(٤) ويطلق عليه ابن فهد إسم رباط القيلاني ، ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٦١٢ ، وأطلق عليه اسم رباط المراغي في مصادر أخرى . انظر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ، ص ٣٣٨ ، القطبي ، عبدالكريم ، =

ناحية باب النبي[١] – صلى الله عليه وسلم – .

وتذكر آمنة جلال[٢] ، أنه أضيف للمباني السابقة ميضأة الأشرف شعبان بالمسعى وأربعة حوانيت بجانبها ، في حين أن هذه الميضأة تقع عند أميال الهرولة بالمسعى بالقرب من باب العباس[٣] ، جنوبي باب النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي يمثل الحد الجنوبي للمدرسة ، [شكل ٢] . علاوة على وقوعها شرقي المسعى كما تذكر الكاتبة نفسها[٤] ، بينما تقع المدرسة غربي المسعى كما سبق أن ذكرنا ، مما يؤكد تباعد الموقعين ، وأن الميضأة المذكورة وما جاورها لا تقع في المنطقة التي أنشئت عليها المدرسة ورباطها .

ومن الواضح أن آمنة جلال[٥] لم تفرق بين رباط المدرسة ،

= إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، علق عليه أحمد محمد جمال وآخرون ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، الرياض ص ٩٩ . وكلاهما علم على مكان واحد . وعرف بالقيلاني نسبة لأحد ساكنيه . أما المراغي فنسبه للشيخ محمد بن عبدالله المراغي ، وكان من الأعيان . توفي سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣م . ويعود تاريخ وقف هذا الرباط إلى سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م . الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ / ص ٦٦ – ٦٧ ، ١١٨ . شفاء الغرام ج ١ / ص ٥٢٧ – ٥٢٨ .

(١) باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٦٢ .

(٢) آمنة حسن جلال ، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٩١ .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٥٢٧ – ٥٢٨ .

(٤) آمنة جلال ، طرق الحج ومرافقه ، ص ٤١٥ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٤١٣ – ٤١٥ .

ورباط آخر أنشأه السلطان قايتباي فوق ميضأة الأشرف شعبان(١) ، فتحدثت عنهما كرباط واحد فقط ، وذلك أثناء حديثهما عن الأربطة التي أنشأها هذا السلطان في مكة المكرمة .

وعلى أية حال ، فإن بعض المصادر التاريخية اعتبرت منشأة السلطان هذه مجمعاً معمارياً(٢) ، تعبيراً عن ضخامة هذه المدرسة قياساً بغيرها من المدارس التي كانت موجودة بمكة المكرمة في ذلك العصر .

---

(١) اختلفت المصادر في نسبة هذا الرباط للسلطان قايتباي ، أو لوكيله ابن الزمن . والراجح أنه لقايتباي ، ونسبته لابن الزمن إنما لكونه أشرف على بنائه كما فعل بالمدرسة . انظر ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٥٢٧-٥٣٠ ، السخاوي ، الضوء اللامع ج١ / ص ٩٤ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ١٠٤ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ج ٤ / ص ٤٤، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٢ / ورقة ٤٥٨ .

الوصف المعماري للمدرسة

تشير المعطيات المتوفرة عن هذا المبنى إلى العناية الفائقة التي أولاها إياها المعمار ، إذ تذكر المصادر إلى أنه قد استخدم في عمارتها الرخام الملون ، وزينت سقوفها بالتذهيب(١) . مما يشير إلى تأثر المبنى بالعمارة المملوكية ، والتي استخدم فيها بكثرة التكسيات الرخامية ، وتذهيب السقوف(٢) . ويؤكد هذا التأثير أسلوب بناء مدخل هذه المدرسة ، والذي ظل باقياً إلى العصر الحديث (٣). حيث احتوى على عناصر المداخل المملوكية(٤) .

بيد أنه بالنظر إلى أوصاف المبنى في مراحله الأخيرة ، يلاحظ بأنه تعرض لتغيرات كبيرة أثرت على تخطيطه ، وأدت إلى اختفاء معظم وحداته المعمارية الأصلية .

فحسبما يذكر أبرز من وصفوا هذا المبنى(٥) ، فإنه يتكون من إحدى عشر بيتاً ، ستة منها تقع بجانبه الغربي المطل على الحرم ، كل منها يتكون من حجرة سفلية تبلغ أبعادها في

---

(١) النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ / ص ٤٤ ، عبدالله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٢ ، ورقة ٤٥٨ ، محمد طاهر كردي ، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، مكة المكرمة ، ج ٥ / ص ٢٥٩ .

(٢) حسني نويصر ، منشآت السلطان قايتباي الدينية ، ص ٢٩٠ – ٢٩٢ .

(٣) انظر [لوحة ٨٢] .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٨٢ – ٢٨٧ .

(٥) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

حدود ٦ م × ٤ م . يعلوها حجرتا جلوس في طابقين ، يتقدم كل منها صفة . وتبلغ أبعاد كل منها ٥ر٤ م × ٤ م . باستثناء حجرات البيتين الواقعين في طرفي المبنى الشمالي والجنوبي ، حيث تبلغ أبعاد كل منها ٤ م × ٣ م تقريباً . ولكل من هذه البيوت مبيتات وخارجه ، وكانت الحجرات السفلية في هذا الجانب تُسمى « مدارس » ، ولقد أشار محمد عمر رفيع[١] إلى هذا التخطيط ، فذكر بأن هذه المدرسة كانت تتكون من ستة مدارس ، تشغل الجانب الغربي من المبنى ، في حين أن مساكن الطلبة كانت تتكون من ستة دور ، وكانت تقع في الضلع الشرقي من المبنى . وهو بذلك زاد في هذا الضلع بيتاً واحداً عما ذكره الواصف[٢] ، والذي ذكر بأن عددها في الضلع الشرقي خمسة بيوت فقط[٣] .

التخطيط [شكل ٥٩] [٤]:

يتخذ المبنى شكلاً مضلعاً غير متساوي الأبعاد ، وينقسم إلى قسمين رئيسيين أولهما المدرسة ، وثانيهما الرباط التابع لها[٥] .

---

(١) محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ١٩٦ .

(٢) مقابلة مع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٣) وما ذكره الواصف هو الأصح ، لأن المبنى في هذه الناحية يقل طول ضلعه عن طول ضلعه الغربي . وهذا يدل على أن إمكانية استيعابه أقل من الضلع الآخر .

(٤) هذا الشكل يوضح تخطيط المبنى استناداً لما توفر عنه من أوصاف ومعلومات موقعة على خارطة هيئة المساحة المصرية .

(٥) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤ / ص ٦٣٩ .

ويذكر ابن فهد[1] أن المدرسة والسبيل شغلت موضع رباط القيلاني [المراغي] ، وأجزاء من موقع رباط السدرة ، بينما أنشيء الرباط في موضع رباط السدرة ، وهو بذلك يخالف ما ورد عند غيره من المؤرخين ، الذين تناولوا تقسيم المجمع ، حيث ذكروا بأن رباط المدرسة أنشيء في موضع رباط المراغي [القيلاني] [2]، وبالتالي فإن المدرسة أنشئت في موضع رباط السدرة ، وربما بيت الشريفة شمسية أيضاً .

وهذا هو التقسيم الصحيح ، إذ تشير التوقيعات على الخرائط إلى أن إيوان المدرسة يقع في كتلة المبنى الذي بناحية باب السلام ، وهو موضع رباط السدرة كما مر معنا ، مما يدل على أنها أنشئت في موضع هذا الرباط .

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ج٤ / ص ٦٣٩ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ص ٩٧ ، باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٩٢ . وورد عند القليوبي ما يتضمن هذا المعنى ، حيث ذكر أن رباط قايتباي يقع عند باب الحريريين والذي يعرف بباب النبي . القليوبي ، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامه . فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس وشيء من تاريخها، المعروف بكتاب النبذة اللطيفة في بيان مقاصد الحجاز ومعالمه الشريفة ، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة برقم ٢٨ . ورقة ١٤ . وسبق أن ذكرنا بأن رباطالمراغي يقع بجوار باب النبي . فهذا يدل على أن رباط قايتباي بني في موقعه .

الواجهـــــات :

للمدرسة أربعة واجهات ، أبرزها الواجهة الشرقية المطلة على المسعى .

الواجهة الشرقية [الرئيسة] : [لوحة ٨٠] (١)

يمكن رؤية هذه الواجهة كاملة من خلال بعض الرسوم والمجسمات التي عملت في فترات مختلفة للحرم المكي الشريف ، وتضمنت ما يحيط به من منشآت ، ومن ذلك هذه المدرسة . ومن أبرز هذه الأعمال لوحة يعود تاريخها إلى سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م(٢) [لوحة ٨٥](٣) وتمثل نسك الحج بدأً من عرفات وصولاً إلى الحرم المكي الشريف ، وهي مزودة بفهرس مرقم يبرز أهم المواضع في المشاعر ومكة المكرمة ، وقد ورد فيه ذكر مدرسة قايتباي ، بأنها المبنى الحامل للرقم ٥٩ .

ولكن ينقص هذه اللوحة الكثير من التفاصيل المتعلقة بالمبنى ، وبها بعض الأخطاء ، مثل وضع المئذنة فوق مدخل الحرم المجاور للمدرسة ، وليس فوق المدرسة . كما هي عليه في الأصل(٤).

---

(١) تمثل هذه الواجهة رسماً تخيلياً لما كانت عليه المدرسة وقت إنشائها .

(٢) Sami M . Ancawi , Makkan , Architecture , submitted , gor the degree of ph . O. University of London , 1988 , p . 105 .

(٣) أول من وجدت عنده هذه اللوحة هو الأستاذ الشريف مساعد بن منصور آل زيد ، وقد تكرم مشكوراً بالسماح لي بتصوير نسخة منها ، كما عثرت على نفس اللوحة متوجة بكتابة بالخط العثماني في أعلاها ، في كتاب Emel Ezin , Mecca The Flessed , Madina the Rudiant , p. 65 .

(٤) عن ذلك انظر ص ٣٠٣ .

ويوجد هناك لوحات أخرى يقل مستواها عن السابقة ، ولا يمكن الاستفادة منها كثيراً في وصف المدرسة وواجتها [١].

أما بالنسبة للأعمال المجسمة ، فإن أبرزها عمل موجود في أحد مساجد استانبول [لوحة ٨٦] [٢] ويتضمن المجسم الحرم المكي الشريف وما يحيط به من مباني وبخاصه ناحية المسعى . ويظهر فيه بوضوح مبنى المدرسة ويجاورها الربع ، موضوعين متباعدين بعض الشيء ، ووضعت المئذنة خلف المبنى ، وليس فوقه كما هو في الواقع . ويفتقر هذا المجسم للتفاصيل المعمارية والزخرفية ، باستثناء الاشارة إلى وجود النوافذ في واجهة المدرسة .

ويضاف إلى ذلك أن هناك لوحات شمسية يمكن من خلالها رؤية أجزاء من هذه الواجهة ، ومن أبرز هذه اللوحات ، لوحة موجودة في أرشيف مكتبة السلطان عبد الحميد ، ويعود تاريخها إلى سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م [لوحة ٨١] ، ويضاف إليها لوحة أخرى من مصورات إبراهيم رفعت ، ومنشورة في كتابه مرآة الحرمين [٣] .

---

(١) انظر على سبيل المثال [لوحة ٨٧ ، ٨٨] . والأولى مأخوذة من مخطوط دلائل الخيرات المحفوظة بمتحف قصر المنيل بالقاهرة ، برقم ٢٣٩ . ويعود تاريخها إلى سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م . والثانية عبارة عن لوحة على بلاطة خزفية ، وعليها توقيع الصانع محمد الشامي الدمشقي ، ومؤرخة بسنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م ومحفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة برقم ٨٦٠.

(٢) يوجد هذا المجسم في مسجد ياركتا باستانبول ، ولا تتوفر عنه معلومات توضح صانعه أو تاريخ الصنع .

(٣) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ لوحة رقم ٦٨ .

كما يوجد لوحة أخرى نادرة يظهر فيها الجزء العلوي لمدخل المدرسة الرئيسي [لوحة ٨٢][١] .

ويتضح من التوقيعات على خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٢ ، ٥٩] أن طول هذه الواجهة يبلغ ٣٣ م . وتنقسم إلى قسمين رئيسين : أولهما يمثل واجهة المدرسة ، ويبلغ طوله ١٥ م ، بينما يبلغ طول واجهة القسم الثاني وهي واجهة الرباط ١٨ م .

ويلاحظ أن واجهة المدرسة ترتد عن سمت واجهة الرباط بمقدار ثلاثة أمتار تقريباً ، وتنخفض نهايتها العلوية قليلاً عن مستوى جدار الرباط[٢] . ولعل هذا يعكس طبيعة التكوين الصخري للمنطقة ، فلم تبنى جميع أجزاء المبنى وفق مستوى

---

(١) نشرت هذه اللوحة في كتاب طاهر كردي ، التاريخ القويم ، ج ٥ لوحة رقم ١٧٩ . ولقد قام إسماعيل أحمد اسماعيل ، بنشر مقال عن مدرسة قايتباي ، واصفاً باب المدرسة ، معتقداً أن اللوحة للمدخل بأكمله ، وقد شاهد عباس حلمي هذه اللوحة لديه . وأفادني بذلك . موضعاً الخطأ الذي وقع فيه المذكور . انظر اسماعيل أحمد اسماعيل ، مدرسة السلطان قايتباي في المسجد الحرام . مقال منشور في مجلة العربي ج ١ ، ٢ ، س ١٤ ، شهر رجب وشعبان ١٣٩٩ هـ / ص ٩١ – ٩٣ . كذلك قامت آمنة جلال ينقل هذا الوصف كما ورد عند الأستاذ إسماعيل دون أن تتنبه للخطأ الذي وقع فيه . انظر آمنة جلال ، طرق الحج ومرافقه ، ص ٣٩١ – ٣٩٣ .

(٢) يفهم من الواصف أن هذا الانخفاض ليس كبيراً ، مقابلة مع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . ولذلك لا يظهر واضح المعالم في اللوحات الشمسية [لوحة ٨١] . ويبدو أكثر وضوحاً في الرسوم والمجسم [لوحة ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨] .

واحد ، كما هو موضح أيضاً أثناء الحديث عن دهليز المدرسة(١) .

وبناءًا لما توفر من أوصاف عن هذه الواجهة فإنها تتكون من ثلاثة طوابق ، يتوسطها تقريباً المدخل الرئيسي للمدرسة ، وعلى جانبيه توجد مجموعة من الحوانيت يبلغ عددها ما بين سبعة إلى ثمانية ، كانت تشغل الطابق الأرضي من هذه الواجهة ، موزعة بحيث يشغل واجهة الرباط خمسة منها ، بينما يبلغ عددها في واجهة المدرسة ما بين اثنين إلى ثلاثة(٢) .

يعلو ذلك دوران من الشبابيك تمثل واجهات البيوت الخمسة التي تشغل الضلع الشرقي من المبنى ، فكان لكلٍ منها ثلاثة شبابيك في كل دور ، بحيث يصل مجموعها في الدور الواحد إلى

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٨٩ .

(٢) اختلف الواصفون في تحديد عدد هذه الحوانيت ، إذ يذكر محمد نور بأن عددها اثنين ، مقابلة ٩ محرم ١٤١٤هـ ، بينما يذكر كل من الاستاذ مشرب أندجاني بأن عددها يبلغ ثلاثة . مقابلة معه في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . ووافقه في ذلك الأستاذ عبدالشكور فدا ، مقابلة معه في ٢ ذي الحجة ١٤١٣هـ ، ويعد الأستاذ مشرب عصام الدين اندجاني من المراجع المهمة لوصف بعض الأجزاء التي شاهدها في مدرسة قايتباي . وهو من مواليد مكة المكرمة ، سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م ، ومن حفظة القرآن الكريم ومعه إجازة بتحفيظ القرآن الكريم حيث عمل معلماً للقرآن مع جماعة التحفيظ وغيرها لمدة ثلاثة وعشرون عاماً . تقلب في الوظائف التعليمية حتى التقاعد وهو الآن يمارس الأعمال الحرة . والأستاذ عبدالشكور فدا هو من أعيان مكة المعروفين في مجال الثقافة والعلم ، وصاحب المكتبة المشهورة باسمه في مكة المكرمة .

خمسة عشر شباكاً[١] .

ولا يمثل الوصف السابق واجهة المدرسة وقت إنشائها ، نظراً لتوفر معطيات تشير بخلاف ذلك .

إذ أن الحوانيت التي في واجهة المدرسة لم تكن موجودة وقت الإنشاء ، كما يشير بذلك ابن فهد أثناء حديثه عن سيل أصاب مكة المكرمة في رمضان سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م ترتب عنه أن دخل الماء « ... من جميع الشبابيك التي أسفل مدرسة السلطان قايتباي ورباطه ... »[٢] ، فهو ذكر الشبابيك ولم يذكر الحوانيت مما يدل على عدم وجودها ، وعلى أنها محدثة على المبنى في العصر العثماني على ما يظهر، حيث تقرر أن يبنى في منشآت الأوقاف من مدارس وغيرها بمكة المكرمة ، حوانيت ليصرف منها على عمارتها[٣] .

ولا شك أيضاً أن الشبابيك التي تشغل هذه الواجهة لم تكن بنفس التكوين الذي أضحت عليه بعد ذلك ، كواجهات للبيوت بحيث كان كل ثلاثة متقاربة منها تمثل واجهة لحجرة من الحجرات

---

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . ويمكن رؤية بعض الشبابيك العلوية في واجهة الرباط في اللوحات التي يظهر فيها الجانب العلوي من المبنى ، كما هو واضح من لوحة أرشيف مكتبة السلطان عبدالحميد [لوحة ٨١] . وانظر أيضاً إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج١ لوحة رقم ١٧٩ .

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٣٤ .

(٣) محمد هريدي ، شئون الحرمين ، ص ٤٦ .

التي تتكون منها هذه البيوت[١] . علاوة على أنها تظهر متسعة إتساعاً كبيراً [لوحة ٨١] لا يتناسب مع ما ينبغي أن تكون عليه شبابيك الخلاوي التي كانت تشغل جانباً كبيراً من هذه الواجهة [٢]. والتي عادة ما تكون أصغر من ذلك ، كما هو مشاهد في مدرسة وخانقاه فرج بن برقوق بالصحراء[٣] . والمدرسة الباسطية بمكة المكرمة [٤] .

وبالنظر إلى ما سبق يمكن القول بأنه كان يشغل واجهة المدرسة عدد من الشبابيك الصغيرة المغطاة بالمصبعات المعدنية. وكانت هذه الشبابيك تتوزع في ثلاثة أدوار وبمقدار ارتفاع طوابق المدرسة الثلاثة ، وذات اتساع يتناسب مع وضع الواجهة الرئيسة في المبنى ، ويعلو كلاً منها عقد مستقيم ونفيس وعقد عاتق .

كما كان يتوج هذه الواجهة واجهة الخارجات التي تتخللها الشابورات ، والتي يمكن مشاهدة بعضها وهي تمثل امتداداً لتلك التي كانت في المدرسة وقت انشائها ، نظراً لأن وجود الخارجات من المظاهر التي سادت في العمارة المكية منذ أمد بعيد يسبق فترة الدراسة[٥] . ويوجد في هذه الواجهة أيضاً مكتب

---

(١) مقابلة مع محمد نور خوقير ، في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٢) لاحظ توزيع وحدات الاسكان في المبنى ص ٢٩٩ – ٣٠١ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٨٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٤٦٨ .

سبيل يقع في الركن الشمالي من واجهة الربع بجوار المدخل(١) [لوحة ٨٠] .

وهو بذلك له واجهتان : الأولى ، شرقية تطل على المسعى ، لتروي ظمأ السائرين فيه من حجاج ومعتمرين وغيرهم ، والثانية ، شمالية تطل على بسطة المدخل ، فيستفيد منها الداخلين والخارجين من مدخل المدرسة .

ويمكن تحديد طول الواجهة الشمالية هذه بأنها تساوي مقدار إرتداد سمت واجهة المدرسة عن سمت واجهة الرباط ، والتي ذكرنا بأنها تبلغ ثلاثة أمتار .

في حين أن من المؤكد أن الواجهة الشرقية أكبر من سابقتها ، لأن الامتداد هنا متاح أمام المعمار فيستطيع أن يستفيد منه بإبراز واجهة مكتب السبيل .

وعلى الرغم من اختفاء وحدة مكتب السبيل كلياً من داخل المبنى وخارجه .

ولا تتوفر أوصاف يمكن من خلالها تحديد طرازه(٢) ، فإن تأثر عمارة المدرسة بالعمارة المملوكية ، يجعل من المؤكد أنه مشابه لما كان متبعاً في مصر من طرز معمارية(٣) . لأن هذا

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٩٤ – ٢٩٥ .

(٢) مقابلة مع مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤١٤ – ٤٣٥ .

الأسلوب روعي في عمارة سبيل مسجد الخيف بمنى والذي أنشأه السلطان قايتباي سنة ٨٧٤هـ/١٣٧٢م[١] . فلقد زود هذا السبيل بشبابيك للتسبيل كما أنه زود بواجهة رخامية بديعة[٢] ، مما يدل على العناية بعمارته ، كما هو الحال في مصر في ذلك الوقت .

ونظراً لوجود واجهتين للسبيل ، فذلك يشيرإلى وجود شباكين للتسبيل ، لأن شبابيك التسبيل تتعدد بتعدد واجهات السبيل[٣] . كما كان يعلو كلاً منهما عقد مستقيم يعلوه نفيس وعقد عائق ، وذلك لتخفيف ثقل المداميك الحجرية التي تعلو الجدارين .

ومن المرجح أن يكون بناء هذه العناصر المعمارية قد استخدم فيه المداميك الملونة كما هو مشاهد على العمائر الجركسية بمصر [٤] ، علاوة على استخدام التكسيات الرخامية ، مثلما هو متبع في سبيل مسجد الخيف .

أما بالنسبة لواجهة الكتاب فهي لا تختلف أيضاً عن واجهةالكتاتيب بمصر[٥] ، ولعلها قريبة الشبه بواجهة كتاب مدرسة قايتباي بالصحراء [٦] . فلكلٍ منهما واجهتان . وهي بذلك

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤ / ص ٥١٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه ج ٤ / ص ٥١٢ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤١٦ - ٤١٧ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٤٣٢ - ٤٣٤ .

(٦) عن ذلك انظر ص ١٥٢ .

تكون مكونة من شرفة حجرية بواجهتها الشمالية فتحة واحدة متوجة بعقد مدبب ، بينما تتكون واجهتها الشرقية من ثلاث فتحات لكل منها عقد مدبب يرتكز في الوسط على عمودين من الرخام .

الواجهة الشمالية :

يبلغ طول هذه الواجهة ٢٨٫٥ م . ولقد آثر وضع الطريق المؤدي إلى باب السلام على استقامتها حيث تنحرف ناحية الجنوب كلما اتجهنا شرقاً .

ولا تتوفر معطيات كافية عن هذه الواجهة ، فكل ما هو معلوم عنها هو الإشارة إلى وجود أربعة حوانيت كانت تشغل معظم الطابق الأرضي منها ، كما كان يقع بالقرب من نهايتها الغربية فتحة باب تؤدي إلى المنزل الذي يشغل الركن الشمالي الغربي من المبنى(١) ، وهو باب جانبي يعود إلى زمن إنشاء المدرسة ، نظراً لوجود بيت يعود بناؤه لتلك الفترة كان موجوداً في هذه الناحية (٢) . في حين أن الحوانيت هي ما استحدث على المبنى كما حدث للواجهة الشرقية ، ولا تتوفر أوصاف كافية عن الطوابق العلوية لهذه الواجهة ، باستثناء الإشارة إلى وجود شبابيك صغيرة يصعب تحديد عددها (٣) .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقيرفي ٩ محرم ١٤١٤هـ . وأنشيء في جانب من هذه الواجهة سبيل وميضأة بأمر من السلطان مراد خان سنة ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦م وتمت ازالتها ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م . انظر باسلامة ، تاريخ عمارة المسجدالحرام ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣) مقابلة مع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

ومن الواضح أن جانباً كبيراً من هذه الواجهة كان مشغولاً بنوافذ خاصة بخلاوي المدرسة التي تقع في هذاالجانب . وهذه الواجهة متوجة بواجهة الخارجات ،التي تتخللها الشابورات .

الواجهةالغربية [لوحة ٨٤ ، ٩٣] (١)

ويبلغ طول هذه الواجهة ٣٠ متراً ، نصفها لكتلة المدرسة ، ونصفها الآخر للربع . وبطرفيها يوجد ارتداد بسيط ناحية الشرق لا يتجاوز ٥ر. م ، سببه نظام تخطيط أروقة المسجد الحرام [شكل ٢] .

وتتكون هذه الواجهة من ثلاثة طوابق تطل على الحرم ،

---

(١) اللوحة الأولى مأخوذة من أرشيف السلطان عبدالحميد بمكتبته بجامعة استانبول باستانبول ، يعود تاريخها لسنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م . والثانية من ضمن مجموعة الجمعية الجغرافية الأمريكية ، ويعود تاريخها لسنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م . وقد قام بعمل هذه اللوحة ، مصور هندي يدعى عبدالغفور شيخ ، بإشراف من الملك فيصل رحمه الله عندما كان نائباً للملك في الحجاز . ونشرت مع صور أخرى ومقال تعريفي عن الحج في مجلة الجمعية . انظر :

Sheikh Abdul-Ghafur , " From Americato Mecca on Airborne Pilgrimage " , National Geographic Magazine Vol. CIV, No. 1 , Washington , D . C . , 1953 , p : 1 - 60 .

وتوجد مجموعة هذه الصور ضمن مجموعة الدكتور معراج مرزا الأستاذ بقسم الجغرافيا ، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة أم القرى ، كما يوجد لهذه الواجهة لوحات أخرى ، منها ما هو منشور في كتاب إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ج ١، لوحة ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

والسفلى منها تفتح شبابيكه على أروقة الحرم من الداخل ، بينما يطل الطابقين العلويين على سطح الحرم .

ويتوسط الطابق الأرضي من هذه الواجهة فتحة باب معقودة[١] ، أشار إليه إبراهيم وقال عنه أنه « ... خوخة لا سلم له ... »[٢] .

ويطل على أروقة الحرم في الطابق السفلي ستة شبابيك متسعة نسبياً ، وهي خاصة بحجرات ستة كانت تشغل الجانب السفلي من المنازل التي تشغل الضلع الغربي من المبنى ، وكان قاطنوا هذه البيوت يطلقون عليها لفظ مدارس[٣] ، ولقد كانت هذه الواجهة في الأصل تتكون من شبابيك لخلاوي ، يكتنفها من الجانبين واجهتي المنزلين اللذين يشغلان هذا الجانب كما هو موضح في الحديث عن وحدات الإسكان في هذه المدرسة[٤] .

ويعلو الطابق السفلي طابقين آخرين بكل منهما دور من الشبابيك [لوحة ٨٣ ، ٨٤] ، ويلاحظ أن عمارتها تتميز بالبساطة وعدم التناسق ، بما لا يتناسب مع عمارة مدرسة تأثرت بالطراز

---

(١) مقابلة مع مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ومحمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٢) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ / ص ٢٣٠ . ولقد تصور إسماعيل أحمد إسماعيل أن هذا الباب هو مدخل إلى المدرسة الرئيسي ، حيث أشار إلى ما ذكره عنه إبراهيم رفعت أثناء وصفه للمدخل المذكور . انظر إسماعيل أحمد إسماعيل ، مدرسة السلطان قايتباي ، ص ٩٢ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ، ١٤١٤هـ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٢٩٧ – ٢٩٩ .

المملوكي فيدل ذلك على أنها مستحدثة ، كما حدث لواجهة المدرسة الشرقية .

وبالنظر إلى المعطيات المتوفرة عن هذا الضلع ، يمكن القول بأنه كان يوجد في البناء الأصلي للمدرسة عدد كبير من الشبابيك المخصصة للخلاوي التي كانت تشغل حيزاً كبيراً من المبنى في هذا الجانب(١) . علاوة على وجود شمسيات « شبابيك معقودة » في طرفي الدور الثاني من هذه الواجهة كنوافذ علوية لقاعتي المنزلين اللذين يقعان في هذين الطرفين(٢) .

ويتوج هذه الواجهة ، واجهة خارجات يتخللها شابورات تمثل امتداداً ، للخارجات الأصلية .

الواجهة الجنوبيـــة [لوحة ٨٣]

ويبلغ طول هذه الواجهة ١٩ م ، ويوجد في الجانب الشرقي منها إرتداد بسيط يمتد لمسافة ٣٫٢٥ م ، قبل أن يلتقي جدارها بجدار الواجهة الشرقية [شكل ٢] .

وكان يشغل الطابق السفلي من هذه الواجهة حانوت واحد يجاوره سبيل لسقي الماء(٣) . وكل ذلك من المظاهر المستحدثة ، كما هو الحال في الواجهتين الشرقية والشمالية . ومن الواضح أنه كان يقع في الجانب الغربي من هذه الواجهة فتحة باب تؤدي

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٩٩ – ٣٠١ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٢٩٧ – ٢٩٩ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ محمدنور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

للمنزل الذي يقع في هذه الناحية[١] ، مثلما هو متبع في المنزل الذي يقع في الطرف الآخر من المبنى .

يعلو ذلك أربعة شبابيك متسعة شغلت طرفي هذه الواجهة وتوزعت بالتساوي في دورين ، بحيث يكون لكل دور في كل طرف شباك واحد . وفيما يلي هذه الشبابيك توزعت شبابيك صغيرة في مستويات مختلفة . وكل ذلك مما استحدث على المبنى ، والراجح أنه كان يوجد به شبابيك لبعض الخلاوي التي تشغل هذه الناحية[٢] .

المدخل [لوحة ٨٠ ، ٨٢]

يقع مدخل المدرسة في موضع التقاء واجهة السبيل بواجهة الربع . ويتضح من اللوحة الشمسية المتوفرة عنه والتي تشمل الجزء العلوي منه [لوحة ٨٢] أنه في ذلك يشابه المداخل المملوكية السائدة في مصر في فترة الدراسة[٣] .

ويتقدم المدخل بسطة حجرية ترتفع عن أرضية المبنى بمقدار درجة واحدة ، وله حجر غائر يرتفع بمقدار طابقين من طوابق المبنى[٤] ، ولم يزود هذا المدخل

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) لاحظ توزيع وحدات الاسكان في المبنى ، ص ٢٩٩ -٣٠١ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٣٩٣ - ٤٠٠ .

(٤) مقابلة مع مشرب اندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ، ونظراً لأن مئذنة المدرسة تعلو بابها ، فإن ذلك أدى إلى انخفاض مستوى قاعدتها عن مستوى الطابق الثالث من المبنى ، فلا تظهر في اللوحات التي التقطت للمبنى من أكثر من جانب . انظر [لوحة ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤] .

بمسطبتين[١] . كما في كثير من المدارس في مصر والحجاز[٢] ، وذلك بسبب أن هذا المدخل يؤدي للمدرسة والحرم في نفس الوقت [٣] . وبالتالي فإن الدخول والخروج منه عرضة لمواجهة حالات الازدحام فيؤدي وجود المسطبتين إلى إعاقة الانسيابية المطلوبة في هذه الحالة .

ويقع على عضادتي باب المدخل كتابة تأسيسية خاصة بالمدرسة لا تظهر في اللوحة ، ذكرها باسلامة[٤] . وقد كتبت بالخط البارز على الحجر ما نصه [بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة [٥] . ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [٦] أمر بانشاء هذه المدرسة مولانا السلطان الملك المظفر أبو النصر قايتباي] .

---

(١) مقابلة مع مشرب اندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ومحمود نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٣٩٤ – ٣٩٥ .

(٣) يؤدي الدهليز المتصل بهذا المدخل إلى الباب الصغير الواقع في الواجهة الغربية من المبنى ، وينفذ إلى أروقة الحرم من هذه الناحية ، مقابلة مع مشرب اندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ، ومحمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٤) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٥ – ١١٦ .

(٥) يذكر باسلامه أن هذا الجزء من النص مطموس ، وأتمه بحسب ما يقتضيه نص الآية . المرجع السابق نفسه . ص ١١٥ – ١١٦ .

(٦) سورة التوبة آية ١٨ .

أما عن فتحة الباب ، فإن الواصفين لا يشيران إلى وجود المصراعين الخشبيين عليه [(١)]، مما يدل على أنهما أخذا في فترة ما يصعب تحديدها .

بيد أنه من المرجح أنه شبيه بذلك الذي صنع في عصر قايتباي لباب السلام بالمسجد النبوي الشريف ، إذ كان ملبساً بالنحاس ، وعليه زخارف مختلفة وكتابات[(٢)] ، من المؤكد أنها عبارة عن زخارف هندسية ونباتية ، وكتابات دعائية للسلطان ، كما هو شاهد على باب مدخل مدرسة قايتباي بالصحراء[(٣)] . ويفهم من حديث الواصفين أنه كان يعلو الباب عقد مستقيم مكون من مداميك مشهرة « أحمر وأصفر » . يليه عقد نفيس ثم عقد عائق يمكن رؤية أطرافه العلوية في اللوحة المتوفرة [لوحة ٨٢] ، وكان هذا العقد مشهراً أيضاً « أحمر وأصفر »[(٤)] .

وقد أحيط كل ذلك بثلاث مستطيلات رخامية إثنان جانبيان وثالث علوي . والجانبيان أكبر مساحة من العلوي ، وعليهما زخارف هندسية قوامها أشكال نجمية متداخلة ، بينما زخرف العلوي بأشكال زجزاجية ، مكونة من خطوط منكسرة ، تعطي أشكال معينات تحصر فيما بينها أشكالاً نجمية انطمست

---

(١) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥رمضان ١٤١٣هـ والاستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٢) البتنوني ، الرحلة الحجازية ص ٢٤٤ ، محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ص ٣٧٣ .

(٣) عن ذلك انظر ص ١٥٩ .

(٤) مقابلة مع مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

معالم بعضها ، ويظهر أن هذه الزخارف كانت ملونة ، كما هو متبع ببعض منشآت القاهرة في ذلك العصر[١] .

والمستطيلات السابقة محاطة بجفوت حجرية لاعبة سداسية من ترميمات العصر العثماني ، لأن الجفت المدس البارز لم يظهر إلا في ذلك العصر[٢] . في حين أنها في الأصل كانت على أشكال الميمات كما هو متبع في عمائر العصر الجركسي[٣] .

ويعلو ذلك دخلة صغيرة يتوسطها فتحة شباك مستطيلة الشكل ، كانت مغشاة بالمصبعات البرنزية . ويظهر على جانبي الدخلة موضع عامودين كانا في العمائر الجركسية المعاصرة يتخذان من الحجر، ولهما بدن مستدير وقاعدة وتاج ناقوسيين[٤] .

ويكتنف الدخلة مساحتان مستطيلتان في وضع رأسي شغلت كل منهما ببخارية بأعلاها وأسفلها ورقة نباتية ثلاثية بها زخارف نباتية دقيقة . بينما زخرفت البخارية من الداخل برنك للسلطان قايتباي ، يتكون من ثلاثة أشطب ، نصه [عز لمولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره] . وشغلت الفراغات المتبقية لكل من المساحتين بزخارف نباتية دقيقة

---

(١) جمال عبدالرحيم ، الحليات المعمارية ص ٢٣٥ .

(٢) طه عبد القادر عمارة ، العناصر الزخرفية المستخدمة في عمارة مساجد القاهرة في العصر العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢٠ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠ .

(٤) عن ذلك انظر ص ٣٩٩ .

بالحفر البارز . ويوجد بأعلى وأسفل كل من المنطقتين السابقتين مستطيل في وضع أفقي يتضمن كل منهما كتابة نسخية بارزة نصها ، في الجزء العلوي [عز لمولانا السلطان الملك] وذلك في الجانب الأيمن [الأشرف أبو النصر قايتباي] وذلك بالجانب الأيسر أما في الجزء السفلي فيوجد بالجانب الأيمن كتابة نصها [اللهم أنصره نصراً عزيزاً وافتح] وبالجانب الأيسر تكملة نصها [له فتحاً مبيناً يا رب العالمين] (١). وكل ذلك بالخط النسخي البارز على الحجر(٢) . [لوحة ٨٢] .

ويتوج دخلة النافذة السابقة حنية بداخلها زخارف إشعاعية تنبعث في نصف دائرة ، تظهر من خلال اللوحة ، أنها متعددة الألوان « مشهرة » إذ أن الغامقة منها تظهر متعددة الدرجات مما يشير إلى تعدد ألوانها والتي قد تشمل الأسود والأحمر والأصفر والرمادي (٣) . وتقوم هذه الحنية على صف من الحنايا الصغيرة ذات عقود متنوعة ومزينة من الداخل بزخارف دقيقة يصعب تحديدها ، من الراجح أنها كانت ملونة أو مذهبة .

وكان عقد الحنية ملبساً بالرخام الأسود والأبيض « أبلق » حيث يظهر قطعتان منه لا زالتا باقيتين عند أرجل العقد ،

---

(١) إسماعيل أحمد ، مدرسة السلطان قايتباي ص ٩١ . وقد قام باسلامه بقراءة بعض هذه النصوص . انظر باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١١٥ – ١١٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١١٥ – ١١٦ .

(٣) وهذه الألوان موجودة جميعاً في حجر الشميس الذي يقع بالقرب من مكة المكرمة . المرجع نفسه ص ٨٦ – ٨٧ .

ويكتنف الحنية السابقة حنيتان ركنيتان أكبر اتساعاً منها ، وكلاً منهما تقوم على صف من الحنايا الصغيرة ، عقودها أكثر إتساعاً من حنايا الحنية الوسطى ، وإن كان من المؤكد أنها تماثلها في الزخرفة . وكلا الحنيتين خاليتين من الزخرفة يظهر أنهما كانتا مقرنصتان ، حيث جرت العادة على إزالة هذه المقرنصات أثناء الترميمات في العصر العثماني (١).

ويتوج حجر المدخل طاقية مكونة من عقد ثلاثي الفصوص ، يظهر أنه كان ملبساً بالرخام الملون « أبيض وأسود » أبلق ، كما هو موجود في باب « السلام » بالمسجد النبوي والذي عمره السلطان الأشرف قايتباي (٢) .

ويشكل الفص العلوي للعقد حنية محارية غائرة بها زخارف إشعاعية تماثل السفلية ، وترتكز على صف من الحنايا الصغيرة تماثل ما هو موجود في الحنايا السفلية أيضاً .

ويحدد هيئة العقد جفت لاعب بميمات ينتهي من الأعلى بميمة كبيرة . كما يكتنفه كوشتان ، يظهر عليهما خطوط غير منتظمة « خرابيش »، مما يحمل على الاعتقاد أنهما كانتا ملبستان بالرخام أيضاً ، وقد حددت هيئتي الكوشتان بجفت لاعب بميمات .

---

(١) علي الطايش ، العمائر الجركسية الباقية بشارعي الخيامية والمغربلين ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ص ٣٢٩ .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج٢ / ص ٦٤١ ، محمد الشهري ، عمارة السمجد النبوي في العصر المملوكي ، ص ٣٦٧ .

الدركـــاه [شكل ٥٩] :

وهي مستطيلة الشكل تبلغ أبعادها ٥ر٥م × ٣ م ، وتشير الأوصاف المتوفرة بأن لها سقف حجري(١)، يظهر بأنه قبو متقاطع، لأن هذا الأسلوب من التغطية استخدم في الدركاوات ذات الأسقف الحجرية في عمائر العصر الجركسي في مصر(٢) .

أما أرضيتها فمفروشة ببلاطات حجرية ، ولا تشير الأوصاف إلى وجود مسطبة فيها(٣) ، ولعل ذلك مرده الأسباب نفسها التي أدت إلى عدم وجود مسطبتي حجر المدخل كما سبق أن وضحنا .

ويوجد بالدركاه فتحتي باب إحداهما على يمين الداخل والأخرى على شماله . والتي على يمين الداخل عبارة عن فتحة معقودة يغلق عليها باب بمصراع واحد ، وكانت تؤدي إلى سلم يصعد منه إلى المئذنة . أما الفتحة الثانية فكانت معقودة أيضاً ولكن لا يوجد لها باب خشبي ، وتؤدي إلى الدهليز(٤) .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٢) علي الطايش ، العمائر الجركسية ، ص ٣٣٦ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٤) مقابلة مع مشرب الاندجاني ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ، ومحمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

الدهليـــز [شكل ٥٩] :

تبلغ أبعـاد هذا الدهليـز ٢٠ م × ٥ر٢ م [١] . وسقفه خشبي باستثناء منطقة تتوسطه تقريباً فهي «كشف سماوي » ، وعندها يستطيع السائر إذا ما اتجه يميناً أن يصل إلى فناء المدرسة ، وإذا ما اتجه شمالاً أن يصل إلى فناء الربع[٢] . ويلي ذلك سلم هابط يتكون من إثنى عشر درجة ، مستوى ارتفاع كل منها بسيط جداً [٣]. ثم يأتي بقية الدهليز حيث ينتهي بفتحة الباب التي في واجهة المدرسة الغربية ، ومنه ينفذ إلى أروقة الحرم .

ويدل وجود الدرج هذا على أن المبنى لم تكن أرضيته في مستوى واحد ، وأن الطابق الأرضي في الضلع الغربي من المبنى في مستوى أقل من الطابق الأرضي الذي في الضلع الشرقي .

وأرضية الدهليز مفروشة ببلاطات حجرية باستثناء السلم الهابط ، والذي كسي ببلاطات من الرخام الأصفر ، وسقفه عبارة عن براطيم خشبية . ويلاحظ أن هذا الدهليز يؤدي للحرم بالإضافة إلى الربع والمدرسة ، ولذلك اعتبر مدخله مدخلاً للحرم الشريف أيضاً [٤].

---

(١) يلاحظ أن جانباً من الجزء الخلفي لهذا الدهليز أقل اتساعاً مما يسبقه أو يليه [شكل ٢] . ومن الواضح أن ذلك سببه ما تعرض له المبنى من تغيرات سبق الإشارة إليها .

(٢) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

(٣) ويذكر الأستاذ مشرب أندجاني بأن عددها ست عشر درجة . مقابلة في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . وما هو مثبت في المتن تم بناءاً لتوقيعات خارطة هيئة المساحة المصرية [شكل ٢] .

(٤) باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ١١٥ .

قاعـة الدراسة [شكل ٥٩] :

عندمـا تتحدث المصادر التاريخية عن حفل المدرسة ، تذكر بأن السلطان جلس بالركن الشمالي لإيوان المدرسة [١] . مما يدل على أنه كان بالمدرسة إيوان واحد يستخدم كقاعة للدراسة[٢] .

ويتضح من الأوصاف المتوفرة عن موقع هذه القاعة أنها تقع ناحية الضلع الشرقي للمبنى[٣] . ويؤكد ذلك أن ابن فهد[٤] عندما يتحدث عن نهاية حفل إفتتاح المدرسة يذكر بأن السلطان والمدعوين نزلوا من الإيوان إلى دور المدرسة . وهذا بدوره يشير

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ج ٤/ ص٦٤٨ ، النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ .

(٢) سنوك ، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج ٢ / ص ٢٩٤ .

(٣) مقابلة الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . ولا يشير الأستاذ محمد نور خوقير إلى وجود هذا الإيوان . فما يتذكره من المبنى هو الإحدى عشر بيتاً . مقابلة معه في ٩ محرم ١٤١٤ . ويؤكد ذلك أن محمدرفيع عندما يتحدث عن المدرسة لا يشير إلى وجود الإيوان ويذكر بأن المبنى مقسم إلى إثني عشر بيتاً . محمد عمر رفيع ، مكة ص ١٩٦ . والظاهر أن الإيوان أزيل في فترة ما يصعب تحديدها ، فلم يشاهده الاستاذ محمد نور خوقير . بينما لم يتسنى لمحمد عمر رفيع مشاهدة المبنى من الداخل وإنما اعتمد على الأوصاف ممن شاهده أثناء تدوين كتابه . ولذلك أخطأ في ذكر عدد البيوت كما مر معنا . بينما يذكر الاستاذ مشرب أنه شاهد الإيوان في فترة صباه عندما كان يحضر حلق تحفيظ القرآن الكريم في الحرم ، فتسنى له دخول المدرسة ورؤية إيوانها . ويؤكد أقواله أنه يصف طريقة الدخول من الحرم إلى الإيوان كما هو موقع على خارطة المساحة المصرية ، حيث يشير إلى وجود الدرج وإلى الفناء وإلى إتجاه الدخول .

(٤) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٤٨ .

إلى أن الإيوان كان يقع في الجانب المرتفع من المبنى وهو ضلعها الشرقي كما سبق أن وضحنا .

ولقد أشارت خارطة هيئة المساحة إلى وجود هذا الإيوان [شكل ٢] ، حيث يتضح من خلال توقيعاتها أن هناك منطقة مسقوفة بسقف خشبي[١] ، يتقدمها منطقة مفتوحة عبارة عن فناء مكشوف ، وهذا الأسلوب المتبع في تخطيط معظم المدارس في ذلك العصر ، إذ كانت تتكون من قاعة واحدة أو أكثر تطل على فناء مغطى أو مكشوف[٢] .

وتبلغ أبعاد هذا الإيوان ٥ م × ٣ م ، وله عقد مدبب[٣] بصنج ملونة مشهرة « أحمر وأصفر » ، وسقفه خشبي عليه زخارف لم يستطع الواصف تحديدها [٤] ، من الواضح أنها تتكون من عناصر نباتية وهندسية كما كان متبعاً في زخرفة الأسقف في ذلك العصر[٥] ، علاوة على تغشيتها بالذهب كما سبق أن ذكرنا .

---

(١) أشارت خارطة هيئة المساحة إلى هذه التغطية باستعمال إشارة « × » وهذه الاشارة استخدمت للدلالة على تسقيف المسعى بالقرب من المسجد الحرام .

(٢) انظر أنظمة التخطيط المدرسي ، الفصل الأول من الباب الثالث .

(٣) بعرض عدد من اللوحات لعقود إيوانات بعض المدارس الجركسية على الأستاذ مشرب أندجاني فإنه أشار إلى تشابه عقد إيوان مدرسة قايتباي مع عقد مدرسته بالصحراء .

(٤) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٥٥٧ .

أما أرضية الإيوان فهي من الرخام الملون . وعليه زخارف هندسية ، تضم دوائر وأشكال مضلعة ومثلثات وغير ذلك[١] .

صحن المدرسة [شكل ٥٩] :

وهو في توقيعات خارطة هيئة المساحة غير منتظم الأبعاد . فيبلغ طول ضلعه الشرقي ٥ر٥ م ، بينما بلغ طول ضلعيه الشمالي والغربي ٥ر٤ م ، أما ضلعه الجنوبي فيبلغ ٥ر٣ م ، ويظهر أن عدم الإنتظام هذا جاء نتيجة للتغيرات المعمارية التي تعرض لها المبنى في العصور المختلفة ، بينما من المرجح أن أبعاده كانت متساوية ، وتبلغ ٥ر٥ م × ٥ر٤ م .

وحسبما يذكر الواصف [٢] ، فلقد كانت أرضية هذا الصحن تنخفض عن مستوى أرضية الإيوان بمقدار ٢٠ سم . كما كان يوجد في أعلى الجدران المحيطة بالصحن كتابات تتضمن آيات قرآنية كريمة من أوائل سورة الفتح .

وكان يطل على الصحن من الناحية الجنوبية فتحة باب معقودة تصله بدهليز المدرسة . علاوة على وجود أبواب أخرى من الناحيتين الشرقية والغربية ، كانت تصل بالبيوت المحيطة بالمبنى ، يظهر أنها كانت تمثل امتداداً لما كان عليه الحال وقت إنشاء المدرسة . إذ من المؤكد أنه كان يوجد على جانبي الصحن فتحات أبواب ونوافذ لبعض عناصر المبنى ووحداتها التي تقع في هذين الجانبين .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

ولا شك بأنه كان يوجد في المبنى فناء آخر كان يتوسط ربع المدرسة [شكل ٥٩]، نظراً لأن معظم مكوناته وقت إنشاء المدرسة عبارة عن خلاوي صغيرة المساحة[١] لم يكن بعضها يطل على واجهات المبنى ، وإنما على الأجزاء الداخلية منه ، وبالتالي فإنها في حاجة إلى إضاءة وتهوية ، يوفرها صحن يتوسط هذا الربع ، والذي جرت إزالته عندما أنشئت البيوت في موضع الخلاوي ووحدات الربع الأخرى .

مكتب السبيل [لوحة ٨٠] :

زودت المدرسة بسبيل وكتاب أشار إليهما ابن العماد الحنبلي ، فذكر بأن السلطان قايتباي بنى للمدرسة « ... سبيلاً عظيماً للخاص والعام ومكتباً للأيتام ... »[٢] وكان هذا المكتب يعلو السبيل كما يشير بذلك السخاوي [٣] .

ولا يقدم واصفوا المبنى أي معطيات تمكن من تحديد موقع هذا السبيل ، بل إنهم ينفون وجوده[٤] ، مما يشير إلى أن التغيرات التي تعرض لها المبنى قضت على معالمه تماماً .

بيد أنه بالنظر إلى المعطيات التي توفرها النصوص

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٩٩ – ٣٠١ .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٨ / ص ٧ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ / ص ٢٠٧ .

(٤) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ، ١٤١٣هـ ومع محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤ هـ .

التاريخية ، فإن بالامكان القول بأن هذا السبيل يقع في رباط المدرسة ، لأن الصهريج[١] يقع أسفل هذا الرباط ، حيث كشف عنه في سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م ، بهدف الاستفادة منه . وتبين أنه كان يشغل المنطقة الواقعة بين باب النبي وباب قايتباي [مدخل المدرسة] ، أي أنه يوجد تحت رباط المدرسة . وكان مربع الشكل يبلغ طول كل من أضلاعه ١٤ م . أما عمقه فيصل إلى ٦ م[٢] . ووجود الصهريج في الضلع الشرقي تحت الربع يشير إلى وجود مكتب السبيل في الربع أيضاً . وفوق الصهريج حتى يسهل استخراج الماء منه لمصلحة السبيل كما هو متبع في كثير من أسبلة ذلك العصر[٣] .

ولقد أشار الطبري[٤] إلى وجود هذا السبيل في ربع قايتباي ، قاصداً ربع المدرسة على وجه التأكيد ، لأن سبيل مدرسة قايتباي بالمدينة المنورة كان يقع في ربعها أيضاً [٥].

ولا شك أن هذا السبيل يقع في الضلع الشرقي من المبنى وذلك يدل على أنه كان يشغل جانباً من الواجهة الشرقية للمبنى ،

---

(١) أشار ابن فهد لهذا الصهريج أثناء حديثه عن سيل سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م . وذكر بأن ماء السيل دخل إليه من فتحة كانت تقع أسفل المبنى . ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٣٤ .

(٢) سعد الدين أونال وسليمان مالكي ، دراسة لتوفير المياه في المشاعر المقدسة ، ص ٤٨ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤٢٥ .

(٤) الطبري ، الأرج المسكى ، ص ٧٢ .

(٥) وثيقة رقم ٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٢٣٧هـ محفظة ٨/ بحر برا .

والمطلة على المسعى كما سبق أن ذكرنا .

بل إن من المرجح أنه كان يقع بالقرب من المدخل الرئيسي للمبنى ، عند التقاء واجهتي المدرسة والربع ، فيكون له بذلك واجهتان إحداهما شرقية مطلة على المسعى ، والأخرى شمالية تطل على بسطة المدخل . وهذا من أنسب المواقع ، لأنه يحقق ما ذكره ابن العماد(١) عنه في خدمة العام والخاص . حيث يستفيد منه عامة السائرين في المسعى ، و الداخلين إلى المبنى و الخارجين منه .

وكما سبق أن ذكرنا ، فلقد كان للسبيل شباكين ، وزود الكتاب بشرفتين أيضاً ، وذلك تبعاً لتعدد وجهات هذه الوحدة المعمارية .

وبطبيعة الحال ، فإن اندثار المبنى أدى إلى اختفاء معالمه بشكل كامل ، بيد أنه من المؤكد أنه لم يكن يختلف كثيراً عن سبيل مسجد الخيف بمنى ، والذي أمر السلطان قايتباي بإنشائه سنة ٨٧٤هـ/ ١٣٧٢م ، حيث اعتنى كثيراً بعمارته ، فكسيت واجهاته من الخارج وأرضيته من الداخل برخام أصفر ، وكذلك كان الحال بالنسبة لأحواض التسبيل ، والتي أطلق عليها ابن فهد مسمى الطاقات حيث ذكر بأنه « ... عمل بالسبيل المذكور طاقات من الرخام ، يتناول من الطاقات المذكورة الماء المعد للشرب ..»(٢) .

وزود هذا السبيل أيضاً بحاصل لحفظ أدواته ومقتنياته المختلفة(٣) .

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٨ / ص ٧ .

(٢) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٥١٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ج ٤ / ص ٥١٢ .

وبدون شك فإن العناية بالكتاب لا تقل عما كان للسبيل من حيث تزويده بكافة احتياجاته ، كخزانة لحفظ المصاحف والأدوات المختلفة ، ومزيره ، وخلوة المؤدب ، والمرحاض ، كما كان متبعاً في كثير من كتاتيب ذلك العصر(١) .

المكتبـــة :

زودت المدرسة بمكتبة ضخمة لتيسير الدراسة والاطلاع لشيوخها وطلبتها ، وغيرهم من طالبي المعرفة والعلم (٢)، وكان بها بالإضافة للكتب ، مقتنيات ثمينة منها ربعة شريفة مكتوبة بالذهب الخالص(٣) .

ويذكر النهروالي(٤) أنه ولي النظر على هذه المكتبة ، فوجد أنه قد استولى على الكثير من كتبها ، فبذل الجهد لاسترجاع ما أمكن منها من المستعيرين وإعادته للوقف . كما قام بصيانتها وتجليد ما يحتاج منها للتجليد . ولا يتوفر من خلال المعطيات التي لدينا عن المبني ، أي مؤشرات يمكن من خلالها تحديد موقع هذه المكتبة بدقة ، وتقديم وصف معماري عنها ، وإن كان من المرجح أنها لم تكن بعيدة عن قاعة الدرس بحيث يتسنى للطلبة والشيوخ الوصول إليها بسهولة ويسر .

---

(١) عن ذلك انظر ص ٤٣٥ .

(٢) علي السليمان ، العلاقات الحجازية المصرية ، ص٢٢٦ ، عبدالرحمن صالح ، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ص ٧٥ .

(٣) السنجاري ، منائح الكرم ، لوحة ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٤) النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ .

وحدات الإسكان :

عندما تتحدث المصادر عن وحدات الإسكان بالمدرسة ، تذكر بأنه كان يوجد بها منزلين وإثنان وسبعون خلوة [١] .

وهذا بدوره يشير إلى أن وحدات الإسكان هذه كانت تنقسم من الناحية المعمارية إلى نوعين ، أولهما عبارة عن منزلين ، وهما بذلك يحتويان على مرافق وحقوق ، وكانا يشغلان ركني الضلع الغربي من المبنى ، حيث يقع الأول ناحية باب السلام ، بينما يقع الثاني ناحية باب الحريريين [النبي] [٢].

وينقل أحد واصفي مبنى المدرسة ، عن أحد معلمي البناء بمكة المكرمة[٣] ، معلومات مفادها أن الداخل إلى المدرسة من الباب الجانبي المطل على الحرم ، يجد على شماله فتحة باب ينفذ منها إلى دهليز ينتهي إلى قاعة[٤] ، تتكون من إيوان يتقدمه درقاعه ،

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٠٤ ، العاصمي ، سمط النجوم العوالي، ج ٤/ ص ٤٤ .

(٢) النهروالي ، الأعلام ص ١٠٤ .

(٣) ومعلم البناء هذا يدعى أحمد خشاخاشي ، وينقل عنه مشرب أندجاني ولكنه لا يعرف ما إذا كان معلم البناء هذا شاهد أو أنه نقل عمن شاهد . مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

(٤) لقد اضطرب الأستاذ مشرب في وصفه وكان يظن أن هذه القاعة هي إيوان الدرس . وأن صحن المدرسة ليس سوى منور للإضاءة والتهوية ، فخلط بين مشاهداته وما نقله عن معلم البناء أحمد خشاخاشي . وبعد توضيح موقع إيوان الدرس له أفاد بما نقله عن معلم البناء وبما شاهده . وأمكن بذلك تحديد الفروق . مقابلة مع الأستاذ مشرب في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . ومقابلة أخرى في ٣ شوال ١٤١٣هـ .

وملحق بالإيوان خلوة صغيرة [حجرة مبيت] ومرحاض . وكان هذا الإيوان يطل على أروقة الحرم الشريف .

إن مكونات هذه القاعة ، تشير إلى أنها المنزل الذي يقع في الركن الشمالي من ضلع المبنى الغربي ناحية باب السلام . [شكل ٥٩] .

ولا شك بأن المنزل الآخر ، الذي يقع ناحية باب النبي –صلى الله عليه وسلم – ، قد اتخذ تخطيطاً مشابهاً ، لأن العمارة الاسلامية تميل إلى التكرار في تكوين عناصرها . ومن المؤكد أن كلا الإيوانين يرتفعان باتفاع طابقين من المبنى ، وهما بذلك يتخذان واجهة مماثلة لما هو معهود من واجهات الأواوين في ذلك العصر ، فيكون لها شبابيك سفلية مستطيلة ، يعلوها شبابيك معقودة ومستديرة [شمسيات وقمريات](١) .

وهذه القاعة التي تقع ناحية باب السلام ، هي التي نزل بها السلطان قايتباي عندما قدم حاجاً سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م ، حيث تذكر المصادر بأنه سكن حينئذ في مبنى المدرسة وليس الرباط(٢) .

كذلك فإن من المؤكد أنها أصبحت بعد ذلك سكناً لشيخ المدرسة البرهان بن ظهيرة ، إذ يشير عبد العزيز بن فهد(٣) إلى أن قاصدي هذا الشيخ كانوا يذهبوا لملاقاته في هذه المدرسة ، مما يدل

---

(١) لاحظ ما ذكرناه آنفاً عن واجهة المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة .

(٢) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٠٩ . مؤلف مجهول ، الجامع الظريف ، ورقة ٦٧ .

(٣) عبدالعزيز بن فهد ، بلوغ القرى لوحة ٦ .

على سكناه بها ، وإلى أن هذه القاعة هي منزله ، لأنها تقع ضمن كتلة المدرسة ، وتتميز عن بقية الوحدات الأخرى ، التي لم تكن سوى خلاوي صغيرة لا تليق بسكنى قاضي مكة وأبرز علمائها في ذلك العصر[١] .

أما القاعة الثانية والتي تقع ضمن كتلة الرباط [شكل ٥٩] ، فلقد كانت تستخدم لنزول بعض الأعيان القادمين للحج أو لأغراض أخرى[٢] . فمن المرجح أنه قد نزل فيها أحد رسل السلطان عندما قدم لمكة المكرمة سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢م[٣] ، وأن تكون الموضع الذي نزل فيه بعض قرابة السلطان عندما قدموا للحج سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م[٤] .

أما النوع الثاني من وحدات الإسكان فهي الخلاوي ؛ والتي بلغ عددها كما سبق أن ذكرنا اثنان وسبعون خلوة ، وهو عدد كبير من الخلاوي . يمكن من خلال المعلومات المتوفرة عن كتلة المجمع بأكملها ، تقديم تحديد لمواقع بعضها ، حيث يشير أحد الواصفين[٥]

---

(١) المصدر السابق نفسه ، لوحة ٣٣ .

(٢) وهذه الوظيفة توسع فيها في العصر العثماني حيث أصبحت الوظيفة الأساسية للمدرسة هي استقبال أمراء الحج . وقد سبق الإشارة إلى ذلك ، انظر ص ٢٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ، لوحة ١١ .

(٤) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ / ص ٢١٤ .

(٥) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . وينقل الأستاذ مشرب أندجاني عن معلم البناء أحد خشاخاشي ما يفيد إلى أنه كان يوجد عدد كبير من الخلاوي في الناحية القريبة من قاعة المدرسة ولكن يصعب تحديد عددها.

إلى وجود خلوتين حبيس ظلتا باقيتين إلى أن أزيلت المدرسة ، كانتا تقعان فوق الدهليز بالقرب من المئذنة ، ويذكر عبدالعزيز بن فهد بأن أحد سكان رباط المدرسة تعرض في سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣م للتوبيخ «... بسبب فتحه في شباك خلوته التي برباط السلطان باباً يدخل منه إلى المسجد الحرام ... »(١) . مما يشير إلى وجود خلاوي في الضلع الغربي من المبنى ، وأن بعضها كان يقع في طابقه الأرضي .

ولا شك بأن المعمار قد حرص على استغلال جوانب المدرسة المختلفة ليوزع عليها بقية الخلاوي ، لأن هذا العدد الكبير سيحتاج إلى مساحة كبيرة ليشغلها مع ما يرتبط به من مرافق أخرى ، كالسلالم ، والدهاليز ، والمراحيض وغير ذلك .

أما بالنسبة لأبعاد هذه الخلاوي ، فإنها لا تزيد لكل منها عن ٢ م × ٥ر١ م ، فهذه أبعاد كلاً من الخلوتين اللتين ظلتا باقيتين فوق دهليز المدرسة . وهي مساحة كافية للخلوة ، خاصة وأن كلامها كان مخصصاً لنزول شخص واحد فقط . إذ أن الخلوة التي حول شباكها إلى باب يفضي إلى أروقة الحرم ، كانت مسكونة من قبل شخص واحد كما هو واضح من سياق الحادثة المذكورة آنفاً .

ومن المؤكد أن غالب هذه الخلاوي كانت مشغولة من قبل طلبة المدرسة ، الذين عادة ما يخصص لهم سكن في المدرسة التي يدرسون فيها(٢) . وهؤلاء سيشغلون أربعون خلوة نظراً لأن لكل

---

(١) عبدالعزيز بن فهد ، بلوغ القرى ، لوحة ١٥ .

(٢) عن ذلك انظر ص ٤٤٨ .

طالب بالمدرسة خلوة خاصة به ، وأن عدد طلبة المدرسة يبلغ أربعون طالباً[١] .

أما بقية الخلاوي ، وعددها إثنان وثلاثون خلوة فلا شك بأن معظمها كان مخصصاً للمتصوفة الذين رسم لهم الأشرف قايتباي سكنى رباط هذه المدرسة[٢] . هذا مع وجود خلاوي مخصصة لبعض أرباب الخدمة بالمدرسة ، كالبواب ، والمؤذنين ، وغيرهم ، لأنه قد يخصص لمثل هؤلاء خلاوي في مدارس ذلك العصر[٣] .

الحواصل :

تشير الأوصاف المتوفرة عن المبنى إلى أنه كان يقع أسفل الضلع الغربي منه ، ناحية كتلة المدرسة خمس حجرات صغيرة تبلغ أبعاد كل منها ٢ × ٣ م [٤] . يظهر أنها كانت تستخدم وقت إنشائها ، كحواصل للمدرسة ، كما يشير بذلك موقعها أسفل المبنى.

---

(١) عن ذلك انظر ص ٢٥٩ .

(٢) مؤلف مجهول ، الجامع الظريف ، ورقة ٦٩ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٤٥١ – ٤٥٢ .

(٤) كانت هذه الحجرات تستخدم في آخر عهدها من قبل بعض زمازمة الحرم ، وكان لها مدخل من ناحية أروقة الحرم . مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ . والراجح أنه كان لها قبل ذلك مدخل من داخل المدرسة نفسها ، وأزيل في فترة لاحقة .

الميضأه [شكل ٥٩] :

زودت المدرسة بميضأه كانت تقع في الطابق الأرضي من الرباط ، وقد أشار ابن فهد[١] إلى هذه الميضأة أثناء حديثه عن السيل الذي دخل المدرسة في عام ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨م ، فذكر بأن الماء دخل الميضأه التي في الرباط وامتلأت خلاويها بالماء حتى وصل إلى رؤوسها .

وينفي واصفوا المبنى ، وجود هذه الوحدة ضمن تكوينات المبنى المعمارية [٢] ، مما يشير إلى اندثارها نتيجة للتغيرات المعمارية التي أصابت مبنى المدرسة .

أما بالنسبة لموقعها ، فيظهر أنها كانت تشغل ضلعاً من أضلاع فناء الربع ، كما هو الحال في المدرسة الباسطية بمكة المكرمة ، والتي كانت ميضأتها تطل على الضلع الجنوبي من فنائها[٣].

الخارجات :

كان لتحول المبنى إلى سكن لبعض الأسر المكية ، أكبر الأثر في أن يصبح لكل بيت من البيوت الإحدى عشر التي تشغل المبنى خارجة خاصة به ، يتبعها حجرتان صغيرتان كل منهما يعرف بالمبيت [٤] .

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٤ / ص ٦٣٤ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ ، والأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٣) عن ذلك انظر ص ٢٢٤ .

(٤) مقابلة مع الأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

ويتضح من إحدى اللوحات المتوفرة عن المبنى [لوحة ٨١] والتي يظهر فيها الجزء العلوي منه ، أن هناك حجرات صغيرة تعلو سطح المبنى ، أسقفها متهدمة بالإضافة إلى بعض جدران عدد كبير منها . ويظهر أن هذه الحجرات كانت مبيتات لطلبة المدرسة وأرباب الوظائف فيها . بينما كانت الخارجات المقسمة عبارة عن خارجة واحدة متصلة ، ولا يستثنى من ذلك سوى خارجة خاصة بشيخ المدرسة تعلو منزله وتكون خاصة به فقط ، لأن استثنائه بسكن مميز ، يقتضي أن يكون له خارجة خاصة به أيضاً .

المئذنة [لوحة ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤] :

زودت المدرسة بمئذنة ، أثارت انتباه النهروالي بجمالها وإتقان صنعتها فقال عنها بأنه قد « ... افتخر بصناعتها مهندس عصره على مهندسي زمانه ... » (١) .

وظلت هذه المئذنة محافظة على رونقها ، ولم تشهد سوى مرمات بسيطة(٢) ، حتى أزيلت مع إزالة المدرسة ، في التوسعة السعودية الأولى للحرم المكي الشريف(٣) .

ولقد وضع المعمار هذه المئذنة فوق طاقية مدخلها(٤) . وهذا يدل على أن المئذنة انطلقت من فوق مستوى الطابق الثاني

---

(١) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٩٤ .

(٢) باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٤٤ .

(٣) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ . والأستاذ محمد نور خوقير في ٩ محرم ١٤١٤هـ .

(٤) النهروالي ، الأعلام ، ١٩٤ .

للمبنى . ولذلك لا ترى قاعدتها ، رغم أنها ترتفع بارتفاع طابق المبنى الثالث والخارجة ، بحيث يمكن رؤية بقية بدن المئذنة من فوق مستوى الخارجات التي تعلو المبنى .

وبناءاً لما يتوفر عن هذه القاعدة من أوصاف ، فهي ذات قطاع مربع الشكل (١). ولعله يشبه الدور الأول من مئذنة قايتباي في المسجد النبوي الشريف [٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣م] [لوحة ١٠٤](٢) والذي زود كل ضلع من أضلاعه بنوافذ مستطيلة تقع ضمن دخلات معقودة تتقدمها شرفات ترتكز على حطات مقرنصة(٣) . ويحدد هيئة ذلك جفت لاعب بميمات متساوية الأبعاد يمتد حتى يحيط بكل ضلع من أضلاع هذا الدور .

وتنتهي هذه القاعدة بشرفة مثمنة لها سياج خشبي ، من المؤكد أنه كان في الأصل مكون من شقف حجرية ذات زخارف هندسية ونباتية مفرغة ، كما كان سائداً في مآذن ذلك العصر(٤) .

يلي ذلك الدور الأول ، وهو مثمن الشكل ، وبه دخلات مسمطة تشغل نصفه السفلي ويفصل بينها أعمدة مخلقة ، يعلو كلاً منها صدر مقرنص ، ويفصل فيما بينها عقد مفصص ، وقد فتح في أحدها فتحة باب معقودة بعقد مدبب تؤدي للشرفة .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ مشرب أندجاني في ١٥ رمضان ١٤١٣هـ .

(٢) هذه اللوحة مأخوذة من كتاب :

C. R , D . King , The Historical , Mosques of Saudi , Arabia, London, p . 29 .

(٣) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي ، ص ٣٨٠ .

(٤) صالح لمعي ، التراث المعماري ، ص ٣٢ .

ويعلو الدخلات السابقة ، دخلات صغيرة كل منها على شكل قنديلية بسيطة ، ذات شمسيات مسمطة وقمريات مفتوحة باستثناء تلك التي فوق فتحة الباب ، فإن شمسياتها مفتوحة . والراجح أن النوافذ المفتوحة في هذه القنديليات كانت مغشاة بالزجاج الملون المعشق بالجص ، مثلما هو متبع في عمائر ذلك العصر(١) .

وينتهي هذا الدور بشرفة مثمنة محمولة على حطات مقرنصة ، ولها سياج خشبي ، من المؤكد أنها تشبه الشرفة السابقة في تكوينها الأصلي .

ثم يأتي بعد ذلك دور المئذنة الثاني ، والذي يميل بدنه إلى الاستدارة عن طريق تعدد أضلاعه ، مثلما هو متبع في بدن الدور الثاني في مئذنة قايتباي بالمسجد النبوي والذي يتكون من ستة عشر ضلعاً (٢) .

ولقد جعل في إحدى هذه الأضلاع فتحة مستطيلة تمتد إلى أعلى هذا البدن دون أن تصل إلى أسفله ، وعلى الرغم من اتساع هذه الفتحة فإنها لا تصل إلى إتساع فتحة الباب ، وبالتالي فهي تعتبر نافذة للإضاءة والتهوية ، يبدو أنها جعلت للماثلة والمضاهاه أمام فتحة باب تقابلها من الناحية الأخرى ، ولا يمكن رؤيتها من

---

(١) مايسة داود ، النوافذ وأساليب تغطيتها في عمائر المماليك بمدينة القاهرة ، ص ١٤١ .

(٢) محمد الشهري ، عمارة المسجد النبوي ، ص ٣٨٠ .

خلال اللوحات المتوفرة التي لا تظهر فيها الناحية المقابلة .

وينتهي هذا الدور بقبة مضلعة [١] ، يعلوها رقبة تنتهي بخوذة ، وهذا الجزء من المئذنة ، يعود إلى الترميمات التي تمت في العصر العثماني ، والتي أشارت إليها النصوص التاريخية ، دون أن تحدد ما تم في هذه الترميمات على وجه الدقة [٢].

ويؤكد ذلك أن التكوين الأصلي لقمة هذه المئذنة ، كانت عبارة عن جوسق يتكون من ستة أعمدة يعلوه الخوذة الكمثرية الشكل ، إذ أن النهروالي يشير إلى تشابه هذه المئذنة مع مئذنة مسجد الخيف[٣] ، والتي كانت تتكون من جوسق ذي ستة أعمدة [٤]، يعلوه خوذة كمثرية الشكل كما هو متبع في عمائر ذلك العصر[٥] .

---

(١) ويظهر في لوحة الجمعية الجغرافية الامريكية [لوحة ٨٤] أن لهذه القبة شرفة بينما لا تظهر هذه الشرفة في لوحة أرشيف السلطان عبد الحميد [لوحة ٨٣] وهي الأقدم تاريخاً كما سبق أن ذكرنا مما يدل على أن هذه الشرفة من الترميمات الحديثة .

(٢) باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٤٤ ، فوزية مطر ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ١٧٢ .

(٣) النهروالي ، الأعلام ، ص ١٩٤ .

(٤) ابن فهد ، إتحاف الورق ، ج ٤ / ص ٥١٢ .

(٥) عن ذلك انظر ص ٤٧٩ .